

(خير الناس أنفعهم للناس)

من تحريات جروب تاريخ وأثار دولة المماليك

[/https://www.facebook.com/groups/mamlikhhistory21](https://www.facebook.com/groups/mamlikhhistory21)

إهداء للباحثين في تاريخ العصور الوسطى والتاريخ المملوكي  
المكتبة الخاصة للدكتور / عمرو منير غفر الله له ولوالديه  
وجزاه عنا خير الجزاء وجعل كل حرف في ميزان حسناته

التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي

رسالة ماجستير - جامعة المنصورة - ٢٠١١م

إعداد الباحث / عبد الله عبد كمال سيد



جامعة المنصورة  
كلية الآداب  
قسم التاريخ

## التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧ - ٩٢٣ هـ / ١١٧١ - ١٥١٧ م)

بحث مقدم من الطالب/ عبد الله عيد كمال سيد  
للحصول علي درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إشراف

الدكتور/ شلبي إبراهيم الجعدي  
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

٢٠١١ م

..التجسس في العصرين



GN:147

ISBN:383381

ج ٩٥٣

ماجستير

## فهرس الموضوعات

١	.....مقدمة
٨	.....تمهيد
١٢	.....الفصل الأول: إدارة التجسس
١٢	.....أولاً: ديوان الإنشاء والتجسس
٢١	.....ثانياً: عمال التجسس
٤٥	.....ثالثاً: الشروط والصفات الواجب توافرها في عمال التجسس
٤٩	.....رابعاً: رعاية الدولة للقائمين بأعمال التجسس
٥٧	.....الفصل الثاني: جمع المعلومات
٥٧	.....أولاً: جمع المعلومات في ميدان المعارك البرية
٧١	.....ثانياً: جمع المعلومات في ميدان المعارك البحرية
٧٩	.....ثالثاً: جمع المعلومات خارج ميدان المعارك
١٠٢	.....رابعاً: وسائل وطرق نقل المعلومات
١١٥	.....الفصل الثالث: التجسس والأخطار الخارجية
١١٥	.....أولاً: دور التجسس في مواجهة الخطر الصليبي والمغولي والعثماني
١٣١	.....ثانياً: دور عيون وجواسيس الأعداء في التعرف على أحوال الأيوبي والمماليك
١٤٣	.....الفصل الرابع: دور التجسس في تحقيق الأمن الداخلي
١٤٣	.....أولاً: الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها
١٥٥	.....ثانياً: دور التجسس في مواجهة الفتن والثورات الداخلية
١٧٤	.....ثالثاً: دور التجسس في التخلص من الشيعة
١٧٨	.....رابعاً: دور التجسس في الحياة الاقتصادية
١٨٠	.....خامساً: دور المرأة في التجسس
١٨٣	.....سادساً: العقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس
١٩٥	.....الخاتمة
١٩٨	.....الملاحق والخرائط
٢٠٦	.....الجداول
٢٤٧	.....المصادر والمراجع
٢٧٤	.....فهرس الملاحق

## المقدمة

## المقدمة

تحظى الدراسات الحضارية الآن باهتمام كبير من جانب المؤرخين المحدثين نظراً لما تحتويه من تنوع في القضايا والأفكار، ولأنها لم تزل حقلًا بكرًا - في كثير من جوانبها - لم ينهل منه الباحثون كثيراً، بعيداً عن الدراسات السياسية التي امتلأت بها دراسات الباحثين وأطروحاتهم، ولعل نظم الدولة الإسلامية الإدارية - خاصة المحلية منها - لم تزل الاهتمام الكافي من قبل المؤرخين، وحسبنا في ذلك نظام التجسس الذي رغم أهميته البالغة في النظام الإداري يوصفه معبراً عن قوة الدولة ومدى كفاءة الجهاز التنظيمي لها، رغم ذلك فإن الدراسات التي تناولته كانت ذات خطوط عريضة لم تصل به إلى دراسة متخصصة تتناول العصرين الأيوبي والمملوكي؛ لذا اتجه اهتمام الباحث إلى دراسة هذا النظام في العصرين الأيوبي والمملوكي نظراً لما يتمتع به من مكانة مرموقة جعلته يلعب دوراً عظيماً في النهوض بأعباء البلاد في وقت كانت الحاجة فيه ملحة لنظام يعمل على وحدة وترابط المملكة ضد الخطر الصليبي وذلك لطردهم من البلاد الإسلامية في العصر الأيوبي وقد نجحوا إلى حد كبير في القيام بذلك، وتم حصرهم في عدد من المناطق في بلاد الشام، وعندما جاء المماليك قاموا بتفعيل دور الجواسيس للقضاء عليهم تماماً وقد نجحوا في ذلك، وكان يجب على سلاطين المماليك الاهتمام بالجواسيس أكثر من ذلك، لأن الصليبيين أخذوا يتحينون الفرصة بعد طردهم من مصر للانقضاض على أملاكهم في بلاد الشام، وكذلك الخطر المغولي الزاحف من الشرق، والخطر العثماني أيضاً، وبذلك كان نظام التجسس أحد الدعامات الأساسية التي ارتكز عليها سلاطين الأيوبيين والمماليك.

فإذا كانت الخطط العسكرية، وأنواع الأسلحة وكثرتها تلعب الدور الرئيسي في نتائج المعارك الحربية فإن كل ذلك لابد وأن يبنى على معلومات عن مدى قوة العدو وأماكن تركزه، وطبيعة أسلحته؛ لذا فإن كثيراً من المعارك الحربية تتحدد نتائجها بناء على ما قام به عمال التجسس من جهد، ومدى دقة المعلومات التي وصلت إلى القيادة العسكرية، والقدرة على تحصيلها والاستفادة منها.

يضاف إلى ذلك ما تميز به العصر الأيوبي من نزاعات بين أبناء الأسرة الحاكمة، وما تميز به العصر المملوكي من زيادة المؤامرات الداخلية بين السلاطين والأمراء من ناحية وبين الأمراء بعضهم البعض من ناحية أخرى، مما استدعى قيام كل طرف بالتجسس على الطرف الآخر، كل ذلك يتطلب من السلاطين الاهتمام بالجواسيس والعناية بهم.

هذا؛ وقد قدر لهذا النظام أن يمر بفترات قوة وفترات ضعف خلال العصرين الأيوبي والمملوكي؛ ففي عهد السلطان صلاح الدين كان يمر بمرحلة من القوة لمواجهة الخطر الصليبي ولكن

ضعف في عهد خلفائه، وفي عهد الدولة المملوكية اهتم الظاهر بيبرس به كثيراً، وظل يحتفظ بقوته فيما يزيد عن نصف قرن من الزمان قبل أن يلحقه التدهور عقب وفاة الناصر محمد بن قلاوون وحتى نهاية دولة المماليك البحرية، ولكن مع بداية دولة المماليك الجراكسة ومجيء الخطر التيموري بدأ الاهتمام بالجواسيس من أجل القضاء على هذا الخطر، ولكن بعد ذلك بدأ يمر بفترة ضعف طويلة في مواجهة الأخطار الخارجية، نتيجة للصراع المرير بين كبار الأمراء لنيل عرش السلطنة من ناحية فبدأ نشاطهم يتجه إلى الداخل للتجسس على أخبار الأمراء والسلاطين، ومع بداية الخطر العثماني حاول السلاطين أن يعودوا بالتجسس إلى سابق عهدهم في الازدهار، ولكنهم لم يقووا على ذلك مما كان من بين الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة المملوكية وقيام الدولة العثمانية.

ومن هنا تأتي أهمية الموضوع لمحاولة التعرف على تنظيم عمال التجسس وطرق جمع المعلومات، وكيفية توصيلها للقيادات السياسية، ومدى تأثير ذلك على مواجهة الأخطار الخارجية وتحقيق الأمن الداخلي بالبلاد.

قصارى القول: إن التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي كان له شكل آخر غير الذي عرف به في العصور الإسلامية المبكرة، ورغم ذلك فإننا نفقر إلى دراسة متكاملة عن نظام التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ورغم وجود بعض الدراسات التي تعرضت لنظام التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي، فإنها تناولته بصفة عامة؛ مثل الدراسة التي قام بها الدكتور علي السيد علي عن الجاسوسية في عصر سلاطين المماليك وهو بحث نشر في مجلة فكر؛ تناول فيه الأسباب التي دفعت سلاطين المماليك إلى استخدام التجسس، وتناول علاقة الجواسيس بديوان الإنشاء ودور الجواسيس في مواجهة الصليبيين والمغول، كما تناول بعض الظواهر الاجتماعية التي كان يؤثر فيها الجواسيس.

والدراسة التي قام بها الدكتور صلاح الدين البحيري عن المخابرات الإسلامية في مواجهة الصليبيين وهو بحث نشر في مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، وتناول فيه الأسباب التي دفعت سلاطين الأيوبيين إلى استخدام التجسس، كما تناول فيه الفرق المسؤولة عن جمع المعلومات داخل المعارك، كما تناول فيه دور أسرى الحرب والعلماء والرسل والسفراء الأجانب والشبكات السرية والبريد السري، وكذلك تناول فيه كيف تمكنت الدولة من مقاومة الجاسوسية المعادية.

والدراسة التي قام بها الدكتور جمال الدين الشبال عن الجاسوسية الأيوبيّة وهو بحث منشور في كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، وتناول فيه استخدام سلاطين الأيوبيين للتجسس في مواجهة الخطر الصليبي.

والدراسة التي قام بها المستشرق الإنجليزي "Amitai" في بحث نشره في مجلة الجامعة الأمريكية بعنوان "Mamluk Espionage among Mangols and Franks"، وقد تناول فيه دور القصاد والمناصحين كأحد عمال التجسس، كما تناول دور الجواسيس في الحرب ضد المغول والصليبيين.

وبحثه الثاني الذي تحدث عنه في كتاب بعنوان: "Mongols and Mamluks (1260- 1281)" قد تناول في أحد فصوله دور التجسس في مواجهة الخطر المغولي والصليبي والأدوار التي قاموا بها من جمع المعلومات عن الأعداء ومساعدة المماليك في القضاء عليهم والقبض على جواسيس المغول والصليبيين الذين يحاولون التجسس على أحوال المماليك.

أما دراسة نظام التجسس في العصر الأيوبي أو المملوكي دراسة واقعية تتناول علاقة التجسس بديوان الإنشاء، والعمال القائمين على هذا النظام وشروط توليهم لوظائفهم، وبيان رواتبهم، وكيفية جمع المعلومات في ميدان المعارك أو خارج المعارك، وكيفية توصيل هذه المعلومات إلى الدولة في حالة تعذر عمال التجسس عن الوصول إلى الدولة، والدور الفعال الذي قاموا به في الخارج والداخل والعقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة الذي تم الكشف عنهم فلم يتم الحديث عنه بشكل متكامل .

وعلى الرغم من أن العصر الأيوبي والمملوكي اشتهر بوفرة مصادرهم، فإن من أهم الصعوبات التي واجهت الدراسة تتمثل في أن هذه المصادر قد تميزت بقدرة المادة التاريخية الخاصة بالتجسس، وغلب على تلك المصادر الاهتمام بإبراز الأحداث السياسية وندرة الاهتمام بالجوانب الإدارية، مما زاد من صعوبة هذه الدراسة.

أما بالنسبة للمنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التحليلي الذي يقوم على رصد طبيعة نظام التجسس والربط بينه وبين العوامل السياسية، والمنهج الإحصائي لمعرفة أعداد العمال الذين عملوا بالتجسس والعقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة، والمؤامرات والفتن التي حدثت في العصرين الأيوبي والمملوكي ورصد نجاح وفشل الجواسيس في الكشف عنها.

وتعتمد هذه الدراسة بصفة أساسية — كما سبق أن أوضحت — على إبراز الدور الفعال والمؤثر لنظام التجسس في مختلف المجالات السياسية والحضارية في هذين العصرين في ظل الظروف الحربية التي كان يعيشها العصر آنذاك، مع مراعاة أن نظام التجسس كان خاصاً بالدولة والسلطان دون عامة الشعب.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى تمهيد، وأربعة فصول؛ أما التمهيد فتناولت فيه مفهوم التجسس اللغوي، والاصطلاحي.

كما خصصت الفصل الأول للحديث عن إدارة التجسس، وبينت أن رئيس ديوان الإنشاء كان له حق الإشراف على عمال التجسس، ثم انتقلت للحديث عن عمال التجسس مبيناً وجود أكثر من عامل لخدمة هذا النظام، وبينت الشروط التي يجب أن تتوافر فيهم، واستعرضت كذلك رعاية الدولة للقائمين بالتجسس سواء من الناحية الاقتصادية أو الرعاية الاجتماعية وقد أنهيت الفصل بهذه الرعاية.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن عملية جمع المعلومات؛ سواء في ميدان المعارك الحربية البرية، وذكرت العديد من هذه الفرق التي كانت تقوم بهذا الدور، وكذلك جمع المعلومات في ميدان المعارك البحرية، وذكرت العديد من السفن البحرية التي كانت تقوم بعملية جمع المعلومات أثناء المعارك البحرية، وأهم الحملات الاستطلاعية التي كانت تحدث لتجسس الأخبار وجمع المعلومات، وتحدثت عن مصادر جمع المعلومات خارج ميدان المعركة عن طريق الأشخاص الذين يزاولون مهناً غير رسمية في الدولة، كما ألفت الضوء على وسائل وطرق نقل المعلومات من هؤلاء العمال إلى الدولة؛ وكانت هذه الوسائل متمثلة في الخيول والهجن، والحمام الزاجل، والنار والدخان، والمراكب البحرية، وذيلت الفصل بالحديث عن عملية التعمية في إرسال هذه الأخبار التي تم جمعها من قبل العمال إلى الدولة وهو ما نسميه في عصرنا الحالي بـ "الشفرات السرية".

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن التجسس والأخطار الخارجية؛ فتحدثت عن دور التجسس في مواجهة الخطر الصليبي والمغولي والعثماني وكيف استطاع عمال التجسس لعب دور خطير في مواجهة هذه الأخطار والتغلب عليها في أغلب المواجهات التي دارت بينهم وطردتهم من البلاد وحماية البلاد من خطر إغارتهم، كما تحدثت عن دور جواسيس الأعداء في مساعدتهم على دخول الأراضي الأيوبية والمملوكية، وكيف استطاع العثمانيون بفضل نشاط هؤلاء الجواسيس من القضاء على الدولة المملوكية وإقامة الدولة العثمانية على أنقاضها.

أما الفصل الرابع الأخير فقد خصصته للحديث عن دور التجسس في تحقيق الأمن الداخلي، وأوضحت فيه الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمن الدولة من جواسيس الأعداء، كما أوضحت الدور الذي لعبه الجواسيس في مواجهة الفتن والثورات الداخلية التي كان يدبرها السلاطين للأمراء، والأمراء للسلاطين، والأمراء للأمراء، كما أظهرت الدور الذي لعبه الجواسيس في التقليل من خطرهم في عهد الأيوبيين والمماليك وكيف استخدم السلاطين هؤلاء الشيعة المتمثلين في "الفداوية" في تنفيذ عمليات الاغتيالات السياسية ضد الأعداء، بالإضافة إلى الدور الذي لعبه الجواسيس في التعرف على حركة الأسواق والأسعار وحماية التجار، كما أوضحت دور المرأة في العمل التجسسي في العصر الأيوبي والمملوكي، وختمت الفصل بالعقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة الذي تم الكشف عنهم.

وأُهيئت الدراسة بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وذيلتها بمجموعة من الملاحق واللوحات، وثبتت تضمن أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها في إعداد هذه الدراسة.

وقد استلزم إعداد هذه الدراسة الرجوع إلى العديد من الوثائق والمصادر والمراجع التي أمدت البحث بمعلومات تاريخية مهمة منها: مخطوطتان الأولى: "تفريج الكروب في تدبير الحروب" لصاحبه الرشيدى؛ وقد أفاد هذا المخطوط البحث في الشروط الواجب توافرها في عمال التجسس، واستفاد البحث منه في معرفة بعض الفرق العسكرية التي تخصصت في مجال جمع المعلومات، وعرفنا بعض الأشخاص الذين يقومون بجمع المعلومات في ميدان المعارك البرية، كما أفاد في وسائل وطرق نقل المعلومات التي يجمعها القائمين بالتجسس.

والثانية: "التدبيرات السلطانية في سياسة الصنائع الحربية" لابن منكلي، وهو محمد بن منكلي الناصر المتوفي عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م، وقد أمد البحث بأهم الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها من جواسيس الأعداء، كما أمد بدور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية وتحدث عن بعض الفرق ودورها في مجال التجسس.

كما استعان الباحث بكثير من المصادر المطبوعة وبخاصة تلك التي عاصر مؤلفوها الأحداث، بل وشاركوا فيها، ومنها: "النوادر السلطانية"، لابن شداد توفي سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م وقد أمد هذا المصدر البحث بمعلومات واقعية عن جامعي المعلومات في ميدان المعارك البرية والبحرية، وكذلك جمع المعلومات خارج ميدان المعارك، ومواجهة الأخطار الخارجية.

و"الفتح القسي في الفتح القدسي"، للعماد الأصفهاني، وهو أبو عبد الله محمد بن تقي الدين العماد توفي عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م واستفاد البحث به في الحديث عن دور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية.

ومن أبرز المصادر التاريخية أيضاً كتاب "كنز الدرر وجامع الغرر" لابن أبيك الدوادري والذي تحدث عن دور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية، ووسائل وطرق نقل المعلومات، وجمع المعلومات في ميدان المعارك البرية والبحرية، دور التجسس في مواجهة الشيعة.

أما كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" للقلقشندي، وهو أبو العباس القلقشندي ولد في عام ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م، وتوفي عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م، ولقد حفل هذا المصدر بالمزيد من التفاصيل عن التجسس وذلك من خلال التوقيعات والوصايا الصادرة للجواسيس التي تتضمن شروط تولي مناصبهم وسلطات كل منهم وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، كما أخبر عن أهم عمال التجسس والشفرات السرية التي كان يستخدمها العمال في إرسال معلوماتهم ووسائل وطرق نقل المعلومات، ومرتببات عمال التجسس.

وكتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" من المصادر المهمة التي أثرت هذه الدراسة نظراً لما يحتويه من معلومات مهمة عن دور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية، ودور التجسس في مواجهة الفتن والثورات الداخلية، وتحدث عن دور المرأة في التجسس، والإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها.

أضف إلى ذلك كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردي والذي أفادنا بالكثير من المعلومات المهمة بالنسبة لهذه الدراسة فيما يتعلق بدور التجسس في مواجهة الفتن والثورات الداخلية، ودور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية.

ويعد كتاب "عقد الجمان" للعيني من أهم المصادر التي تحدثت عن جمع المعلومات، ووسائل وطرق نقل المعلومات، بالإضافة إلى الحديث عن دور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية والداخلية أيضاً.

كما يعد كتاب "بدائع الزهور في وقائع الدهور" لابن إياس من المصادر التاريخية المهمة في العصر المملوكي الجركسي الذي أمد البحث بمعلومات مهمة عن فترة النزاع العثماني المملوكي ودور التجسس فيها والعقوبات التي طبقت على الجواسيس.

وتأتى كتب الرحلات ومنها ابن بطوطة ت ٧٠٣ هـ، وابن سعيد المغربي مصادر لاغنى للباحث عنها ، فكل منهم دون ما شاهده فأثرت مشاهداتهم البحث في مختلف فصوله.

وكتاب "معبد النعم ومبيد النقم" للسبكي توفي عام ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م قد أفاد البحث في اختيار الجاسوس وقدم بعض النصائح للحكام من أجل التعامل معهم.

وبالإضافة إلى هذه المصادر كانت هناك مجموعة كبيرة من المراجع الأبحاث الحديثة باللغات العربية والأجنبية التي عاونت في استجلاء غوامض هذه الدراسة وسهلت الرجوع إلى بعض المصادر المذكورة، وقد أشرت لبعضها في مقدمة الدراسة وأضربت صفحاً عن باقيها لكثرتها، واكتفيت بالإشارة إليها في هوامش الدراسة كما أثبتتها في نهاية الدراسة.

وفي النهاية أهدي باقات الشكر والعرفان لكل من مد لي يد العون وأفادني بالنصح والإرشاد، وأحسب أن كلمات الشكر والتبجيل لا تفي حق مشرفي الأستاذ الدكتور شلبي إبراهيم الجعيد أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد بجامعة المنصورة الذي أضاء لي طريق البحث العلمي بوافر علمه، وسديد رأيه، ودقة نصائحه وتوجيهاته، فلم ييخل علي بعلمه وجهده، كما أمدني ببعض الكتب والأبحاث التي عاونتني في بحثي، فكان بمثابة النبراس الذي صاحبني خلال رحلتي في هذه الدراسة حتى وصلت بها إلى بر الأمان فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذين الجليلين الأستاذ الدكتور/عبدالمجيد أبو الفتوح بدوى  
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة المنصورة.

والأستاذ الدكتور /البیومی اسماعیل الشریبى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد بكلية الآداب  
والعلوم الإنسانية جامعة قناة السويس على تفضلهما بالموافقة على مناقشة هذا العمل المتواضع.

كما أتوجه بخالص شكري وتقديري للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل الذي ساعدني في اختيار  
الموضوع، والدكتور علي السيد الذي فتح لي مكتبته على مصراعيها كي أتهل منها ما أفاد بحثي  
كثيراً.

وأخيراً أخص بالشكر والتقدير والاحترام والعرفان كلاً من جدى الذي وقف بجانبى وساعدني  
وشجعني على طريق العلم وأبي وأمي وإخوتي الذين عاشوا معي كل مراحل البحث ومدوا إلي يد  
المساعدة من جهدهم ووقتهم فجزاهم الله عني خير الجزاء.

ذلك مبلغى من العلم، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي.

والله ولي التوفيق

المعنى الثاني في الاستعارة

مفتي: مفتي مني الدحل جليل، وجماعة في لبنان العربي، الذين هم في الحقيقة "مفتي"

الشمس، من الجسم<sup>(٢)</sup> والحرارة الشمس والتربة<sup>(٣)</sup> كالإلهام وموتانية الجملة، وجبه جسماء  
مستعدة وألمة، يتفحص الأحيار، وتحدث عنها التحسين<sup>(٤)</sup>، والحجر، فمن المرق ويعرف  
بأن على الصلابة والسقم وبه اشق لفظ الجارسين<sup>(٥)</sup>.

من الشمس يرد، يحس جسمه، منه يرد يعرفه<sup>(٥)</sup> وجس الأرض حار، وثلثها<sup>(٦)</sup> رمال  
والسبعون إذا سأل عن الأخيار أهل فيها، والقائم بهذا العمل وسعى محمداً في سبيل  
تجسس الأمر إذا نظره وبطت عنه، ومنه التجسس، يقال: تجسس فلاناً أي بحثته، وقيل  
والتجسس (بالجاء المهملة) والتعريف من الحس. يقال: تجسسيت الخير، وتجسسنا بمعنى  
رسمنا الخير يتعدى لمداماً من الأخرى، لأن التجسس: البحث عما يتم، والتجسس (بالجاء  
مطلب الأخبار) والبحث عنها، يقال: تجسس الأمر إذا تاملته وبحثت عنه على وزن تفتق<sup>(٧)</sup>، كما  
قيل من الشمس لما في الشمس من الطلوع، قال تعالى: لو أنما شعاع<sup>(٨)</sup> فاحشون ممدون إذا  
لقد وهو من الأخيار<sup>(٩)</sup>، والتجسس بالسهم: التفتيش عن بولس الرسول وقيل التجسس

طور، لندن، غرب، خا، بروت، قطر، قطر، ۱۹۵۵ م، ص ۲.

المجلد : كمله جريد ، جزء : ص ٢٠

[illegible]

المؤلف: محمد يوسف الخاليف، د. المصطفى محمد بن رسول النخعي، بيروت: دار الفكر، 1991، 148 ص، 145

[illegible]

المجلد الثامن: تاريخ الدولة العثمانية، الجزء الثاني، ص ٢١٢.

المجلد الثاني - العدد الثاني - ١٩٨٥

طور: الحضانة العربية - مصر

الكرشم بدور ۲۰۰۰، تهران، آبان ماه ۱۳۸۵.

تقریر الحقیقہ فی غریب الہدیۃ، دہلی: مطبعہ علی سیدنا، ۱۳۰۸ھ۔

SECRET

## التمهيد

### أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للتجسس:

التجسس: مشتق من الفعل جس، وجاء في لسان العرب "جس الخبر وتجسس بحث عنه وفحص"<sup>(١)</sup>.

والتجسس: من "الجس"، والجس: اللمس باليد<sup>(٢)</sup> كالاكتساف وموضعه المجسدة، يجسه جساً، واجتسه أي: مسه ولمسه، ويتفحص الأخبار والبحث عنها كالتجسس<sup>(٣)</sup>، والجس: مس العرق وتعرف نبضه للحكم على الصحة والسقم ومنه اشتق لفظ الجاسوس<sup>(٤)</sup>.

وجس الشيء بيده يجسه جساً: مسه بيده ليتعرفه<sup>(٥)</sup> وجس الأرض جساً: وطئها "وطأها"<sup>(٦)</sup> ويقال تخبر الخبر، واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها، والقائم بهذا العمل يسمى مخبراً أو صاحب الخبر<sup>(٧)</sup>، وتجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه، ومنه التجسس. يقال تجسست فلاناً، أي بحثت عنه كتجسست. والتجسس (بالحاء المهملة): التعرف من الحس. يقال تجسست الخبر، وتجسسته بمعنى واحد لتقاريهما، فليس يتعدى إحداهما من الأخرى، لأن التجسس: البحث عما يتم، والتجسس (بالحاء المهملة) طلب الأخبار والبحث عنها، يقال: تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه على وزن "تفعل"، كما أن التطلب من اللمس، لما في اللمس من الطلب، قال تعالى: "وأنا لمسنا السماء"<sup>(٨)</sup> فالمعنيان متحدان إذ مألها واحد، وهو معرفة الأخبار<sup>(٩)</sup> فالتجسس بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور، وقيل التجسس

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج٦، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥م، ص٣٨.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٣٨.

(٣) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مح٤، ج٢، دراسة وتحقيق على شيرى، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م، ص١١٩.

(٤) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، ج١، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٠م، ص٢٤٣.

؛ سعيد أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢م، ص٦٢.

(٥) عبد الله البستاني: فاكهة البستان، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٣٠م، ص٢١٢.

(٦) إبراهيم أنيس: المعجم الوجيز، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠م، ص١٠٥.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٣٨.

(٨) القرآن الكريم: سورة الجن، آية رقم ٢١٨.

(٩) الزمخشري: اللائق في غريب الحديث، ج١، ط٢، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩١هـ، ص٢١٤.

بالجيم أن يطلبه لغيره، وبالحاء أن يطلبه لنفسه، وقيل بالجيم : البحث عن العورات، وبالحاء الاستماع لحديث القوم وطلب خبرهم في الخبر<sup>(١)</sup>.

وبالنظر إلى هذه الأقوال يتضح أن التجسس والتحسس معناهما واحد، فكلاهما يعني البحث عن الأخبار وتفحصها بصورة خفية، ومعرفة الأمور، والبحث عنها وطلبها<sup>(٢)</sup>.

وأما المعنى الاصطلاحي للجاسوس فقد وردت عدة تعريفات بشأنه منها: أن الجاسوس هو الشخص الذي يعمل في الخفاء أو تحت ستار؛ فيحصل أو يحاول الحصول على المعلومات في منطقة الحركات العسكرية لأحد المحاربين بغية إيلاعها للخصم<sup>(٣)</sup>، فالجاسوس والجسس الذي يتبحث أخبار الناس للحكام<sup>(٤)</sup>.

ونستنتج من التعريف السابق للجاسوس أن التجسس هو: البحث والتفتيش عما يخص من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو، بواسطة أجهزة التجسس بقصد الإطلاع عليها والاستفادة منها في إعداد خطة المواجهة.

فالجواسيس عناصر قتالية، وإن لم يباشروا القتال الفعلي فهم يقاثلون العدو داخل صفوفه من خلال كشف خططه ونواياه. ويتوقف على المعلومات التي يقدمونها وضع الخطط الحربية، لذلك فالجواسيس عناصر عسكرية أو مدنية تؤدي خدمات لا غنى عنها للقيادة<sup>(٥)</sup>. وتتسع مهمتهم حتى تشمل معرفة نوايا خصوم الدولة؛ سواء من المعارضين، أو المناوئين، أو معرفة جواسيس العدو وعيونه ومعرفة أخبار المواطنين والرعية بشكل عام<sup>(٦)</sup>.

(١) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، ج١، ص ٢١٤ .

(٢) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ط٢، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨٥م، ص ٢٥.

(٣) وهبه الزحيلي: العلاقات الدولية مقارنة مع القانون الدولي الحديث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م، ص ٦١.

(٤) محمد فريد وحدي: دائرة معارف القرن العشرين، ج٣، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، ص ١٠٦.

(٥) خالد جاسم الجنائي: حضارة العراق، ج٦، مقال: الجيش والشرطة، بغداد، ١٩٨٤م، ص ٢٥٤.

(٦) عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات عند العرب والمسلمين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م، ص ٩٠.

وهناك مترادفات للجواسيس، إذ وردت بمعنى "العيون"، ومفردتها "عين، والعين: هو الشخص الذي يُبحث ليتحسس الخير، وينظر للقوم، ويسمى ذا العينين، وتسميه العرب ذا العُينين، وبعثنا عيناً بعثاننا، وبعثان لنا: أي يأتينا الخبر<sup>(١)</sup>.

كما أن العين هو: الجاسوس، لأنه يتتبع الأخبار ويفحص عن بواطن الأمور، ثم استعير لنظر العين، والعين هو الجاسوس<sup>(٢)</sup>.

وبالنظر إلى ذلك يتضح لنا أن الجاسوس هو العين الذي يتجسس الأخبار ثم يأتي بها<sup>(٣)</sup> نقول: "عان القوم ولهم عيانه، صار عينا لهم، وصار عينا عليهم، كان عينا عليهم"<sup>(٤)</sup>. وقد ذكرت معظم كتب الفقه "الجاسوس" بمعنى العين،<sup>(٥)</sup> وسمي بالعين لأن عمله بعينه<sup>(٦)</sup>.

ونجد أن كلمة عين ترد ملازمة مع كلمة جاسوس بمعنى الرقيب، ومن ثم فإنه لا يمكن في جميع الأحوال أن نميز بين الكلمتين، ولا يكاد المرء يستطيع أن يناقش إحداها دون الرجوع إلى الأخرى، على أن الظاهر أن كلمة جاسوس تستعمل بصفة أخص للدلالة على العين الذي يرسل بين صفوف العدو<sup>(٧)</sup>.

ووردت - أيضاً - بمعنى "الريئة" حيث سمت القبائل العربية قبل الإسلام للشخص الذي يجمع أخبار العدو، ويبحث عن مواقع ضعفه وعن حركاته وسكناته "الريء" أو "الريئة". والريئة هو الطليعة، والجمع ربايا<sup>(٨)</sup> والطليعة هو العين، وإنما يقال له عين لأنه يرعى أمورهم ويحرسهم. وهو ينظر القوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون الريئة إلى على جبل أو شرف ينظر منه<sup>(٩)</sup>.

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص ٣٠١-٣٠٣ ؛ الخزاوي التلمساني: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله (ﷺ) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٥م، ص ٤٦٦.

(٢) المناوي: التوقيف على مهمات التعريف، ج١، ص ٣٤٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص ٣٨.

(٤) إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ج٢، ط٢، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص ٦٤١.

(٥) ابن عابدين: حاشية ابن عابدين، ج٣، القاهرة، دار الطباعة المصرية، ١٩٧٢م، ص ٢٤٩.

(٦) عبد الغني: العيون والجواسيس منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب طنطا، ٢٠٠٣م، ص ٢٧.

(٧) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه، ص ٢٩ ؛ عبد الغني: العيون والجواسيس، ص ٢٨.

(٨) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٨٢ ؛ التلمساني: تخريج الدلالات السمعية، ص ٣١١.

(٩) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٨٢.

ومنها أيضاً الدسائس، وهي دسيس: ويعني إدخال الشيء من تحته، دسه يدسه دساً فاندس ودسسه ودساه، ويقال الدس دساً شيئاً تحت شيء وهو الإخفاء، والدسيس: إخفاء المكر. والدسيس: من تدسه ليأتيك بالأخبار، وقيل الدسيس: شبيه بالمتجسس، ويقال: اندس فلان إلى فلان يأتيه بالإنمائ<sup>(١)</sup>.

ومنها أيضاً الخيانة أو الخونة: خون المخانة: خون النصح وخون الود، والخون على محن شتى. وفي الحديث: المؤمن يطبع على كل خلق إلا الخيانة والكذب. ويقول ابن سيده: الخون أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح، خانه يخونه خوناً وخيانة وخانه ومخانه، وخون الرجل: نسبة إلى الخون. وفي الحديث: نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً لئلا يتخونهم أي يطلب خيانتهم وعثراتهم ويتهممهم<sup>(٢)</sup>، وذلك لأن أصل الخيانة النقص لأن الخائن ينقص المخون شيئاً مما خانه فيه، والخيانة هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج٨، ص ٢٨٥. ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص ٨٢-٨٣.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص ١٤٤.

(٣) المرتضى الزبيدي: تاج العروس، ج١٨، ص ١٨٣.



## الفصل الأول

### إدارة التجسس

كانت الأنشطة التجسسية الموجهة ضد الأهداف الخارجية والداخلية من اختصاص قسم مستقل بذاته في العصر الأيوبي أطلق عليه " العيون والجواسيس" وكان ذلك لتعرف أخبار الأعداء. وعندما جاءت الدولة المملوكية طورت من استخداماتها للعيون والجواسيس من أجل مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية<sup>(١)</sup>، ووضعتهم تحت إشراف السلاطين والقادة العسكريين في أول الأمر<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لانشغالهم في أمور متعددة أسندوا إدارته إلى شخص يتقن فيه، فأسندوه إلى صاحب ديوان الإنشاء والذي كان يستعين في إدارته بمجموعة من الأفراد للقيام بأعماله<sup>(٣)</sup>. وكان رئيس ديوان الإنشاء وهؤلاء العمال عبارة عن البنية الأساسية للهيكل التنظيمي لهذا الجهاز.

#### أولاً:- ديوان الإنشاء والتجسس

ظهرت أهمية ديوان الإنشاء منذ أن أدرك الإنسان حاجته إلى تهذيب ألفاظه، واستخدام الصناعات البديعية في كثير من شئونه<sup>(٤)</sup>، وبدت فيما ذكره ابن شاهين الظاهري أهمية كتابة الإنشاء حين جعلها من " مقومات الملك وقواعد المملكة"، كما عدَّ صاحبها من أهم أعوان السلطان وأقربهم مقاماً إليه بوصفه مطلعاً على أسراره وكائناً لها في الوقت نفسه<sup>(٥)</sup>. وقد ظهر لأول مرة مصطلح " ديوان الإنشاء" خلال العصر الفاطمي<sup>(٦)</sup> وقد دعت الحاجة إليه

(١) Amitai: Mamluks and Mongols, Cambridge, 1995, p.140.

(٢) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٢٩٩.

(٣) المقرئزي: الخطط المقرئزية المعروفة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٢، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٦ هـ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨؛ عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٥٣ م، ص ١١٠؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، ج ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٩ م، ص ٦٥.

(٤) الطبري: عيون المسائل في أعيان الرسائل، رتبته وطبعه محمد عمر الحسامي الفيروتي، القاهرة، مطبعة السلام، ١٩٦١ م، ص ٣٣؛ سند أحمد: البريد في عصر سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، ٢٠٠٠ م، ص ٤٩.

(٥) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ط ٢، صححه بولس راويس، نقحه توفيق نسيم، القاهرة، دار العرب للبستاني، ١٩٨٨ م، ص ٩٩-١٠٠.

(٦) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ٢، القاهرة، دار للنهضة العربية، ١٩٦٥ م، ص ٦٦٨.

آنذاك بعد أن صارت مصر مركزاً لخلافة امتد نفوذها من بلاد المغرب إلى الشام وجزيرة العرب<sup>(١)</sup> إلى جانب حاجة الدولة الفاطمية لمراقبة الناس والاطلاع على أحوالهم ومتابعة أخبار أعدائها وبالتالي اهتمت بديوان الإنشاء كثيراً<sup>(٢)</sup>، ثم زاد اهتمام الخلفاء الفاطميين به، وأولوه عنايتهم حتى ارتقى في الآفاق<sup>(٣)</sup>، وصار مظهراً من مظاهر الاستقرار والأصالة السياسية والإدارية<sup>(٤)</sup>؛ لدرجة أن المرء يخال للوهلة الأولى أن صاحب ديوان الإنشاء هو المسئول عن الاستخبارات، نظراً للأهمية التي كان يتمتع بها عند الخلفاء الفاطميين<sup>(٥)</sup>. وكان أغلب عناصر الاستخبارات الفاطمية قد انتشروا في ديوان الإنشاء<sup>(٦)</sup>، وهذا يدل على أن ديوان الإنشاء كان المشرف الأساسي والمسئول الأول عن عمليات التجسس والتخابر في العصر الفاطمي.

ومع سقوط الدولة الفاطمية ومجيء الدولة الأيوبية اهتم الأيوبيون كثيراً بديوان الإنشاء وأولوه عناية خاصة، وقد كان اهتمامه به ليقوم ضمن ما يقوم به بالإشراف على عمال التجسس، فأصبحت إحدى المهام الأساسية له في العصر الأيوبي ممارسة مهام التجسس في وقت كانت الدولة الأيوبية في أشد الحاجة لذلك نتيجة صراعهم وحروبهم المتواصلة مع الصليبيين وأثناء فترات النزاع الداخلي بين أبناء البيت الأيوبي خاصة بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي في ٢٧ صفر ٥٨٩ هـ / ٤ مارس ١١٩٣ م.<sup>(٧)</sup>

ومع اعتلاء سلاطين المماليك العرش بلغ ديوان الإنشاء أوج ازدهاره، وصار أحد الدعائم الأساسية التي ارتكز عليها النظام الإداري، حيث وضعت له الضوابط والشروط التي جعلت منه إدارة مستقلة بذاتها، وكفلت له الرقي والازدهار<sup>(٨)</sup>. وقد ساعد على ازدهار ديوان الإنشاء في هذا العصر استمرار مصر في إدارة دفة السياسة الإسلامية باعتبارها قلب العالم الإسلامي، ونظراً لكثرة اتصال المماليك بالصليبيين والمغول على

(١) أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ج ١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م، ص ٨٥.

(٢) حسن محمد ومحمد عبد القادر: صاحب الخبر في الدولة الإسلامية، العين، مركز الدراسات، ٢٠٠٣م، ص ٣٩٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٨م، ص ٩٦.

(٤) سوسن محمد نصر: القاضي الفاضل وصلاح الدين، القاهرة، دار الزهراء، ١٩٩٠م، ص ١٥٩.

(٥) أصفان الصغير: المؤسسات الإدارية في الخلافة الفاطمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٢٢٣.

(٦) أصفان الصغير: المؤسسات الإدارية، ص ٢٢٥.

(٧) صلاح الدين البحيري: المخابرات الإسلامية في مواجهة الخطر الصليبي، مجلة كلية الآثار، ع ٣، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١٨.

(٨) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٥١.

نطاق واسع<sup>(١)</sup>، وازادت أهميته نتيجة للاضطرابات التي منيت بها دولة المماليك في أول عهدها، فمن القضاء على الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وتهديد حدود الدولة المملوكية، ومن إخماد الفتن والمؤمرات، إلى إرسال البعثات السياسية للتجسس وطلب التأييد والنجدة، بالإضافة إلى النشاط الحربي، فنتج عن ذلك أن زاد نشاط هذا الديوان زيادة أدت إلى تعدد اختصاصاته، بل والمبالغة في التخصص حتى وصل إلى درجة كبيرة من التفريع في سائر مهماته.<sup>(٢)</sup>

(٢) وكان يقوم بالإشراف على الأمور التي يعود نفعها على الدولة<sup>(٣)</sup>، و يسند له ما يسند لأجهزة المخابرات في الدولة الحديثة؛ من اهتمامه بالرقابة على الشئون الداخلية في الدولة<sup>(٤)</sup>، ومعرفة أخبار الولايات بالإشراف على جهاز البريد والعناية بأبراج الحمام الزاجل، والاهتمام بالمناور على قمم الجبال لإشعال النيران في حالة قيام المغول أو الصليبيين بالإغارة على حدود المملكة.<sup>(٥)</sup> ويجب عليه تتابع النظر في مطاراته وعدته ورجاله ودوابه ولقطه وأبراجه المقررة له ومسافات التسريح.<sup>(٦)</sup>

ومن مهامه - أيضاً - اختيار العيون والجواسيس، وإرسالهم إلى أراضي الأعداء، وبثهم بين صفوفهم؛ ضماناً لوصل أخبارهم إليه باستمرار الذي يقوم هو بدوره بإخبار السلاطين بهذه الأخبار فتأمن بذلك الدولة من شرهم وغاراتهم، وتعد العدة لمواجهتهم، ويؤكد صاحب الأعشى على ذلك بقوله "... وهو جزء عظيم من أسس الملك وعماد المملكة، وعلى صاحب ديوان الإنشاء مداره، وإليه رجوع تدبيره، واختيار رجاله، وتصريفهم".<sup>(٧)</sup>

(١) عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك، ج-١، ص ٥٤؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٥١.

(٢) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م، ص ٢٧-٢٨.

(٣) حسن فرحات: الدواوين في مصر في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م، ص ٥٧.

(٤) حسن فرحات: الدواوين في مصر في العصر الأيوبي، ص ٧٧.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج-١، ص ٩٢-٩٣؛

Björkman, Beitrage Zur Geschichte der Staats Kanzlei im Islamischen Ägypten, Hamburg, 1928, p.89.

(٦) السحماوي: المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب المنصورة، تحقيق أشرف أنس، ٢٠٠٤م، ص ٤٠٦.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج-١، ص ٣١؛ ج-١١، ص ٩٢-٩٣؛ علي السيد: الجاسوسية في عصر سلاطين المماليك، مجلة فكر، ع ١٠، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٣٦؛ سمير الدروبي: أبحاث حركة الترجمة والتعريف في ديوان الإنشاء، جامعة مؤتة، ٢٠٠٦م، ص ٤.

كما كان يبتهم — أيضاً — حول نواب السلطنة في سائر الولايات لقمع أي تمرد أو عصيان من جانبهم في مهده<sup>(١)</sup>، ولهذا كان صاحب ديوان الإنشاء لا يشرف على الجواسيس للتجسس على أعداء الدولة من الصليبيين والمغول فقط بل كانوا يوجهون إلى داخل الولايات والنيابات التابعة للدولة المملوكية للتعريف على أخباره ويؤكد على ذلك أيضاً صاحب ضبح الأعشى بقوله "... فيجب عليه الاحتياط في أمر الجواسيس أكثر مما يحتاط في أمر البريد والرسول؛ لأن الرسول قد يتوجه إلى الصديق وقد يتوجه إلى العدو، والجاسوس لا يتوجه إلا إلى العدو".<sup>(٢)</sup>

وكان يهتم بأمر الفداوية "الإسماعيلية"<sup>(٣)</sup>، فكانت من المهام الأساسية والخطيرة لصاحب ديوان الإنشاء معرفة ما يتجدد من أخبارهم باعتبارهم أخطر فرق الشيعة على حياة السلطان، كما أنهم أصبحوا بعد ذلك الأداة المنفذة للاغتيالات السياسية في ذلك الوقت<sup>(٤)</sup>.

وكان من مهام ديوان الإنشاء قيامه بالإشراف والنظر في أمر "المهندارية"<sup>(٥)</sup>، والإشراف على الترجمة ومباشرة أمورهم بحيث إذا ما وردت رسالة من عمال الجهاز في الخارج عكفوا على ترجمتها حتى إذا ما فرغوا منها قاموا بعرضها على رئيس الديوان الذي يقوم بدوره بقراءتها على السلطان.<sup>(٦)</sup>

وكان يقوم بالإشراف على السعاة والنجابة وحاملي الملطفات<sup>(٧)</sup>، وتدريب الرسل والاعتناء بهم،

بهم،

(١) القلقشندي: ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، ج ١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٠٦م، ص ٤٤-٤٥؛ البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص ٢٨٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٥٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣١، ج ١١، ص ٩٢-٩٣.

(٣) الفداوية: فرقة من الشيعة أسسها الحسن بن الصباح، والفداوية هم عماد التنظيم النزارى وقوته الضاربة وذراعه العسكري التي طالت كل المناوئين للدعوة النزارية، بحيث أوقعوا الرعب والفرع في مجالس العلماء والوزراء، وفي بلاط الملوك والسلاطين، وفي نفوس كل الأعداء والمعادين. محمد المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٥م، ص ٦٧.

(٤) حسن الباشا: الفنون، ج ٢، ص ٦٧٠-٦٧١؛ سمير الدروبي، البواعث حركة الترجمة والتعريب، ص ٤-٥؛

Björkman: , Beitrage Zur Geschichte der Staats Kanzlei , Hamburg , p. 89.

(٥) المهندار: - الجمع مهندار يفتح الميم، وهو فارسي معرب وأصله "مهم" ومعناه الضيف، "ودار" ممسك أي ممسك الضيف، السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٢٠٤.

(٦) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٧.

(٧) وهي عبارة عن أوراق، تكتب بخط رفيع، ويشملها الخط الشريف، بقلم الملطفات، ويكون مكتوباً

مكتوباً فيها ما يقصده السلطان من الأمور، ويلف كالبطاقة السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٩٩.

وكان يتم عمل اختبارات لهم لانتقاء من يصلح منهم للرسالة نظراً لعمله في التجسس على الأعداء. (١)  
ومن هنا أرى أن إشراف صاحب ديوان الإنشاء والنظر في أمر هؤلاء ينصب في إطار أنهم  
كانوا من الوسائل المساعدة إما في نقل الأخبار التي جمعها عمال التجسس أو القيام بعملية التجسس  
بأنفسهم.

وتوضح النصوص المتاحة لدينا عظم دور ديوان الإنشاء في الإشراف على عمال التجسس  
لأنه كان مطلع على كل أحداث الدولة وما يجري فيها في الداخل والخارج، والدليل على ذلك أنه تعهد  
السلطان بأنه لا يقضى أسرارها التي علمها من عمال التجسس سواء الداخلية والخارجية. (٢)  
ونظراً لحاجة الدولتين - الأيوبية والمملوكية - للتجسس في ذلك الوقت بصورة كبيرة، حيث  
إنه لا يستقيم إلا إذا كان رئيسه على درجة كبيرة من الكفاءة، لذا نجد أن السلاطين قاموا بوضع بعض  
الشروط والصفات الواجب توافرها فيمن يعتلي هذا المنصب. مما يدل على عظمة ومكانة رئيس هذا  
الديوان بين سائر الوظائف الأخرى.

وقد أوردت بعض المصادر الشروط والصفات الواجب توافرها في رئيس ديوان الإنشاء ،  
ومنها أن يكون من كتمان السر بالمنزلة الكبيرة التي لا يقارن فيها بأحد من الناس وذلك حتى يقرر في  
نفسه إمانة كل حديث يعلمه، ويتناسى كل خبر يسمعه من عمال جهازه، ولا يطلع أي أحد على هذه  
الأخبار إلا السلطان فقط؛ وذلك لأن إذاعة هذه الأخبار وإفشائها تعرض الدولة لأخطار كبيرة جداً. (٣)  
وكان عمال التجسس عندما يرسلون الأخبار عن الأعداء يستخدمون رموزاً وإشارات  
متعارف عليها بينهم وبين رئيس الديوان حتى لا يعلمها أحد وهو ما سوف نتحدث عنه في الفصل  
التالي؛ لذلك يجب أن يكون صاحب ديوان الإنشاء "بأعلى منزلة من الذكاء والفطنة واليقظة،  
والاستدلال بيسير القول على كثيرة ، ويستغني عن التصريح بالإشارة والإيماء لا بل بالرمز والإيحاء  
لبنيه الملك على الأمور من أوائلها، ويعرفه خواتيم الأشياء ، ويحذره حين تبدو له لوائح الأمر قبل أن  
يتعرف عليها أحد. (٤)

ولما كانت الأخبار التي تأتي إليه من داخل بلاد الأعداء من جواسيسه الموجودين هناك كانت  
بلغات غير العربية، فكان من الواجب أن يكون عارفاً بلسان هذه الكتب ليترجمها بدلاً من الترجمة  
الذين كانوا في أحيان كثيرة يخونون الدولة ، ويفشون هذه الأخبار. (٥)

(١) سعيد عبد الله حارب: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، ص ٢٩٥

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٩.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧؛ ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل، تحقيق أيمن فؤاد

سيد، بيروت، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م، ص ١٢-١٣.

(٤) ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل، ص ١٩.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٦٧.

ولخطورة منصب رئيس الديوان لكونه رئيساً للتجسس، فكان يشترط في صاحب ديوان الإنشاء أن يكون مسلماً وذلك لضمان السرية<sup>(١)</sup>، وذلك لأن أغلب النزاعات التي كانت مع الدولتين الأيوبيين والمملوكية كانت نزاعات مع غير المسلمين. ممثلين في الصليبيين والمغول، وبالتالي فكانوا يخشون أن يتولى هذه الوظيفة شخص غير مسلم فيميل لأبناء دينه ويطلعهم على أخبار الدولة وأخبار الجهاز فيضر بمصالح الدولتين.

ومما سبق يتضح لنا أن الشروط السابقة تساعد صاحب ديوان الإنشاء وتؤله لأن يكون متفوقاً في إدارة عمال التجسس، ولأهمية الجواسيس عند سلاطين الأيوبيين والمماليك نجد أنهم وضعوا رئيس الديوان في مكانة عالية، لدرجة جعلتهم يأتمنونهم على أدق أسرارهم، ويخصونه بخفايا أمورهم، حيث صار له الإشراف على معظم أمور الدولة، وكان إشرافه على الجواسيس أولى هذه المهام حتى إن الملك " لا يضع في أمر مملكته حرفاً إلا على ما يخرج من مشورته بعد إطلاعه عليه " <sup>(٢)</sup> وفي هذا يقول الشاعر:-

وللإنشاء ديوان عظيم      له يختار كل فتى أريب  
يكون السر منه في مكان      كقلب العاقل يقطر اللبيب<sup>(٣)</sup>

ولقد كان شافع بن علي يتولى رئاسة ديوان الإنشاء في عهد المنصور قلاوون السرية، وكان مطلع على ما لم يطلع عليه أحد غيره.

وكان قد تم تعيينه في منصب رئيس الديوان في عهد السلطان المنصور قلاوون بعد ما كان يتم الإشراف عليه من قبل الدوادار، وأصبح الدوادار في المرتبة التي تليه.<sup>(٤)</sup> وأطلق على منصب رئيس ديوان الإنشاء عدة ألقاب منها كاتب السر، أو كاتب السر، أو ناظر الإنشاء الشريف وناظر دواوين الإنشاء الشريف ومؤمن المملكة بالديار المصرية - أي المسير

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج: ٢، ق ١، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٣م، ص ٣٦٤؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، ج: ١، ص ٥٣؛ على السيد: الجاسوسية، ص ١٣٦-١٣٧.

(٢) سوسن نصر: القاضي الفاضل، ص ١٦٧؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٥٤؛ حسن فرحات: الدواوين في مصر، ص ٥٧.

(٣) النابلسي: لمح القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، تحقيق كلود كاهن، القاهرة، (د.ن.)، (د.ت.)، ص ١٩.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج: ١٠، ط ٢، اعتناء جاكين سوبلة، علي عمارة، بيروت، وزارة الأبحاث العلمية، ١٩٩١م، ص ٢٨٢؛ شافع بن علي: الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٨م، ص ٢٤.

لأمرها الخارجية ، ومن ألقابه أيضاً حافظ الأسرار. (١) وكل هذه الألقاب إن دلت على شيء فإنها تدل على مدى خطورة هذا الشخص لما يعلمه عن الكثير من أمور الدولة السياسية.

وكان صاحب ديوان الإنشاء في سائر الولايات الشامية يماثل نظيره في مصر في علو المنزلة، ورفعة المكانة، وتعدد الاختصاصات ، والإشراف على عمال التجسس الموجودين في بلاد الشام (٢)، كما كان من مهامه القيام بالتجسس على النائب لحساب السلطان، ويطلع السلطان على ما قد يخفيه النائب عنه. (٣)

وكان صاحب ديوان الإنشاء يتقاضى أجراً شهرياً قدره مائة وعشرون ديناراً، عدا الإقطاعات التي كانت تغدق عليه، والخلع والهدايا والملابس (٤).

ومع تعدد اختصاصات صاحب ديوان الإنشاء وكثرة مهام عمال التجسس في ذلك الوقت كان لا بد من وجود طائفة من معاونين له لإدارة هؤلاء العمال، وهو ما نطلق عليه في أيامنا جهاز المخابرات الخاص بالدولة.

ويأتي في المرتبة الثانية " نائب كاتب السر " ، فكان يشرف على عمال التجسس في حالة غياب رئيس الديوان، لذا كان واجباً عليه أن يكون ملماً بصفات رئيس الديوان وشروطه، ومطلعاً على كل صغيرة وكبيرة فيه، حتى يتسنى له الإشراف على ما كان يقوم به رئيس الديوان من الأمور المهمة، كان يرسل القصاد والسعاه إلى بلاد العدو لتجسس أخبارهم. (٥)

وكان ديوان الإنشاء يشتمل على عمال يقومون بقراءة رسائل عمال التجسس الموجودين في بلاد العدو ، ويحررون رسائل تحمل التعليمات والمهام التي كانوا يكلفون بها ، وجميعها كانت تصدر من ديوان الإنشاء وتأتي إليه . وكان من بين هؤلاء كاتب على درجة كبيرة من الأهمية يتولى مكاتبات

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص ٤٥ ؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ٩٨ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٨ ، القاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م، ص ٣٥ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٦ ؛ علي السيد: الإسهام العسكري المصري في موقعة عين جالوت، القاهرة، مجلة موالك النور، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م ، ص ٣٧٠.

(٢) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٥٧.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨٩ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م ، ص ٣٢٨-٣٢٩ ؛ عفاف سيد محمد: ديوان الإنشاء وتطوره في عصري الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٧٠م ، ص ٢٤٢.

(٤) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٥) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٣٤ ؛ علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر بوجه خاص، القاهرة، (د. ن)، ١٩٤٤م، ص ٥٩.

الدولة المهمة كلها والسرية<sup>(١)</sup>، و يشترط فيه أن يكون عارفاً باللغات الأجنبية وخاصة اللغة الفرنسية.  
(٢)

وحرصاً من صاحب الديوان على سرية هذه الرسائل، فكان يتحرى السرية عند كتابتها وعند فضها، ولا يلقى السر إلى كاتبين معاً، ولا يخاطب فيه أحدهما بحضور الآخر لتكون العهدة في دركة واحد بعينه، وذلك حتى لا يقوم الثاني بإفشاء السر وتكون المسؤولية على الأول فيتهم في ذلك.<sup>(٣)</sup>

كما كان هناك موظفون موجودين بجانب صاحب ديوان الإنشاء، يعرفون بالمهمات الدقيقة، سمي أحدهما " المخرج " والآخر " المتصفح " وكانا من ضمن شعبة المخابرات، وكانت وظيفتهما أو مهمتهما داخل الديوان تتمثل في مقارنة المسودات مع المبيضات - وكانوا مكلفين أيضاً بالإخبار عن أية إشارة، أو أقل أمر، أو أدنى تحرك مشكوك فيه<sup>(٤)</sup>، نظراً لوجود ما يعرف بالشفرات<sup>(٥)</sup> السرية في الكتابات التي كانت تأتي من عمال التجسس إلى الديوان وهو ما سوف نتحدث عنه في الفصل التالي.

ولخطورة الرسائل التي تأتي من العمال إلى الديوان كان يتم الحفاظ عليها؛ وذلك نظراً لما تحمله من معلومات خطيرة جداً، ولهذا كان هناك موظف مختص بتأمين الوثائق والمعلومات ذات السرية العالية وهو الذي أطلق عليه في ذلك الوقت لقب " الخازن "، كان يكلف بحفظ هذه الرسائل ولا يخرج منها أي رسالة لأي أحد حتى لا يضر بالدولة<sup>(٦)</sup>، وفي عصر القلقشندي حل محله دوا دار كاتب السر.<sup>(٧)</sup>

وللحفاظ على السرية التامة والكاملة لديوان الإنشاء وحماية عمال التجسس وحماية رسائلهم والمعلومات الخاصة بهم، كان يوجد " حاجب الديوان " وهو ما يعرف في عصرنا الحالي " بضابط الأمن "<sup>(٨)</sup>، ومهمته ألا يمكن أحداً من سائر الناس أن يدخل إليه، ما خلا أهله الذين هو معروف بهم (عماله) فإنه يجمع أسرار السلطان (أي أسرار الدولة) ومن الواجب كتمها، ومتى أهمل ذلك لم يؤمن

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٣٢؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٦.

(٢) عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك، ج ١، ص ٥٥-٥٦؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٦٠.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٠٨.

(٤) أجناف الصغير: المؤسسات الإدارية، ص ٢٢٤.

(٥) الشفرة: يقال إن كلمة شفرة مأخوذة من الكلمة العربية (صفر) كما أنها مرتبطة كذلك بالكلمة العبرية (ساذار) ومعناها رقم، وفي الشفرة يحل الرمز أو الحرف أو الرقم محل حرف آخر في الكلمة، فهي تعبير عن أسلوب تحويل لغة الرسالة من لغة مفهومة إلى لغة غير مفهومة يكون قد تم الاتفاق عليها وعلى رموزها بين المرسل والمرسل إليه مسبقاً. سلامة الهرفي: المخابرات في الدولة الإسلامية، الرياض، المركز العربي، ١٩٨٩م، ص ١٧.

(٦) أجناف الصغير: المؤسسات الإدارية، ص ٢٢٥.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٣٥-١٣٦؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٨) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

أن يطلع منها على ما يكون بإظهاره سبب سقوط مرتبته، وإذا كثر الغاشون له والداخلون إليه، أمكن أهل الديوان معه إظهار الأسرار اتكالاً على أنها تنسب إلى أولئك، فإذا كان الأمر قاصراً عليهم احتاجوا إلى كتمان ما يعلمونه خشية أن ينسب إليهم إذا ظهر<sup>(١)</sup>، وينكر للقلقشندي أنه على عصره حل بؤادار كاتب السر محل هذا الحاجب.<sup>(٢)</sup>

ونجد أن جهاز التجسس والاستخبارات كان في فترات يتميز بالقوة والازدهار، وفي فترات أخرى يضعف، فعندما تكون الدولة قوية يكون الجهاز قوياً وعندما تضعف الدولة يكون الجهاز ضعيفاً لعدم الاهتمام به، وينعكس ضعف الدولة على الجهاز بأن يتولى إدارة الجهاز أناس غير أكفاء، نتيجة للرشوة والبنل للحصول على الوظائف المهمة.<sup>(٣)</sup>

وهو ما حدث لصاحب ديوان الإنشاء حيث نجد أنه في فترات أصبح يتولى الوظيفة مقابل دفع مبالغ من المال مما أدى إلى تقصيره في مهامه وأصبحت وظيفته في ذلك الوقت وجودها كالعدم.<sup>(٤)</sup>

وكانت هذه الفترة هي فترة زمن سلاطين المماليك الجراكسة وهي الفترة الواقعة بين سنتي ( ٧٨٤هـ - ٩٢٣هـ / ١٣٨٢م - ١٥١٧م ) ففيها تولى الوظيفة ستة وثلاثون كاتباً للسر بينهم سبعة عشر لم يمتكثوا في هذه الوظيفة سوى بضعة أشهر، ولا نجد تفسيراً لهذا سوى شره سلاطين المماليك للمال بعد أن أصبحت هذه الوظيفة لا تمنح إلا بالبنل والبرطلة، على عكس كاتب السر زمن الأيوبيين والمماليك البحرية من عام ( ٥٦٧ - ٧٨٤هـ / ١١٧١م - ١٣٨٢م ) حيث باشره عدد قليلاً جداً، وكانوا جميعاً من أعلام الأدباء، وكان عددهم قليلاً جداً إذا ما قورن بعددهم زمن المماليك الجراكسة.<sup>(٥)</sup>

ويتضح مما سبق أن ديوان الإنشاء كان من أهم دواوين العصرين الأيوبي والمملوكي، وقد تمتع رئيسه بمكانة مرموقة بين رجال البلاط، كما كانت إدارة جهاز التجسس تابعة له، وقد تمتعت بقسط وافر من الأهمية، فعن طريقها كان سلاطين الأيوبيين والمماليك يعرفون كل صغيرة وكبيرة تدور داخل أرواحهم وخارجها.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج-١، ص ١٣٦-١٣٧؛ ابن الصيرفي: القاقون في ديوان الرسائل، ص ٢٠؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٢) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٣) حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص ١٤.

(٤) أحمد عبد الرازق: البنل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ٨٠.

(٥) أحمد عبد الرازق: البنل والبرطلة، ص ٧٦؛ ماجدة مصطفى نادي: قلعة الجبل في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٦٤.

## ثانياً: عمال التجسس:

اعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك على مجموعة من العمال قام كل منهم بوظيفة محددة<sup>(١)</sup>، وكان من هؤلاء العمال من يقوم على خدمة التجسس بصفة أساسية ، وهم الذين يتولون مهمة جمع الأخبار ثم توصيلها إلي السلاطين<sup>(٢)</sup> ، ويجب عليهم عدم التباطؤ في نقل الأخبار حتى لا يحدث من ذلك المفسد<sup>(٣)</sup> ، ومنهم من يقوم بالإشراف الإداري على العمال السابقين ويقوم بتنظيمهم ويعاونون صاحب ديوان الإنشاء في ذلك إلى جانب مباشرة مهام وظائفهم الأساسية<sup>(٤)</sup> ، وعلى الرغم من أن هؤلاء كانوا يقومون جميعاً بعملية التجسس ونقل الأخبار إلى السلطة الحاكمة فإنه كان هناك اختلاف بين كل واحد منهم من حيث مهامه وواجباته<sup>(٥)</sup>.

### ١- كتاب السر :-

سبق الحديث عنه في بداية الفصل، حيث كان عليه إعداد رجال التجسس والمخابرات وتدريبهم والاهتمام بهم لصالح المملكة<sup>(٦)</sup>، وكان هو مستودع الخبايا ومستطلع الخفايا ، وإليه تدبير أمور الجهاز، وتعيين من يري تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية<sup>(٧)</sup>. وكان له الإشراف علي عمال التجسس ؛ وليس أدل علي ذلك مما ورد في وصية له جاء فيها "... وليتول تجهيز البريد، واستطلاع كل خبر قريب وبعيد، والنجاية وما تسير فيه من المصالح.... وأمر النصحاء والقصائد.. والكشافة الذين هم ربيعة النظر وجلابة كل خير،.... والديادب والنظارة....."<sup>(٨)</sup>.

وكان يلزم عمال التجسس بالتواجد في الديوان ليسهل عليه إحضارهم في سهولة ويسر لتوجيههم إلى المهمات الشريفة ، ويجب أن يكون على علم بكل من يرد إلى ديوانه ويعرف من أين أتوا والمعلومات التي جاءوا بها، وأن يعمل علي سرعة عودتهم حتى لا يحدث من تأخرهم المفسد ، ويجب عليه أن يفحص الكتب الصادرة من الديوان أو الواردة إليه فحصاً جيداً ليضمن خلوها من أية

(١) أيمن أبو الروس: عالم الجاسوسية ودنيا الأسرار والغموض، القاهرة ، مكتبة ابن سينا ، ١٩٩١م، ص٩.

(٢) سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٠٢.

(٣) حسن محمد وآخر: صاحب الخير، ص٣٢.

(٤) سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٠٢.

(٥) سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٢٤.

(٦) عفاف سيد: ديوان الإنشاء في عصري الأيوبيين والمماليك، ص٢٦.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص٣٠٢ - ٣٠٣.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص٣١٤-٣١٥.

إشارات تحمل في داخلها الكثير من المعلومات السرية<sup>(١)</sup>، وذلك نظرا لانتشار الشفريات السرية المستخدمة في ذلك الوقت.

٢- الدوادر :- (٢).

يلي كاتب السر أو صاحب ديوان الإنشاء الدوادر ، وكانت هذه الوظيفة في العصر الأيوبي لا يليها إلا متعمم ، ثم تولاها في العصر المملوكي أحد أمراء المماليك<sup>(٣)</sup>، وكان عمال الجهاز في بداية الأمر خاضعين لإشراف الدوادر - الذي كان من أمراء المماليك العسكريين - وربما يطمع في العرش لاسيما أن سلطاته كانت تخول له الحصول على أدق أسرار الدولة، وربما يعاون السلطان، لذا ألحقوا في نهاية دولة المماليك البحرية وأوائل الجراكسة بديوان الإنشاء، ومنذ ذلك الحين أصبح الذي يشرف على هؤلاء العمال صاحب ديوان الإنشاء<sup>(٤)</sup>.

وأصبح الدوادر بعد ذلك مطلعاً على الأسرار بعد كاتب السر، ويساعده في تدبير أمور القصاد والجواسيس<sup>(٥)</sup>، والتحدث مع القصاد من أصحاب المهمات السرية<sup>(٦)</sup>.

وخير دليل على ذلك أن "بلبان الدوادر الرومي"<sup>(٧)</sup> كان لملنوط بأمر العيون والجواسيس، وكان واحداً من رجالات بيبرس الموثوق بهم، وكانت مهمته تتضمن لقاء العملاء والجواسيس سرراً، ومن ثم نقل الأسرار إلي السلطان. وكان مسنداً إليه أيضاً تحديد رواتب وأجور العيون والجواسيس<sup>(٨)</sup>.

(١) السحماوي : المقصد الرفيع، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٢) الدوادر :- اسم مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو الدوا، والثاني دار ومعناها ممسك، فيكون المعنى ممسك الدوا، وحذفت الهاء من آخر الكلمة استقلاً. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٢.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ؛ علي السيد: للجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧ ؛ levanoni Amalia : Aturning point in Mamluk History, E. J. Brill, 1995 , P. 39

(٤) محمود نديم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص ١٧٢.

Hautecoewe twiet : les mosques du caire , I , paris , 1932 , p.256.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣٥٠.

(٦) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٧، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، جامعة بيروت الأمريكية، ١٩٣٦م، ص ٢٣٧؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٤، حيدر آباد، الحكن، ١٩٦١م، ص ١٠٦ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣٤٩ .

(٧) "بلبان الدوادر الرومي": هو الأمير سيف الدين الرومي الدوادر من أعيان الأمراء ونجبائهم كان الملك للظاهر يعتمد عليه ويحمله أسراراً إلي القصاد، واستشهد بمصاف حمص سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، وكان هو الذي يتولى الإشراف على ديوان الإنشاء وعلى عمال الجهاز، ولكن عندما توفي الملك للظاهر بيبرس ، وتولى الملك المنصور قلاوون العرش اتخذ كاتب سر للقيام بهذه المهام ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٨٢.

(٨) Amitai : Mamluk Espionage , p. 176 ; Daileader Philip : truecitizers violence , E. J. Brill , 1995 , p. 277.

وكان يتولى صرف مرتباتهم وإغداق الخلع والهدايا عليهم، وكان حريصاً على إحاطة أسمائهم بالسرية التامة، وذلك عن طريق عدم إدراج أسمائهم في قائمة الديوان، كما حذر عليهم الظهور بين الناس بوجوههم الطبيعية، فطلب منهم التكر في أوقات النهار بوضع "برقعاً" عليها حتى لا يعرفهم الناس<sup>(١)</sup>.

ونجده في حلقه لليمين يقول : ومهما اطلعت عليه من مصالح مولانا السلطان فلان - خلد الله ملكه - ونصائح وأمر داني ملكه ونازحه أوصله إليه، وأعرضه عليه، ولا أخفيه شيئاً منه ولو كان علي، ولا أكتمه ولو خفت وصول ضرره إلي<sup>(٢)</sup>.

بالإضافة إلى ذلك كان الدوادر يقوم بتبليغ الرسائل عن السلطان ويقدم التقارير الخاصة بالأعمال الإدارية، ويشترك مع كاتب السر في تقديم البريد السري إلى السلطان وقراءته عليه<sup>(٣)</sup>. وكان يتلقى البريدية الواردين والصادرين عن الأبواب السلطانية وتنفيذ المهمات المتعلقة بالرسائل والمكاتبات ولم يكتف بالإقامة في القلعة وتلقي الأخبار، بل كان يكلف ببعض المهام التي تتطلب منه الخروج<sup>(٤)</sup> إلى بلاد الشام للوقوف على أحوال الأعداء<sup>(٥)</sup>.

ويدعم عملية خروجه في عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م عندما نقض صاحب حصن القصير - أقوى حصون أنطاكية - الهدنة والعهود الموقعة بينه وبين السلطان الظاهر بيبرس، فأصدر الأخير أوامره بالقبض عليه تمهيداً لفتح ذلك الحصن، وندب لتلك المهمة الأمير سيف الدين بلبان الدوادر المشرف على القصاد، فخرج متنكراً في صورة شخص متوجه إلى صاحب حصن القصير لإخباره بقدوم بيبرس لزيارته، وفرح لذلك وقام بتجهيز ما يليق بالسلطان وخرج للقائه، فلما اقترب منه قام بتقبيل الأرض بين يدي بيبرس فجنم فوقه بلبان الدوادر وأركبه على أحد الخيول وتوجه به إلى دمشق حيث حبس بقلعتها<sup>(٦)</sup>.

(١) الصقاعي: تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكين سويله، دمشق، منشورات المعهد الفرنسي، ١٩٧٤م، ص ٥٣

؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٣٢١ ؛

(٢) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٣) العمري: مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، ج ١، تحقيق أيمن فؤاد سيد، فرانكفورت، (د. ن)، ١٩٨٨م،

ص ٥٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩ ؛ ج ٥، ص ٤٦٢.

(٤) بيبرس المنصور: التحفة المملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، الدار المصرية

الليمانية، ١٩٨٧ م، ص ٧-٨.

(٥) على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٦) شافع بن علي: حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، (د. ن)

١٩٧٦م، ص ١٥٦-١٥٧.

وأيضاً ما يرويه ابن تغري بردي في حوادث سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م عندما ورد الخبر على السلطان العادل كتبغا بوصول عسكر كثير من التتار إلي الرحبة طالبين الدخول في الإسلام خوفاً من السلطان غازان فرسم الملك العادل إلي الأمير علم الدين سنجر الدواداري بأن يسافر من دمشق إلي الرحبة حتى يتلقاهم "وبعد أن توجه أعيانهم إلي السلطان صاحبه كبار أمراء دمشق، بقي الأمير علم الدين سنجر مع الباقين وهم فوق عشرة آلاف مابين رجل كبير وكهل وصغير وامرأة.. ثم سافر بهم إلي جهة الديار المصرية<sup>(١)</sup>، وكان الهدف من بقائه معهم التعرف على أخبارهم بنفسه<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الأمر عندما تقدم تيمورلنك إلي مرعش وعينتاب قام الملك الظاهر برقوق بإرسال الأمير اسمبغا الدوادار لكشف الأخبار، وتجهيز عساكر الشام إلي جهة تيمورلنك<sup>(٣)</sup>. وفي عام ٨٦١هـ / ١٤٥٧م قام السلطان الأشرف إينال العلاني وجهه الدوادار سنقر الأشرفي المعروف بفرق شبق، إلي البلاد الحلبية لكشف أخبار بن قرمان، وتجهيز العساكر الشامية والحلبية<sup>(٤)</sup>.

### ٣- البريدية:

قام البريدية<sup>(٥)</sup> بدور مهم في مجال التجسس، وفي نفس الوقت كأفراد يمكن ضمهم إلي عمال التجسس أو الاستخبارات<sup>(٦)</sup>. واختصاص البريدية بعمل التجسس لم يكن وليد العصر الأيوبي والملوكي، بل عرف في العصور الإسلامية المبكرة<sup>(٧)</sup>. لذا نجد أن العلاقة بين البريدية والعيون والقصاد والجواسيس وطيدة، فجميعهم كانوا تابعين لديوان الإنشاء، إلي جانب أن تصرفهم كان من مهمة ديوان الإنشاء، وبخاصة كاتب السر<sup>(٨)</sup>.

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٦٠؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٢) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٢١٨.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٠٣.

(٥) البريد: كلمة فارسية معناها "مقطوع" ويقال إن الفرس استخدموا في نقل البريد دوابا مقطوعة الذنب تميزاً لها من غيرها، فسميت "بريد ذنب"، ثم حذف العرب كلمة ذنب واقتصروا على لفظ بريد، القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ٥٨، وكان يطلق البريد على الرسول، وذهب البعض إلي أن أصله لفظ عربي وأنه مشتق من برد أو أبرد بمعنى أرسل؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٢٩٥.

(٦) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٧) أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية، ج١، ص ٨٧؛ سند أحمد: البريد الملوكي، ص ٢٢١.

(٨) حسن الباشا: الفنون والوظائف، ج١، ص ٢٩٩؛ محمود نديم: لفن الحزبي، ص ١٧٣؛ ماجدة: قلعة الجبل، ص ٧٥ - ٧٧.

وكان عمال البريد يقومون بالتجسس على كبار الموظفين ومراقبة الولاية<sup>(١)</sup>، وكان عامل بريد كل ولاية له الحق في التجسس على جميع الموظفين فيها<sup>(٢)</sup>، والتعرف على أخبار عمال الدولة وتحركاتهم<sup>(٣)</sup>، وسرعة إيصال الأخبار بين السلطان وعماله<sup>(٤)</sup>.

وللتعرف على أهم اختصاصات البريدية على نحو أكثر تفصيلاً نجد أنه يجب عليهم التعرف على حال عمال الخراج، ومعرفة ما عليه الحكام وسيرهم وأن يعرف حال دار الضرب وحفظ الطرق من الأعداء والجواسيس<sup>(٥)</sup>.

وهكذا فإن مهمة البريدية إنما تشمل مراقبة جميع المؤسسات في كافة أنحاء الدولة وإبلاغ السلطان بكل ما يحدث من تطورات مما ينبغي أن يعلمه<sup>(٦)</sup>.

وفي العصر الأيوبي اهتم الأيوبيون كثيراً بالبريدية لمراقبة العمال، وعندما جاء السلطان الظاهر بيبرس اهتم بها كثيراً وذلك ليكفل للدولة مهمة التجسس على عمال الدولة وأعدائها، وإبلاغ العاصمة بكل ما يقع في النيابات والولايات المختلفة التي امتدت لتشمل بلاد الشام وبعض مناطق من آسيا الصغرى والحجاز، ومصر وبلاد النوبة، بحيث يتعرف السلطان المقيم في قلعة الجبل - في القاهرة - كل ما يدور من أحداث على امتداد هذه البلاد الشاسعة، عن طريق تلك الشبكة من خطوط البريد التي استخدمت فيها الخيول والأنواع السريعة من الإبل ومحطات البريد، فضلاً عن الخطوط الجوية التي استخدمت فيها أبراج الحمام الزاجل والعمال الموجودين فيها<sup>(٧)</sup>.

وقد تمكن الأيوبيون والمماليك عن طريق البريد أن يديروا أمور البلاد وهم في مقر حكمهم، فقد كان نذيراً سريعاً في أوقات الهجوم الخارجي، أو الاضطرابات الداخلية، ومسعفاً في نقل المعلومات اللازمة لصد أو قمع هذه الأخطار، وكان بالإمكان أن تتجسم بعض الأمور، ويصعب حلها، لو لم يواف الحكام بأخبارها مبكراً<sup>(٨)</sup>.

(١) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٢٩٧.

(٢) نظير حسان سعداوي: نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، دار مصر، ١٩٥٣م، ص ٦٨.

(٣) سمير عبد الله: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، سلسلة تاريخ المصريين، ع ٢٥٧، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، ٢٠٠٦م، ص ٢٢.

(٤) نظير حسان: البريد الإسلامي، ص ٦٨.

(٥) قدامة بن جعفر: للخراج وصناعة الكتابة ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، طبعة لندن، مطبعة بريل، ١٨٨٩م، ص ٥٠؛ آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص ١١٥؛ عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات ص ١٦١.

(٦) عبد الغني: العيون والجواسيس، ص ٢٩٩.

(٧) القلشندي: صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٧٢-٣٨٣.

(٨) عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ط ٣، الرياض، مؤسسة الجريس، ١٩٨٩م، ص ٥٩.

وظهر ذلك في الصراع الذي كان بين الملك العادل الأيوبي والملك الظاهر صاحب حلب عام ٦١٣هـ/١٢١٦م ، حيث قام الملك العادل الأيوبي بترتيب بريد سرى (للتجسس) له أخبار الملك الظاهر صاحب حلب ويطلعه عليها ، وقد قام البريد بهذه المهمة على خير ما يرام وظل يواصل حصده للأخبار ويوصلها إلى الملك العادل حتى أتى إليه بخبر نعيه قبل أي أحد<sup>(١)</sup>.

وبالتالي اهتم السلاطين بالبريد كثيراً نظراً للدور الخطير الذي كان يقوم به ، فكانوا ينظمون الرحلات السرية (للتجسس) والاطمئنان على البريد، وعلى هذا الأساس اهتم رجال البريد بأنفسهم وبوسائلهم كثيراً وذلك لأنهم كانوا يتوقعون في أي وقت أن يفاجئهم السلطان بزيارته فيبدلوا جهودهم في أن تكون الخيل مستعدة دائماً<sup>(٢)</sup>، واتسع نشاطهم فكانوا يتجسسون على كافة مؤسسات الدولة الداخلية وعلى الأعداء، ويتعرفون ما عندهم<sup>(٣)</sup>.

وكان يتم استخدامهم في جمع المعلومات عن العدو وتحركاته على طول الحدود مع الدولة<sup>(٤)</sup>، وعاونوا كثيراً في نقل أخبار العدو وتحركه ومواقعه، وقوة قواته، وسلاحه، وعتاده، وأماكن قيادته، ومناطق شئون إدارته، وأماكن أهم الأمور وأنفعها<sup>(٥)</sup>.

كما كان للمعلومات التي جاء بها البريدية أثرها الكبير في صدّ الغارات الخارجية التي طالما هددت مصر، وكان لهم الفضل في النجاح على هؤلاء الأعداء وهزيمتهم<sup>(٦)</sup>.

وجاء ذلك في رواية لابن أبيك وجهها السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلي غازان خان المغول في إيران يؤكد فيها أن البريدية كان لهم دور كبير في التجسس على الأعداء<sup>(٧)</sup> "فيقول: ولا يظن أن ساعة واحدة عن أعيننا يغيب، وليعلم أنه لو تقلب في مضجعه من جانب إلي جانب، أو خرج من منزله راجلاً كان أو راكباً، لكان عندنا علم ذلك على البريد".

(١) المقرئزي: السلوك، ج١، ق١، ص ١٨٥.

(٢) عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ص ٥٩.

(٣) حسن إبراهيم حسن: على إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٩م، ص ٢٥٥؛

أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة والفكر الإسلامية، ط ٣، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٤م، ص ١٣٩.

(٤) Amitai: Mamluk Espionage, p.p. 173 - 174.

(٥) محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧١.

(٦) محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧٣ - ١٧٤؛ عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ص ٥٩.

(٧) الدر الفلخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت روبر، القاهرة (دين)، ١٩٦٠م، ص ١١٤؛ ابن تغري

بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٤٣.

وقد كان البريد في بعض الأحيان دليلاً مهما للجيش يسرون وراءه، ويقتضون بخبرته في معرفة دروب الطرق، وذلك لأن السلاطين كانوا يريدون إخفاء وجهة الجيوش كنوع من التعمية على الأعداء وجواسيسهم وبخاصة المغول والصليبيين فاستعانوا بالبريد على ذلك<sup>(١)</sup>.

وكان صاحب البريد له عمال في الولايات التابعة للدولة يتبعون له، ويقومون بنقل الأخبار، والأنباء إليه أولاً بأول، عن طريق تقارير يقدمونها له، ثم يرفعها بنفسه إلى كاتب السر<sup>(٢)</sup>. وكان هؤلاء العمال أيضاً يستعينون في جمعهم للأخبار ببعض العيون لتقصي الأخبار<sup>(٣)</sup>.

واعتمد أيضاً على التجار والباعة المتجولين والحكماء والعبيد في التجسس على أحوال العمال والرعية في أنحاء المملكة، ويكتبون تقاريرهم عن ذلك ويقدمونها إليه<sup>(٤)</sup>.

ولم يعتمد السلاطين على عمال البريد البري فقط، بل تعدى ذلك إلى عمال البريد البحري الذي كان يزود بالمراكب السريعة الخفيفة لاستغلالها في نقل الأخبار<sup>(٥)</sup>.

ونظراً لدور البريدية الخطير فكان يجب أن تتوافر فيهم الكثير من الشروط منها أن يكون من أهل الثقة والتعقل والدراية<sup>(٦)</sup>. ويقول أبو يوسف في كتاب الخراج<sup>(٧)</sup> "وهذا مما ينبغي أن تتفقه وتأمر اختيار الثقات للعدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والأخبار".

وكانت هذه الشروط تتطلب فيه لأنه ربما اطلع على شيء من أسرار المملكة وخفايا أمورها، وربما أسند إليه أمر باطني، فيحسن فيه التصرف، فإذا كان منافياً لتلك الصفات، يوشك أن يزل أو يخطئ، فيحصل من ذلك مفاصد<sup>(٨)</sup>.

(١) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٧٨.

(٢) سمير عبد الله: الدواوين في العصر الفاطمي، ص ٢٢.

(٣) على محمد: الرقابة الإدارية في الإسلام، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٥م، ص ١٩٥.

(٤) نظير حسان سعداوي: البريد الإسلامي، ص ٦٩.

(٥) حسن فرحات عبد الساتر: دور أصحاب الدواوين السياسي والحضاري في مصر في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية بأسبوط، ٢٠٠٦م، ص ١٤.

(٦) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٢٩٦؛ رجاء على أنور: النظام الإداري في عصر دولة المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ١٩٨٨م، ص ١٥٢.

(٧) كتاب الخراج، تحقيق محمد إبراهيم البناء، القاهرة، دار الإصلاح للطبع والنشر، ٢٠٠٢م.

(٨) ابن كنان: حقائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، بيروت، دار النفائس، ١٩٩١م، ص ٧٨.

#### ٤- المخبرون (صاحب الخبر):

وصاحب الخبر: هو من يبلغ السلطان بالأخبار الجديدة التي تحدث في حواضر الأقاليم<sup>(١)</sup> بغض النظر عن طبيعة هذه الأخبار وأهميتها<sup>(٢)</sup>.

وبالتالي فهو بمثابة العين للسلطان ، وهذا ما أشار إليه صاحب آثار الأول بقوله<sup>(٣)</sup>: " فأما العيون فهم بمثابة العيون الباصرة والأذان السامعة "، والمتتبع لكتب الدواوين يرى أن هذه الوظيفة كانت من أهم الوظائف في الدولة نظرا لطبيعة المهام التي كان يقوم بها هؤلاء الموظفون، وأثرها على المجتمع بوجه عام<sup>(٤)</sup>.

وقد أطلق علي كل من يتجسس لحساب الممالك داخلية كلمة (صاحب الخبر)<sup>(٥)</sup>، وهم الذين يندسون بين جموع الناس المختلفة في الأسواق وفي مجالس العلماء والوعاظ لمعرفة الأخبار، ولأهميتهم لجهاز الدولة كان يسمح لهم بمقابلة السلطان مباشرة بدون وساطة<sup>(٦)</sup>.

وكانت مهام صاحب الأخبار تنسم بالدقة وشدة الملاحظة والسرعة، فهو يحمل الأخبار، (ويراقب ، ويتجسس، ويبصر، ويلاحظ، وينقل) كل شيء عن الرعية<sup>(٧)</sup>؛ لذا نجد كثيرا من المخبرين ينشرون في جميع أنحاء الدولة لمراقبة شئون الناس مراقبة دقيقة<sup>(٨)</sup>، وكذلك إبلاغهم بأحوال الطرق والأعداء وكل شيء حتى لا يخفي عنهم شيء<sup>(٩)</sup>.

وقد جاء أحد المخبرين في عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م، وأخير السلطان الناصر فرج بن برقوق

(١) عبد الغني: العيون والجواسيس، ص ٣٠٠.

(٢) حسن محمد وآخر: صاحب الخبر ص ٣٠٠.

(٣) الحسن بن عبد الله: آثار الأول في ترتيب الدول، طبعة بولاق، ١٢٩٥ هـ، ص ٨٣؛ حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص ١٧.

(٤) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٩.

(٥) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات وطرق تنفيذها في مصرفي عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٥ م، ص ٨٦.

(٦) الأنصاري: تفريغ الكروب في تدبير الحروب، تحقيق جورج إسكانلون، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٦١ م، ص ١٧-٢٠؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(٧) علي محمد: الرقابة الإدارية في الإسلام، ص ١٩٥-١٩٦.

(٨) ابن شداد: البوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ط٢، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤، ص ٣٨.

(٩) الأقصري: نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسيية، رسالة دكتوراه غير منشورة، بآداب القاهرة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، ١٩٧٢ م، ص ٥٢٩-٥٣٠.

بهزيمة نواب الشام وأخذ تيمورلنك حلب ومحاصرة القلعة<sup>(١)</sup>، ولم يكن عمل هؤلاء يقتصر على ذلك فقط، لكن تم استخدامهم لمراقبة كل من أتى إلى السلاطين هارباً وكانوا لا ينقطعون عن زيارتهم والتحدث إليهم، والتودد إليهم بكل السبل التي تمكنهم من التعرف على هويتهم، ثم يخبرون السلطان بحقيقة أمرهم<sup>(٢)</sup>.

وكان هؤلاء يستعينون — أيضاً — في الحصول على معلوماتهم بأناس لم يكن لهم أي صفة رسمية من كل طبقات المجتمع<sup>(٣)</sup>، منهم الطفل والمحتاج وابن السبيل<sup>(٤)</sup>.

كما كان السلاطين يضعونهم على المناطق الحدودية لكي يخبروهم بكل ما يحدث عندهم وكذلك معرفة الواردين عليهم، وكانوا يرسلون للسلطان كل أخبار الواردين عليهم من أي مكان أتوا وأسماءهم، ونعوتهم، وثيابهم، وأصحابهم، وخيلهم، وخدامهم، وهيتهم في الجلوس والمأكل، وجميع شئونهم وتصرفاتهم ليكون السلطان على علم بكل شيء<sup>(٥)</sup>.

وفي النهاية ولأن مهمتهم كانت تتسم بالدقة والحذر الشديد<sup>(٦)</sup>، فكان يشترط فيهم بعض الشروط التي تتوافق تماماً مع شروط البريدية<sup>(٧)</sup>.

#### ٥- المهندار :

وكان يقوم بتلقي الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويهتم بأحوال القصاد والبريدية اهتماماً زائداً ويعرف شكواهم<sup>(٨)</sup> بدليل ما ذكره القلقشندي في إحدى نسخ التوقيع لهذه الوظيفة "...أن ينوب عن صاحب ديوان الإنشاء في تلقي الواردين على السلطان، وينزل كلّا منهم في المكان اللائق به، ويرتب لهم ما يحتاجون إليه ولا يُمكن أحداً من الاجتماع بهم، ويتولى افتقادهم"<sup>(٩)</sup>.

(١) المقرئزي: السلوك، جـ ٣، ق ٣، ص ١٣٥.

(٢) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٣.

(٣) عبد الغني عبد السلام: العيون الجواسيس، ص ٢٩٩.

(٤) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٠٠.

(٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المعروفة بـ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتبه هوامشه طلال حرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ص ٣٩٢.

(٦) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٠٠.

(٧) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٨) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت، عالم الكتاب، ١٩٨٦م، ص ٢٠٥.

(٩) صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٨٨.

وكان عليه أن يستفهم من القصاد عن موجب حضورهم، ويحضر ما على يدهم من المطالعة الكاتم السر؛ ليكون على بصيرة فيما حضروا لأجله ثم يحضرهم بين يدي سلطانه<sup>(١)</sup>، وفي بعض الأحيان كان نائب المهمندار يقوم مقامه في استقبال قصاد غير الملوك ويقوم معهم بنفس مهام المهمندار. وكان كاتم السر يأمرهم بإزالة القصاد في الأماكن اللاتفة بهم بحسب مقام مراسلهم، وكذلك مضيفهم وإلزام المهمندار بعدم إقامتهم بعد تناول أجوبتهم اليوم الواحد<sup>(٢)</sup>، وهذا دليل على أنه كان يخضع لإشراف ديوان الإنشاء، والناظر إلي مهام هذه الوظيفة وبساطتها في استقبال الرسل وتلقي العربان والواردين على السلطان وإنزالهم دور الضيافة كل حسب مكافئته والقيام بأمرهم، غاب عنه دورها فهذه الوظيفة كانت تعبر عن وظيفة أحد كبار رجال المخابرات مهمته الأساسية استقبال هؤلاء الواردين، والتحفظ عليهم، والتقرب والتودد إليهم للتعرف على نواياهم وهويتهم، ومراعاة عدم إفشاء أي سر من أسرار الدولة أمامهم بحال من الأحوال، وعزلهم عن الجند والأمرأ حتى يتم التأكد من حقيقتهم<sup>(٣)</sup>.

وقد حدث ذلك في عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣م عندما وصل رسل كيخاتو ملك المغول إلى ديار الإسلام نجد أن المهمندار قام بمرافقتهم والسير معهم حتى وصلوا إلى دركاء السلطان وكان يصاحبهم في كل تنقلاتهم ويبلغ السلطان بكل أخبارهم<sup>(٤)</sup>.

ونظراً لأهمية هذه الوظيفة كان يشترط في شاغلها العديد من الشروط التي سنذكرها في النقطة التالية في هذا الفصل؛ كما أنه يجب أن لا يتناول من أحد من الرسل تقدمه ولا طرفه إلا بإذن<sup>(٥)</sup>. ويجب عليه أيضاً أن يعتمد مصلحة الإسلام، ويرهب القصاد، ويوهمهم قوة الإسلام والمسلمين وشدة بأسهم وعظيم سطوتهم، واتفاق كلمتهم، وقيامهم في حوزة الدين وذبهم عن حريم الملة الإسلامية، وحفظ النظام<sup>(٦)</sup>.

## ٦- التراجمة:-

وكذلك يمكننا إضافة مجموعة التراجمة وكبير المترجمين في القاهرة إلي مجموعة العاملين بالتجسس؛ وذلك لما قاموا به من مهام لخدمة هذا الجهاز<sup>(٧)</sup>.

(١) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٢٠٤.

(٢) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٣.

(٣) علي السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص ٣٧٩.

(٤) العيني: عقد الجمان، ج٣، تحقيق محمد أمين، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ١٨٧.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٨.

(٦) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧؛ فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة في مصر في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م، ص ٥٧.

(٧) علي السيد: التراجمة في عصر سلاطين المماليك، مجلة التربية، ع ١٠٢، القوحة، ١٩٩٢م، ص ١٦٥.

وكان كبير الترجمة في القاهرة له مساعدون في كل مدينة من المدن ،ويأتي في مقدمتهم ترجمان بيت المقدس <sup>(١)</sup>، وكان الترجمة يعملون في ديوان الإنشاء، وكان رئيس الديوان من أهم واجباته النظر في أمرهم <sup>(٢)</sup>، وقد شاركوا بدور فعال في مجال السياسة الداخلية والخارجية <sup>(٣)</sup>، فنجح أنهم كانوا بسبب كثرة توافد الرسل إلي مصر من مختلف الدول كان لابد من وجود عدد منهم للتحديث معهم ومعرفة الأخبار <sup>(٤)</sup>.

كما كان لهم دور آخر خفي وهو كشف النوايا والأغراض غير الظاهرة لهؤلاء الرسل ،ويدل علي ذلك ما حدث في عام ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م من محاولة احتيالي رسل البرشوني <sup>(٥)</sup> في فك أحد الأسرى الصليبيين ،ولكن استطاع الترجمة الكشف عن هذه النوايا والأغراض غير الظاهرة لهذه السفارة وتوصلوا لمعرفة غرضها الحقيقي وكشف طرق الاحتيال التي اتبعتها ذلك الملك وأرشدوا السلطان إلي أخذ الحيلة والحذر منه <sup>(٦)</sup>.

وكذلك الأمر كان من بين مهامهم — أيضا — ترجمة الكتب التي تصل إلي الدولة من المناصحين والقصاد وحل شفرتها ومعرفة ما بها من أخبار لعرضها علي السلطان <sup>(٧)</sup>.

وكانوا يقومون — أيضا — بصياغة بعض الرسائل وكتابتها باللغة اللاتينية، ثم إرسالها إلي الفرنجة المقيمين ببلاد الشام في فترة الحروب الصليبية، وكان الهدف من كتابة مثل هذه الرسائل والتحايل في إيصالها إليهم، هو إيقاع الفرقة بين صفوفهم، وقد كانت هذه الوسيلة من الوسائل الناجحة التي استطاع السلاطين عن طريقها تحقيق النصر علي الأعداء <sup>(٨)</sup>.

ونجد أنهم لعبوا دورا كبيرا في مقاومة العيون والجواسيس ؛ من ذلك ما قام به كبير الترجمة في بيت المقدس من جمع الحجاج أمام كنيسة صغيرة علي اليسار من كنيسة القيامة، ثم سجل أسماءهم وأعمارهم وأوصافهم الشخصية، وأرسل منها نسخة إلي كبير الترجمة بالقاهرة. وهذه الاحتياطات كانت تتخذ علي الرغم من أنه كان يحدث نفس الشيء عند نزولهم بميناء يافا <sup>(٩)</sup>.

(١) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٤.

(٢) علي السيد: الترجمة، ص ١٦٥.

(٣) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة في مصر، ص ١٤٦.

(٤) علي السيد: الترجمة، ص ١٥٩.

(٥) البرشوني: هو الريداكون ، وكان أحد ملوك الفرنج الأسبان، والمقصود بالبرشوني ملك أرجونة ، وكانت عاصمته برشلونة ، انظر العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٣٠٤.

(٦) العيني: عقد الجمان، ج٤ ، ص ٣٠٥ ؛ فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة في مصر، ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٧) سند أحمد: البريد في عصر دولة المماليك، ص ٢٣٣ ؛

Amitai : Mamluks Espionage , p.178.

(٨) علي السيد: الترجمة، ص ١٦٨.

(٩) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص ٦.

وكان لهم دور آخر وهو أن السلاطين احتاجوا لهم لمصاحبتهم في المعارك، لما قد يحتاجون إليه من كتابة الرسائل وترجمتها، وفوق ذلك فإنهم كانوا يرسلون الرجال العارفين بلغات الأعاجم لتنفيذ محاولات الاغتيال ضد الأعداء<sup>(١)</sup>.

أما في مجال عملهم لمقاومة الجاسوسية فكانوا يتواجدون ضمن فرقة الاستطلاع التي كانت تذهب لاستطلاع أخبار العدو والكشف عن جواسيس العدو<sup>(٢)</sup>، وفي مجال مقاومة الجاسوسية ودور الترجمة في ذلك قيامهم برصد تحركات الرحالة الأجانب الذين يفدون إلى بلاد السلطنة وتسجيل أعدادهم وأوصافهم، ومصاحبتهم في تنقلاتهم، وهذا دليل على إضافتهم إلى مجموعة العاملين بالتجسس<sup>(٣)</sup>.

وكما كان للترجمة دور في مقاومة العيون والجواسيس كان لهم أيضا دور في استطلاع أخبار العدو؛ فقد استخدم السلاطين عدداً من الترجمة عيوناً لهم كما تسميهم المصادر، وذلك للتغلغل داخل صفوف العدو متكرين في هيئة تجار أو علماء أو فقهاء لجمع أخبار العدو، وقد اقتصر عمل الترجمة في الميدان على إرسالهم إلى الدول التي تتحدث غير العربية<sup>(٤)</sup>. وإلى جانب عمل الترجمة ضمن هذا الجهاز في الخارج نجد أنه كان لهم دور في الدخول وذلك عن طريق عملهم في المواني لتبليغ الوالي بشحنات البضائع التي تصل إلى الميناء فور وصولها وبدون تأخير<sup>(٥)</sup>.

ولأهمية هؤلاء العمال كان صاحب ديوان الإنشاء عند ما تأتي رسالة إلى الديوان كان يجعل الترجمة يعكفون على حل شفرتها وترجمتها في سرية تامة وذلك حتى لا يشيع الخبر<sup>(٦)</sup>. وجدير بالذكر أنه كانت هناك بعض المدارس التي تهتم بإعداد الترجمة للتحديث بالعديد من اللغات التي تساعدهم على تنفيذ مهامهم داخل أرض العدو؛ فالأمير أيتمش اليجاسي (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) (أتابك العساكر بالديار المصرية في عهد الظاهر برفوق) اشترط في مدرس مدرسته التي بناها بباب الوزير سنة (٧٨٥هـ/١٣٨٣م) والتي عرفت باسم المدرسة الأيتمشية أن يكونوا "متكلمين باللسان العربي والعجمي والتركي وإلا فباللسان العربي وأحد اللسانين المذكورين" وذلك مما يرجح وجود مدارس لتخريج بعض الترجمة الذين يجيدون اللغات السابق ذكرها<sup>(٧)</sup>.

(١) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة، ص ١٤١.

(٢) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة، ص ٥٨.

(٣) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة، ص ٥٧.

(٤) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة، ص ٢٩-١٤٥.

(٥) علي السيد: الترجمة في عصر سلاطين المماليك، ص ١٧٠.

(٦) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة، ص ١١.

(٧) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ٣، ص ١٤٥ - ١٥١؛ علي السيد: الترجمة، ص ١٦٣.

وكان كاتم السر يقوم بالنظر في أمرهم والفحص عنهم، والاطلاع على مقاصدهم، ومن وجده خارجاً عن الشروط منعه واستعوضه بغيره ممن تجتمع فيه الشروط المتقدمة<sup>(١)</sup>، وكانت الدولة حريصة على الإنعام على التراجمة باستمرار وإعطائهم المبالغ الكثيرة والمرتببات نظراً لخطورة منصبهم<sup>(٢)</sup>، ولكن على الرغم من كل هذا الاهتمام لم يمنعهم من التواطئ مع العدو؛ ففي عام ٨٣٩هـ/١٤٣٥م في عهد السلطان برسباي كان هناك تعاون بين كبير التراجمة مع ملك قبرص حيث كان كبير التراجمة جاسوساً على المماليك لصالح ملك قبرص الذي تعهد على نفسه بدفع مبلغ معين إلي كبير التراجمة في نظير القيام بهذا العمل<sup>(٣)</sup>، وكذلك في عام ٩١٧هـ/١٥٥١م تبين للسلطان الغوري أن كبير التراجمة تغري بردي كان خائناً<sup>(٤)</sup>.

#### ٧- السعاة:

هم رجال خفاف تعودوا على الجري والصبر على السير<sup>(٥)</sup> لذا تم الاعتماد عليهم في نقل الأخبار المستعجلة<sup>(٦)</sup>، وكانت مهمة السعاة بالدرجة الأولى هي السفر بالمطافات ونقل أخبار الممالك في حالة تغذر وصول البريد، لذا كانت أعدادهم محدودة، وأماكنهم محصورة في مصر وبكل مملكة من ممالك بلاد الشام، ونظراً لقوتهم على السفر، كانوا يخرجون بأوامر السلطان بأقصى سرعة؛ حتى إن أحدهم كان يصل من دمشق إلي القاهرة في أسبوع<sup>(٧)</sup>، وكان يستدعى بأمر من رئيس ديوان الإنشاء الذي يقوم باختيار من تتوافر فيه الشروط اللازمة لتأدية هذا العمل<sup>(٨)</sup>، والدليل علي عملهم في التجسس، أنهم كانوا يكمنون نهاراً ويمشون ليلاً ويأخذون جانباً من الطريق، على أن تكون هناك مسافة بين الاثنين حتى لا يسمع لأحدهم صوتاً، فإذا طلع عليهم النهار كمنوا متفرقين متواعدين على مكان يتلاقون فيه أثناء السير<sup>(٩)</sup>.

(١) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٠٤.

(٢) علي السيد: التراجمة، ص ١٦٤.

(٣) فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص ٨٩.

(٤) فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص ٩٠.

(٥) محمد ضيف الله بطاينة: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ج١، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٥م، ص ١٥٢؛ عبد

الغني: العيون والجواسيس، ص ٣٠٢.

(٦) حسن فرحات: الدواوين في مصر، ص ٩٧.

(٧) الرشيد: تفريخ الكروب في تكبير الحروب، مخطوط بدار الكتب، رقم ٧ فنون حربية، ميكروفيلم ٢٤٥٦١، ورقة

٢٤؛ السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٩٩.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٧.

(٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٧؛ القلقشندي: ضوء الصبح، ج١، ص ٤٦.

وعندما يخرج الساعي بالرسالة كان ينتظره ساع آخر بحيث عندما يصل الساعي المتعب، يجد ساعياً آخر مستريحاً يأخذ الرسالة ويتحرك بها، وبهذا يتم نقل الرسائل بأقصى سرعة - بحيث يتلقى في يومين أخباراً من أقصى حدود المملكة، لم يكن من السهل وصولها بالطرق العادية إلا خلال عشرة أيام<sup>(١)</sup>.

وكان يوجد بكل مركز كاتب يقوم بتدوين اليوم والساعة اللذين يصل فيهما أحد السعاة ويرجل الآخر، بالإضافة إلى قيام بعض الكتاب بزيارات شهرية لكل مركز للإشراف على طريقة سير العمل والإدارة ومعاينة السعاة المهملين في بذل النشاط الواجب عليهم<sup>(٢)</sup> وكان هؤلاء السعاة نقيب قائم عليهم فيما يطلبون منه ويحمل دركهم<sup>(٣)</sup> وكان يلقب "بنقيب السعاة"، وأحياناً كان يطلق عليه "مقدم السعاة"<sup>(٤)</sup>، وكان يقوم بمراقبتهم والإشراف عليهم حتى لا يتوانوا في أداء واجباتهم<sup>(٥)</sup>؛ وكل هذا الاهتمام كان نتيجة للدور الخطير الذي لعبه هؤلاء السعاة.

وينبغي وضع السعاة على الطرق المعروفة دائماً، لكي يقوموا بنقل الأخبار والأحداث التي تقع بالليل والنهار من على بعد خمسين فرسخاً<sup>(٦)</sup> والإبلاغ في حالة وقوع اضطرابات بأي جزء من أجزاء البلاد، أو حدوث تمرد من أحد الولاة، أو ما ماثل ذلك<sup>(٧)</sup> ولهذا كانت حياتهم دائماً محفوفة بالمخاطر، فكثيراً ما يتيهون في الطرق أو تصادفهم وحوش كاسرة تضطربهم إلى المرور في أرض غير مطروقة، وغير سابلة الأمن ومتوفرة الماء، أو يتعرضون لهجوم قبائل العربان، لذا كان عليهم بالضرورة أن يحملوا سيوفاً أثناء قضاء مهامهم<sup>(٨)</sup>.

ونظراً لخطورة عملهم كان يشترط فيهم شروطاً ويتم القحري والدقة عند اختيارهم على اعتبار أنهم من أهم وسائل نقل الأخبار<sup>(٩)</sup>

(١) ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ج٢، ترجمها عن الانجليزية عبد العزيز جاويد، القاهرة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٦م، ص ٧١.

(٢) ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ج٢، ص ٧٢.

(٣) السحماوي: المقصد الرفيع، ٣٩٩.

(٤) ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج٢، تحقيق عدنان درويش، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧م، ص ٣٦٥.

(٥) نظام الملك: سياسة نامہ أو سير الملوك، ط٢، ترجمة يوسف حسين بكار، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٧م، ص ١٢٣.

(٦) نظام الملك: سياسة نامة، ص ١٢٤.

(٧) ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ج٢، ص ٧٣-٧٤.

(٨) نعمان أنطون: الطائر الغريد في وصف البريد، القاهرة، مجلة المقتطف، ١٨٩٠م، ص ١٥؛ سعداوي: البريد، ص ٧٨.

(٩) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٩٤.

؛ لذا كان يشترط فيهم أن يكونوا سريعي الجري وشديدي العدو وتعودوا الصبر على السير<sup>(١)</sup>، مع معرفة دروب السفر والأخذ بالاحتراز والحذر<sup>(٢)</sup>.  
وغالباً ما كان يتم إرسال اثنين منهم لشخص واحد في المعنى الواحد<sup>(٣)</sup>، ونظراً لأهميتهم نجد أن السلاطين اهتموا بهم كثيراً فكانوا يجرون لهم المسابقات في الجري للتأكد منهم وغالباً ما كانوا يمنحون جوائز لتفوقهم<sup>(٤)</sup>، فقد ذكر المقرئ في سياق حوادث سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م "وخلال الجري للسلطان وأعاد حضير الحمام وأحضر إليه عدة من عبيده، وأعاد أرباب الملاعب من الصراع والثقاف والشباك، وجرى السعاة"<sup>(٥)</sup>.

## ٨- النجابة:

ونجد أنه تم الاعتماد على النجابة في نقل الأخبار ؛ وذلك لأن النجابة أصبر علي السير من السعاة وأسرع من الخيل، فكان النجاب يقطع المسافة من القاهرة إلي حلب في خمسة أيام ، وغالباً ما كان يجهز اثنين من النجابة في الأوقات الضرورية حتى يسهل وصول الأخبار بأقصى سرعة<sup>(٦)</sup>.  
ونجد أن الأيوبيين والمماليك اهتموا كثيراً بالنجابة، واعتمدوا عليهم في نقل الأخبار<sup>(٧)</sup> وكان عدد المستخدمين منهم في عصر المماليك كثيراً ، وكانوا يخضعون لإشراف أمير أخور كبير<sup>(٨)</sup>، كما

(١) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ٨٨ ؛ حسن الباشا: للفنون، ص ٥٧٦ ؛ بطاينه: تاريخ الحضارة العربية، ج١، ص ١٥٢.

(٢) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(٣) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(٤) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٩١.

(٥) السلوك، ج٢، ق٢، ص ٧٣٩ ؛ أحمد عبد الرازق، وسائل التسلية عند المسلمين ، ضمن كتاب "دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري"، مج ١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م، ص ١٠٣.

(٦) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٥٠ ؛ ابن العديم : زيد الحلب في تاريخ حلب ، ج٢ ، تحقيق سامي الدهان، دمشق، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٤م ، ص ٦٩٩ - ٧٠٠ ، بطاينه: تاريخ الحضارة العربية، ج١، ص ١٥٢.

(٧) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، (د.ن)، ١٩٨٨م، ص ٢٤١ ؛ الأنصاري: تفريغ الكروب، ص ١٤.

(٨) ( أمير أخور كبير : هو لفظ يتركب من كلمتين ،أولاهما " أمير " والثانية "أخور " وهي كلمة فارسية معناها المذود أو المعلق ،وبذلك يكون المذود الذي تأكل فيه الخيل أو أمير المعلق :أى المتولي لأمر الدواب ،ومن أهمها المعلق ، القلقشندي : صبح الأعشى ،ج٥، ص٤٦١ .وكانت هذه الوظيفة من الوظائف الكبرى في القصر السلطاني ،وهي من الوظائف التي أنشأها السلطان الظاهر بيبرس ويختار من بين أمراء الممتهن ،ويسكن في الأصبطل ،وكان يسمى في الأول " أمير أخور " ،وعندما ارتفعت مرتبته أضيف إليه "الكبير " ،وهو مقدم ألف . القلقشندي : صبح الأعشى ،ج٥، ص١٨.

كان هناك رئيس مباشر على تلك الطائفة يلقب "بمقدم النجابة" وكان متواجداً في الديوان بصفة دائمة، السرعة التوجه في قضاء الأمور الخاصة بالسلطان<sup>(١)</sup>؛ ولقد تم استخدام النجابة في عمل الحيل للدخول إلى الأماكن المحاصرة من قبل العدو والمساعدة في فك هذا الحصار، فعندما كان الفرنج محاصرين لأسد الدين شركوه داخل مدينة بلبس وكان السلطان نور الدين محمود يريد أن يخفف من حدة هذا الحصار فقام السلطان بجمع أعلام الفرنج وأعطاهما لأحد النجابة وطلب منه التحيل والدخول إلى المدينة ففعل ودخل إلى المدينة وأخبر أسد الدين شركوه بالنصر الذي حققه السلطان نور الدين محمود على الفرنج أثناء مسيرته إليه، وطلب منه نشر هذه الأعلام على أسوار بلبس ففعل فوق العرعب في قلوب الفرنج فقاموا بفك الحصار<sup>(٢)</sup>، وكذلك الأمر في عام ٥٨٦هـ/١١٨٥م وصل نجاب من حلب ومعه كتاب يتضمن أن جماعة عظيمة من العدو الشمالي خرجوا لنهب أطراف البلاد الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

#### ٩- القَصَاد:

القصاد جمع قاصد، وهو الرسول الذي تسند إليه مهمات سرية والذين كانت أهم العمليات المخابراتية تسند لهم، وكان يقصد بهم أيضاً الجواسيس المعينين من قبل السلطان للتحرك ذهاباً وجيئة داخل أراضي الأعداء<sup>(٤)</sup>.

والقصاد نوعان: أولهما الرسل الظاهرة<sup>(٥)</sup>، وكانت مهمتهم نقل الأخبار والرسائل في حالة تعذر وصول البريد داخل حدود الدولة المملوكية، وأحياناً داخل الأراضي المغولية<sup>(٦)</sup> وكانوا يسمون أيضاً حاملي الرسائل لأنهم يحملون الرسائل والأوامر من السلطان إلى باقي الجواسيس، ثم حمل التقارير والرسائل من الجواسيس إلى السلطان<sup>(٧)</sup>، فمثلاً عندما وجه الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م قصاداً من قبله إلى الملك بركه خان زعيم مغول القبيلة الذهبية، لم يكن ذلك بقصد التجسس عليه على اعتبار أن القصاد ذهبوا إلى بركة لكي يتعرفوا على أخبار المغول الذين لم يكونوا

(١) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٥٥.

(٢) الفيومي: نثر الجمان في تاريخ الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ، ميكروفيلم ١٧١٩، ورقة ٧٩.

(٣) ابن شداد: النواذر السلطانية، ص ٢٠٠.

(٤) Amitai : Mamluk Espionage, p.174 ; Amitai : Mamluks and Mongols , p.140.

(٥) الأسدي: التيسير والاعتبار، ص ١٥٤.

(٦) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص ٥١١؛ سند أحمد: البريد، ص ٢٢٤.

(٧) أنجيلو كودفيل: المخابرات وفن الحكم، ترجمة محمد صبري الصاوي، مراجعة السيد عطا، للقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، ص ١٠.

على حلف مع المماليك ومعرفة أخباره لكونه حليفاً له آنذاك<sup>(١)</sup>؛ ولكن على ما يبدو لمعرفة أخبار المغول من بركه الذي كان يعد من أعوان الظاهر بيبرس في تعريفه أخبار الأعداء.

أما بالنسبة للنوع الثاني من القصاد فكان يطلق عليهم "الرسل الخفية" أو حاملي البريد السري حيث لم يكونوا مجرد ناقلين للأخبار والمعلومات السرية داخل الأراضي الأيوبية والمملوكية، ولكنهم كانوا غالباً ما يتوغلون في أراضي العدو، ويتصلون بأعوانهم هناك، ويتعرفون منهم الأخبار بها ثم ينقلونها إلى مقر السلطة المركزية بالقاهرة<sup>(٢)</sup> ونظراً لأهمية القصاد نجد أنهم كانوا لا يتبعون أيّاً من الوظائف المملوكية عدا رئاسة ديوان الإنشاء<sup>(٣)</sup> حيث نجد أنه كان يكتب في تقليد وظيفة صاحب الإنشاء "... وليتول أمور القصاد..."<sup>(٤)</sup>، ولأهمية القصاد بالنسبة للدولة باعتبارهم مصدراً مهماً من مصادر إمدادها بالمعلومات المهمة عن تحركات الأعداء واستعداداتهم<sup>(٥)</sup>، قام السلاطين بالاهتمام بهؤلاء القصاد وأجزلوا لهم العطاء نظراً للدور الذي يقومون به والمخاطر التي يضعون أنفسهم فيها أثناء الدخول إلى أراضي الأعداء للحصول على هذه المعلومات<sup>(٦)</sup>.

وزاد من أهمية القصاد لدى السلاطين أن الأخبار الصحيحة والمؤكدّة كانت دائماً مقترنة بأسمائهم<sup>(٧)</sup>.

وكان يتم اختيار هؤلاء القصاد من الأشخاص الذين لهم دراية واسعة وخبرة ببلاد العدو، وربما يكون لهم علاقات وثيقة ببعض الأشخاص هناك فيستطيعون من خلال هذه العلاقات الحصول على ما يريدون من معلومات عن الأعداء<sup>(٨)</sup>، وخير ما يؤكد ذلك ما يرويه لنا ابن عبد الظاهر<sup>(٩)</sup> "أنه في عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م سير السلطان بيبرس الكتب إلى عز الدين الأتابكي، وكان متاجراً بالعراق"، وذلك للتعرف على أخبار التتار منه.

(١) المقرئزي: السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٥١١.

(٢) الأسدي: التيسير والاعتبار، ص ٥٤؛ الهروي: التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق مطيع المرابط، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٢م، ص ١١-١٢؛

Amitai : Mamluk Espionage , p. 174..

(٣) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٢٠.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ١١، ص ٣١٤؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية في مصر على عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٣٢.

(٥) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء، ص ٥.

(٦) Amiati : Mamluks and Mongols , p. 144 ; Amitai : Mamluk Espionage , p. 176.

(٧) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٥٤.

(٨) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٩.

(٩) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٩ - ١٤٠.

ومن المرجح أن بعض هؤلاء القصاد كانوا ممن لهم نشاط ثقافي وعلمي، ومثل هذا النشاط كان يتيح لهم الاتصال بالعديد من المشتغلين بهذه المجالات، ومن خلال اللقاءات التي كانت تتم يستطيعون الحصول على المعلومات التي تهم دولتهم، هذا إلى جانب احتمال قيامهم بجمع المعلومات المطلوبة من خلال المشاهدة والملاحظة التي تتيحها لهم فرصة التنقل بين البلدان المختلفة<sup>(١)</sup>، وخير ما يؤكد هذا ما يرويه لنا ابن أبيك الدواداري<sup>(٢)</sup> من أن الشيخ شهاب الدين أحمد عندما حضر من البيرة عام ٦٩٨هـ/١٢٩٨م أخبر السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن غازان بن أرغون بن أبغا بن قلاوون ملك التتار على عزم لقصد الشام بجنوده فاستعد السلطان لذلك.

وكان أيضاً للقصاد مهمة أخرى تتمثل في الحفاظ على الصلات مع الأمراء والحكام المسلمين المحليين في الأراضي المغولية، وذلك لجمع المعلومات منهم وتوصيلها إلى السلطنة وكذلك تشجيع الحكام على التمرد والثورة والهروب إلى أراضي السلطنة<sup>(٣)</sup>، وهو ما قام به الأمير علاء الدين على بن عبد الله البغدادي، الذي كان قاصداً من طراز فريد، حيث اختلط بالمغول كثيراً، وتقرب إليهم، وأخذ يطلع على أخبار المغول وينقلها إلى سلاطين المماليك أولاً بأول<sup>(٤)</sup>.

ونجد أن القصاد كانوا لا ينقطعون أبداً عن بغداد وخلاط<sup>(٥)</sup> وغيرها من بلاد الشرق والعجم<sup>(٦)</sup>. ثم بعد ذلك زاد انتشارهم على حدود بلاد المغول وتوريز والعراق وماردين<sup>(٧)</sup> والموصل<sup>(٨)</sup> - بلاد الروم والكرج<sup>(٩)</sup>، وكان ذلك من أجل نقل أخبار الأعداء واستعداداتهم<sup>(١٠)</sup>، حيث حرص سلاطين

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الناصر، تحقيق ونشر سيدة صادق، باكستان، ١٩٥٦م، ص ٢٠٨-١٩٤.

(٢) الدر الفاخر، ج٨، ص ٢٥٢.

(٣) Amitai : Mamluks and Mongols , p. 144.

(٤) الدواداري: الدرة الذكية، ص ٩٢؛

Amitai : Mongols and Mamluks , p.143.

(٥) خلاط : هي مدينة من أعمال أرمينيا ، وهي بلد صغيرة ، كثيرة الخير ، خصبة التربة ، وهي أجل مدينة بأرمينيا . ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٣٩٥ .

(٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٥٨؛

Amitai : Mamluk Espionage, p.176.

(٧) ماردين : هي حصن من حصون بلاد الجزيرة الفراتية ، تقع بالقرب من نصيبين . ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٢٧٩ .

(٨) الموصل : هي مدينة تقع على نهر دجلة ، وهي من الأقاليم الواقعة بين دجلة والفرات . ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٢٨٥ .

(٩) الكرج : هي مدينة تقع بين همدان وأصفهان . ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٣٢٣ ؛ شافعي بن علي : الفضل المأثور، ص ٥٤ .

(١٠) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، تحقيق السيد الباز العريفي، مراجعة عيد العزيز الأهواني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ١٠١ .

الأيوبيين والمماليك على الاستعداد جيداً للمغول والصليبيين عن طريق بث القصاد داخل صفوفهم ودخل مدنهم، وفي أطراف ممالكهم، لموافاتهم باستمرار بما يتجدد من أخبارهم، من قبيل استعداداتهم الحربية واتصالاتهم السياسية<sup>(١)</sup> فكانت التحذيرات تصل من قبل القصاد، بصدد أية غارات متوقعة من قبل المغول والصليبيين، بل أنها تؤدي في بعض الأحيان إلى القبض على بعض جواسيسهم<sup>(٢)</sup>، وهو ما قام به الأمير شمس الدين الفارقاني الذي أرسله السلطان الظاهر بيبرس مع جماعة من أمراء لكشف أخبار بلاد الجزيرة وما حولها - ولكن تصادف في ذلك الوقت ارتفاع فيضان نهر الفرات فرجع الأمراء إلا هو، حيث أصر على إنجاز مهمة السلطان، ومن ثم عبر النهر على حالته تلك وظفر بأحد جواسيس المغول وبكتبه، ثم اجتمع بجماعة من قصاد المماليك وعرف منهم متجددات أخبار المغول ثم عاد فأخبر بيبرس بما حدث<sup>(٣)</sup>.

وقد أرسل السلطان الأشرف برسباي قاصداً إلى الشرق عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م لكشف أخباره، فعاد وأخبر أن أصبهان بن قرا يوسف، لما ملك بغداد من أخيه شاه محمد بن قرا يوسف، أساء السيرة، فأخرج جميع أهل بغداد منها بعيالهم، بعد أن أخذ جميع أموالهم<sup>(٤)</sup>، ونجد أنه في عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م انتصر المسلمون على المغول في موقعة حمص بسبب يقظة القصاد ونقل أخبار الأعداء إلى السلاطين فأنشد أحد الشعراء:

وَجَزْنَا الشَّامَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ      سَوَى جَيْشِ الْأَعْرَابِ وَالْحَشُودِ  
فَقَصَّ الْقَاصِدُونَ حَدِيثَ قَوْمٍ      بِأَرْضِ الرُّومِ مَعَ خَيْلِ الْبَرِيدِ<sup>(٥)</sup>

وعن طريق القَصَاد كان يتم القبض على جواسيس الأعداء فنجد أنه في عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م استطاع أحد القصاد القبض على جاسوس كان قد تسلل إلى مدينة البيرة، فتم القبض عليه وأرسله إلى السلطان فأنكر أنه أحد جواسيس المغول، ثم اعترف بعد ذلك<sup>(٦)</sup>. وإلى جانب عمل القصاد في الخارج نجد أنهم كانوا يبلغون السلاطين بأخبار الأمراء في الداخل فنجد أنه في عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م جاء أحد القصاد من الصعيد وأخبر بحدوث مقتلة عظيمة

(١) شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ١٠.

(٢) Amitai : Mamluk Espionage , p. 176.

(٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣، ص ٢٩٩؛ الصقاعي: تالي وفيات، ص ١٢.

(٤) ابن تغري بردي: التجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٤٤-٤٥؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان،

ج ٣، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٣م، ص ٢٨٩.

(٥) مامون فريز جرار: الغزو المغولي أحداث وأشعار، الرياض، دار البشير، ١٩٨٤م، ص ١٢٩.

(٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٧٣؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ١١٧.

بن الأمير إسماعيل الهواري وبين بني بكران ولهيان وغيرها وانتصر فيها الأمير إسماعيل الهواري<sup>(١)</sup>.

#### ١- المناصبون:

أما المناصب والجمع "مناصبون ونصاح" من نفس أصل الكلمة. فيعني معجماً صديق أمين أو شخص ما يقدم النصيحة أو المساعدة الحقة. أما هنا فمصطلح مناصحين يشير إلي السكان المحليين الذين كانوا يقطنون المناطق التي كان يحكمها ويسيطر عليها العدو وغالباً كانوا لا يدينون بالإسلام لكن كان لديهم تعاطفاً تجاه المسلمين ومن ثم مدوا أيدي العون لهم عن طريق إرسال معلومات عن العدو إلي القصاد وكانوا يسمون مكاتبين أو مراسلين أيضاً<sup>(٢)</sup>.

ونجد أن هؤلاء المناصبين قد لعبوا دور الوسيط الفعال في نقل الأخبار والمعلومات إلي القصاد السريين ليقوموا بدورهم بتوصيلها إلي السلاطين في القاهرة<sup>(٣)</sup>.

وكان يتم الحصول على المناصبين عن طريق إقامة علاقة سرية مع شباب العدو النسابين، وكانوا يتحرون بعض الأشياء عند اختيارهم وهي أن يكونوا متفقيين مع مبادئهم، وأن يكونوا كتومين للأسرار، ويفضل أن يكون عندهم تماثل عرفي أو ديني<sup>(٤)</sup> حتى يكون عندهم ولاء طويل<sup>(٥)</sup>. ولأهميتهم فكان لا يتبع أي من وظائف الدولة عدا رئاسة ديوان الإنشاء فيقول... وليتولى - أمور النصحاء...<sup>(٦)</sup>.

ولقد اهتم بهم السلاطين أيضاً وقاموا بتأمين طرقهم، وجعل للعقاب الشديد لكل من تسول له نفسه باعتراض طريقهم ففي سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م قام الأرمن بقطع للطرق على المناصبين والاستيلاء على رسائلهم فقام السلطان بتأديبهم<sup>(٧)</sup>.

وكان من مظاهر اهتمام السلاطين بهم أيضاً أنهم جعلوا لهم رسوماً جزيلة لا تنقطع عنهم وأموالاً جمة تحمل إليهم<sup>(٨)</sup> ومن مظاهر اهتمام السلاطين بالمناصبين أنهم كانوا لا يدفعون كلامهم وأخبارهم هكذا، ولكن كانوا يقابلونه بالباشاشة والاهتمام وذلك حتى يحافظوا عليهم وكان إذا جاءهم

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج١، ص ١٦٤.

(٢) Amitai : Mamluk Espionage, p. 175 ; Amitai : Mongols and Mamluks, p.143.

(٣) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٢٥ ؛

Amitai : Mamluk Espionage , p.175.

(٤) أنجيلو كودفيل: المخابرات وفن الحكم، ص ٥٨٣.

(٥) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٦٩.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص ٣١٤.

(٧) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كمل، (د.ن) ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٦٧.

(٨) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٥٤.

متتبع لا يؤخرون عرضه ولكن كانوا يقومون بعرضه بسرعة على السلاطين ؛ وظل هذا الاهتمام قائماً حتى تقلصت أعدادهم منذ منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، نظراً لإبعاد أمراء المماليك لهم، وتقريبهم للسفهاء والأوباش وغيرهم من عامة الرعايا<sup>(١)</sup> وكان هؤلاء المناصحوون متواجدين ومنتشرون في بلاد الأعداء لمطالعة السلاطين بأخبارهم أولاً بأول ، ومن أمثلة هؤلاء الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا وكان مقدماً كبيراً لدى المغول وكان يقيم ببلاد آمد، ويناصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات المغول<sup>(٢)</sup>.

وكما كان للمسلمين مناصحوون في أراضي أعدائهم كان لأعدائهم مناصحوون في أرضهم؛ فنجى أن الملك السعيد حسن بن عبد العزيز<sup>(٣)</sup> الذي كان يملك الصببية وبانياس كان أحد المناصحين للنتار ضد عسكر المسلمين في معركة عين جالوت<sup>(٤)</sup>.

وفي مجال رعاية الدولة للمناصحين أنه عندما ينكشف أحد المناصحين الموجودين عند الأعداء ويهرب إلي بلادهم ويحتمي بهم كانوا يستقبلوه ويوفرون له الحماية ومثال ذلك ما حدث في عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٢م عندما هرب الأمير شمس الدين بهادر ابن صاحب سميساط<sup>(٥)</sup> من النتار، وذلك لأن كان مناصحاً للسلطان ضد المغول ولكنهم كشفوا أمره فهرب إلي السلطان الظاهر لكي يوفر له الحماية<sup>(٦)</sup>.

#### ١١- البراجيون:

كان البراجيون يقومون على رعاية الحمام الخاص بالمراسلات، وكانوا يسكنون جنباً إلى جنب مع السواس القائمين على خدمة خيل البريد، أو في أبراج الحمام نفسها التي شيدها لهم السلاطين<sup>(٧)</sup>. وكان لكل برج رئيس مقدم، وتحت تصرفهم البغال لحمل ما يخص الحمام والبراجين القائمين

(١) ابن منكلي: الأحكام المملوكية والضوابط للناموسية في القتال في البحر، تحقيق عبد العزيز محمود عبد الدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة بأداب القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٨٠-١٨١.

(٢) صبحي عبد المنعم: سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام، ط٢، القاهرة، دار العربي، ٢٠٠١م، ص ٨١.

(٣) الملك السعيد: حسن بن عبد العزيز بن الملك العادل. كان الملك السعيد هذا صاحب الصببية وبانياس، ووقعت له أمور، وحبس بقلعة البيرة، حتى أخرجه النتار وقاتل المسلمين معهم، ثم ظفر به فضربت عنقه بين يدي الملك المظفر قطز في سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج١، ط٢، تحقيق وتقديم فهم محمد علوي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م، ص ٢٦٤.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتحي، القاهرة، دار الحديث، ١٣٥٨هـ، ص ٢٥٣.

(٥) سميساط: هي من بلاد الشام، وتقع على نهر الفرات، وهي مدينة حصينة، تقع في الغرب من قلعة الروم وفي الشمال من حصن منصور. ابن شاهنشاه: تقيوم البلدان، ص ٢٩٧.

(٦) بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص ٧٨؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ١١٣.

(٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، تحقيق واعتناء أحمد حطيط، فيسبادن، ١٩٨٣م، ص ٣٥٧.

من الطعام<sup>(١)</sup>. وكان هؤلاء العمال إلى جانب رعايتهم واهتمامهم بالحمام كانوا يقومون بعمل آخر وهو أنهم كانوا عيوناً للسلطين على الأعداء فوجد أنهم إذا رأوا أو سمعوا أمراً كتبوه بورقة وعلقوها بالطائر وأطلقوه في الحال لكي يقف السلطان على الخبر<sup>(٢)</sup>، لذا ليس بغريب أن القائمين على تلك الخدمة كانوا يمنحون رواتب جديرة بالاحترام ، لأنهم كانوا يسهرون على مراقبة العدو ورصد تحركاته أولاً بأول، ثم يرسلون بأخباره إلى السلطان كي يتخذ الاحتياطات اللازمة ضدهم<sup>(٣)</sup>.

وكان رئيس ديوان الإنشاء يتولى الإشراف عليهم<sup>(٤)</sup>، ويجب على البراج أن لا يغفل عن المراقبة حين تكون الحمامة مرسله، حتى إذا ما أقيمت ودخلت وكرها أحضرها والبطاقة إلى الدواidar الذي يقوم بنزعها من جناحها، تمهيداً لقراءتها على السلطان<sup>(٥)</sup>.

وكان يجب على البراج أن لا يفض البطاقة من جناح الطائر، حتى وإن كان لا يعرف القراءة أو الكتابة، فيضع نفسه بذلك موضع الشك لدى السلطان<sup>(٦)</sup> وكان يجب على البراج أن ينتخب الحمام الجديد لاستخدامه في نقل الأخبار<sup>(٧)</sup>.

## ١٢- المناورون:

وكان هؤلاء العمال مرتبين في المناور التي شيدها السلطين على قمم الجبال وذلك لمراقبة تحركات الأعداء أيضاً على الحدود وإبلاغ السلطان أولاً بأول عن طريق استخدام النار أو إثارة الدخان<sup>(٨)</sup>.

وكان رئيس ديوان الإنشاء بمصر يتولى الإشراف على المناورين والدياب والناظرة<sup>(٩)</sup>، فمن يعلم به العلم اليقين إذا رفع دخانه أو ناره، وهم في جنابات حيث لا يخفى لأحد منهم نار، ولا يزال كل

(١) حسن فزحات: الدواوين في مصر، ص ٩٢.

(٢) سيد على الحرير: الأخبار السنوية في الحروب الصليبية، ط ٣، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٥م، ص ١٤٩.

(٣) العمري: التعريف، ص ٢٥٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٩٨؛ محمود خليل: نيابة غزة في العهد المملوكي، بيروت، (د. ن)، ١٩٨٦م، ص ١١٧.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١١٩؛ نيقولا: مسابقة البرق وللعلم في سعادة الحمام، باريس، (د. ن)، ١٨٠٥م، ص ٧١.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٩٢.

(٦) نيقولا: مسابقة البرق والغمام، ص ٧١-٧٣.

(٧) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ١٢٠.

(٨) الرشيد: تقرير الكروب، مخطوط، ورقة ١٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣١٤-٣١٥؛ كمال بدور: حلب في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ١٦١.

(٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٩٢.

نبأ بتوويرهم كأنه جبل في رأسه نار"<sup>(١)</sup>، وكان نواب السلطنة أيضاً يتعهدون المنورين بالرعاية ويلزمونهم بالبقاء في قمم الجبال لرصد طوارق الصليبيين والمغول، بل وفي بعض الأحيان كان النواب يتفقدون هؤلاء العمال، فقد ورد في تقليد نائب السلطنة بالشام "... وإلزام المناورين بالديبانات والمناظر، والمناور في الأماكن المعروفة وتعهد أحوالها وتفقدتها..."<sup>(٢)</sup>.

وكان يكفى جلوس المناورين في ظل صخرة وبجوارهم كومة من الحطب الجاف جداً لإشعاله في الوقت المناسب، حالما يرصدون ظهور نار أو دخان في الأفق<sup>(٣)</sup>، وليس بالغريب أيضاً أن القائمين على تلك الخدمة كانوا يمنحون رواتب جديرة بالاحترام، لأنهم كانوا يسهرون على مراقبة العدو ورصد تحركاته أولاً بأول، ثم يرسلون بأخباره إلي السلطان كي يتخذ الاحتياطات اللازمة ضده<sup>(٤)</sup>، وبالتالي استطاع سلاطين الأيوبيين والمماليك عن طريق هؤلاء العمال معرفة أخبار دولتهم وهم مقيمون بقلعة الجبل، لدرجة أن متجددات الأخبار التي تحدثت حول الفرات في وقت الصباح كانت تصل إليهم بحلول المساء، ومتجدداتها في وقت المساء تصل بحلول الصباح<sup>(٥)</sup>، أي أن الأخبار كانت تصل من تخوم الدولتين إلي العاصمة القاهرة في يوم واحد<sup>(٦)</sup>.

### ١٣ - الفداوية:

من الممكن أن نضم الفداوية إلي مجموعة العاملين في التجسس، وكان يتم انتقاؤهم في بلادهم ويتم تأهيلهم عن طريق تحديد أعمارهم، وأساليب تدريبهم ومهامهم، وطرق انتقايتهم واصطفائهم<sup>(٧)</sup>، وكان هذا البرنامج يستهدف إعداد كوادر نشطة لتكون قادرة على أداء مهامها التي توكل إليهم على أكمل وجه.

فكان يتم تربيته من منذ نعومة أظفارهم بحيث كان يشترط فيهم ألا تزيد أعمارهم عن عشرين سنة ولا تقل عن اثنتي عشرة سنة<sup>(٨)</sup>، وكان يتم تدريبهم على الجاسوسية وعلى استعمال المكاتبات السرية في اتصالاتهم الداخلية والخارجية مع السلاطين<sup>(٩)</sup>، وعلى استخدام كافة أنواع الأسلحة

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١١، ص ٣١٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٧، ص ٢٠٤؛ ج ٨، ص ٥٩.

(٣) Sadeque : Development of Al- Barid or Mail – Post during the Reign of Baybars I of , JASP , XIVm 1969 , p. 183.

(٤) العمري: التعريف، ص ٢٥٩.

(٥) العمري: التعريف، ص ٢٥٩؛

Hartman : Politische Geographie des Mamluks enreiche , ZDMG , 70 , 1916 , S.504.

(٦) الأنصاري: تفريغ الكرب، ص ١٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٠٠.

(٧) محمد عبد الله المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، ص ٦٧.

(٨) محمد المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام، ص ٦٧.

(٩) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصر، بيروت، (د. ن)، ١٩٦٥م، ص ٧٦-٧٢.

المعروفة في ذلك الزمن ولاسيما الخناجر لإجادة فنون الاغتيال وطرقه وأساليبه، وإتقان وسائل الرصد والتكر والتخفي حيث كانوا يترصدون لضحاياهم في ثياب الزهاد والعباد أو في هيئة المتسولين والمعدمين أو يرفعون أصواتهم كمستضعفين ومستغيثين ومظلومين، كما تتكروا في ثياب الخدم والنساء وسائس الخيول، وتخفوا كجمالين وحمالين، وتقمصوا شخصيات التجار وتزيوا بزي الجند ولعبوا دور التلميذ الباحث عن العلم، والناسك المعتكف في مسجده، والراهب المتفوق في صومعته<sup>(١)</sup>.

وقد سهل لهم ذلك عملية الانخراط في جميع فئات المجتمع على اختلاف أصولهم وعقائدهم مما مكنهم من التموه على أنشطتهم وتنفيذ عملياتهم الفدائية بيسر وسهولة، إذ يتعذر تمييز الشخص الباطني من غيره فهو؛ شيعي مع الشيعة، وسني مع أهل السنة، ونصراني مع النصاري، ويتظاهر غالباً خلاف ما يبطن. ونتيجة لذلك كان الفداوي يتربص بضحيته شهوراً وربما أعواماً من أجل الانتفاض على فريسته في اللحظة الملائمة، وهو طوال تلك الفترة يكيف نفسه مع حياة المجتمع الذي يعيش فيه، فيعيش عيشه طبيعية منسجماً مع عاداته ومؤدياً شعائره وعباداته ومتحدثاً بلغة أهله<sup>(٢)</sup>.

وقد تعرض سلاطين الأيوبيين والمماليك إلى العديد من محاولات الاغتيال من قبل هؤلاء الفداوية<sup>(٣)</sup> مما دفع السلاطين إلى مصالحتهم والتحالف معهم واستخدامهم والاعتماد عليهم في التجسس، وذلك للقيام بتنفيذ المهام السرية المتعلقة بعملية اغتيال أعداء الدولتين.

وكان يتم استدعاؤهم من قبل رئيس ديوان الإنشاء، وكان يعبر عنهم بالصقور، وكان يتم منعهم من مخالطة الناس عند الحضور إلى ديوان الإنشاء، وكانوا لا يمكنون الغرباء من الدخول عليهم حتى لا يطلعوا على مكانهم، وإذا حضروا إلى الأبواب الشريفة، يكونون بمعزل عن الناس عند كاتم السر، ولا يدخل عليهم، غير القائم بمصالحهم ويكون موثقاً به في الأمانة والعقل، وكان كاتم السر يختبرهم عن طريق قيامهم بتمثيل الخطة التي سيقومون بتنفيذها مع العدو، فإن وجد كاتم السر تمثيل الخطة مقبولاً سمح لهم بالتوجه إلى العدو، ولكن إن وجدها غير مقبولة وضع لهم خطة أخرى يقومون بتمثيلها ليصلوا إلى الخطة المناسبة لقتل العدو<sup>(٤)</sup>.

ولا بد أن يكون كاتم السر واثقاً منهم لأنهم يتولون خدمة السلطان الخاصة<sup>(٥)</sup>، ولهذا يجب أن

(١) محمد المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام، ص ٦٨.

(٢) محمد المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام، ص ٦٨.

(٣) وهو ما سنتحدث عنه في الفصل الرابع

(٤) ابن كنان: حقائق الياسمين، ص ٧٤-٧٥.

(٥) رجاء علي: النظام الإداري، ص ١١١.

تتوافر فيهم شروط، منها الطاعة العمياء والانقياد الكلي لصاحبهم<sup>(١)</sup>، وكذلك الأمر كان على صاحب ديوان الإنشاء أو كاتم السر كلفتهم في مضيفتهم ومدة إقامتهم وتوجيههم<sup>(٢)</sup>.

وبالتالي نجد أن سلاطين الأيوبيين والمماليك استخدموهم في عمليات التجسس على الأعداء وكذلك القيام باغتيال الأشخاص المناوئين للسلاطين سواء في الداخل أو الخارج<sup>(٣)</sup>، ولم يقتصر عملهم على ذلك فقط ولكن نجد أنهم كانوا يستخدمون في تكوين شبكات سرية داخل بلاد الأعداء لجمع الأخبار كما ذكر أو تنفيذ الاغتيالات.

وليس أدل على ذلك مما يرويه لنا المقريزي من أن الناصر محمد بن قلاوون أرسل تاجراً يدعى يونس إلى توريز<sup>(٤)</sup> لكي يأوي إليه الفداوية وليكونوا شبكة سرية للتخلص من المناوئين للسلطان وكذلك إرسال أخبار الأعداء إلى السلطان وقيامهم بقتل نائب بغداد وإخبار السلطان الناصر بذلك<sup>(٥)</sup>.

#### ثالثاً:- الشروط والصفات الواجب توافرها في عمال التجسس:

نظراً لاحتياج سلاطين الأيوبيين والمماليك وحرصهم الشديد على تفقد أحوال أعدائهم وأحوال رعيتهم، من أجل تثبيت دعائم المملكة<sup>(٦)</sup>، دفعهم ذلك إلى الاهتمام بعمال التجسس وأسندوا إدارتهم إلى ديوان الإنشاء<sup>(٧)</sup>.

ولأن عمال التجسس يعدون بمثابة قلب هذا التنظيم فيصالحهم يصلح ويفسادهم يفسد كل هذا جعلهم متفردين عن باقي عمال الدولة وذلك لأن عملهم يعد من أشق الأعمال وأصعبها مما دفع السلاطين إلى وضع شروط لمن يقوم بالعمل في هذا الجهاز<sup>(٨)</sup>، وعلقوها على رئيس ديوان الإنشاء الذي وقع على عاتقه إسناد المهام المتعلقة بهذا الجهاز لشخص معروف عنه الكفاءة التامة، ويمتلك من الصفات والشروط ما يؤهله لذلك، وإن لم تتوافر فيه فلا بد وأن تؤدي بحياته<sup>(٩)</sup>.

(١) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصيف، ص ٧٢.

(٢) ابن كنان: حقائق الياسمين، ص ٧٥.

(٣) ميشيل لباد: الإسماعيليون بمصيف، ص ٧٦.

(٤) تبريز: أشهر بلدة بأذربيجان، والعامية تسميها توريز وكان بها كرسي ملك هولاكو ملك التتار، وكان قاعدة

أذربيجان في ذلك الوقت - أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٠٠.

(٥) السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٥٥٥-٥٥٦.

(٦) الأسدي: التيسير والاعتبار، ص ١٥٣؛ ابن منكلي: الأحكام المملوكية، ص ٣٤.

(٧) الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٦-١٢٣.

(٨) إبراهيم على محمد: المدخل إلى علم الاستخبارات رؤية إسلامية، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، (د.ت)،

ص ٥٨.

(٩) الرشدي: تفريج الكروب، ص ٢٦؛ الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ٨٣-٨٥.

إذا اشترط في العاملين بالتجسس عدة شروط منها:

١- أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه<sup>(١)</sup>: فكان يشترط فيهم أن يكونوا صادقين في كل عملهم ونصائحهم وأخبارهم التي يرسلونها من بلاد العدو، وكان السلاطين يحرصون على توافر هذا الشرط في العمال، وذلك عن طريق إعطائهم المال الكثير "يقال: إن أهل التجربة والحروب كانوا يستندعون صدق جواسيسهم بأنهم كانوا يعطون المال الكثير للجواسيس الذين يأتون بالأخبار المكروهة أكثر من الجواسيس الذين يأتون بالأخبار المحبوبة لديه"، كما أنهم كانوا يعهدون بها لمن لا يساء الظن بهم وبأستنتهم وأقلامهم، ولا يجرون وراء أغراضهم ومصالحهم الخاصة، ولا يحدثون أنفسهم بطلب المناصب وحرص المكاسب، وأن يكونوا ممن يعرف عنهم الثقة والدين والأمانة<sup>(٢)</sup>.

٢- قوة الذاكرة والفراسة:- حيث نجد أن نجاح المهمة التجسسية تتوقف على قدرة الجاسوس وتمتعه بمواهب كثيرة لا بد أن تتوفر منها<sup>(٣)</sup>، أن يكون ذا فراسة تامة ليدرك بوفور عقله وصائب حدسه من أحوال الأعداء بالمشاهدة ما كتموه عن النطق به، وأن يكون كثير الذكاء كاتماً للأسرار، وأن يكون قوى الملاحظة حتى لا تفوته تفاصيل الأشياء، وأن يكون ذا حدس صائب ليصل إلي استنتاجات تعينه على عمله وتتقده من الخطر، كما يجب أن يكون قوى الذاكرة لتعينه على حفظ المعلومات بدقة شديدة، وتمكنه من ربط ملاحظاته، ومعلوماته ببعضها البعض ليخرج بنتائج محددة<sup>(٤)</sup>.

وهو ما حدث عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م عندما أراد السلطان صلاح الدين فتح خلاط فنجد أنه ندب أحد الجواسيس إليها لكي يتعرف أخبارها، فاستطاع الجاسوس أن يعرف بتفرسه وقوة ملاحظته أنهم يريدون الصلح وليس الحرب<sup>(٥)</sup>.

٣- معرفة جغرافية البلاد وطرق الوصول إليها : وذلك ليكون أعتى له عن السؤال عنها وعن أهلها، فربما كان في السؤال تنبيهه وتيقظ لأمره فيكون سبباً في هلاكه، بل ربما وقع في العقوبة وسئل عن

(١) الماوردي: تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، بيروت، دار العلوم

العربية، ١٩٨٧م، ص ٢٦٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٣؛ ج١٠، ص ٢١٤.

(٢) نظام الملك: سياسة نامه، ص ١٠٠؛ الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة

محمد مصطفى زيادة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م، ص ٢٤؛ صلاح البحيري:

المخابرات الإسلامية، ص ١٧؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٢٨.

(٣) أنجيلو كودفيل: المخابرات وفن الحكم، ص ٣٩.

(٤) الرشيد: تفريغ الكرب، ص ٢٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ٢٣؛ السحماوي: المقصد الرفيع، ص

٣٠٤؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص ٣٤؛ وفيق القدوق: الجتوية في عهد الأمويين، بيروت، مؤسسة

الرسالة، ١٩٨٥م، ص ٢٧٧؛ إبراهيم علي: المدخل إلي علم الاستخبارات، ص ٦٣.

(٥) البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة، مكتبة الخالجي، ١٩٧٩م، ص ٢٥٦.

حال ملكه فدل عليه وكان عيناً عليه لا له<sup>(١)</sup>.

ومعرفة الطرق والمداخل والمسالك ضرورية للجاسوس وذلك حتى لا يسأل عن الطريق فيعرف أنه غريب، وعندما يتنبه له، فيقع في قبضة العدو وهو لا يدري<sup>(٢)</sup>.

٤- إتقان لغات أهل البلاد التي يتوجه إليها : ليستطيع أن يجمع الأخبار ممن يخالطهم من أهل الدول الذاهب إليها، وسكان البلاد العالمين بأخبارها، ويجب أن لا يكون ذلك الجاسوس ممن يتهم بممالة أهل ذلك اللسان، حتى لا يميل إليهم<sup>(٣)</sup>، وأن يكون شبيهاً بأهل البلد التي يرسل إليها من حيث الصفات الجسمانية والشكل ولون البشرة والملامح المميزة<sup>(٤)</sup> وذلك حتى يلبس لبسهم، ويتكلم لغتهم، ويتدرج بينهم دون أن يعرفه أحد<sup>(٥)</sup>، وإن عرف لغات عدة فيكون ذلك شيئاً عظيماً<sup>(٦)</sup>.

٥- قوة الجسم والصبر : ليكون قادراً على الدفاع عن نفسه إذا ما تعرض لأي اعتداء، كما أنه يجب أن يكون من المخلصين لعملهم<sup>(٧)</sup>، كما أنه يجب أن يتحلى بالصبر حتى إذا قبض على الواحد منهم لا يتقوه بأخبار مُرسليه ولا يعترف بأنه جاسوس أصلاً لأن في ذلك هلاكه<sup>(٨)</sup>، وفي ذلك يقول الرشيدى "... ويجب أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من عقوبة إذا ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال ملكه ولا يطلع على هن في مملكته، فإن ذلك لا يخلصه من يد عدوه، ولا يدفع سطوته عنه بل ولا يعترف أنه جاسوس أصلاً ؛ فإن ذلك مما يحتم هلاكه ويقضى إلى حقه... إلى غير ذلك من الأمور التي لا يسع استيعابها"<sup>(٩)</sup>.

٦- القدرة على التتكر وكثرة الدهاء والخديعة : ولا بد أن تتوافر فيه لأنه سوف يمر ويتعرض لمواقف حرجية وخطرة، وكانت هذه الصفة تؤمن رجل المخابرات أثناء تأدية واجباته، وتنفيذ مهامه المسندة إليه، وتمنعه من أن يكشف أمره، أضف إلى ذلك أنها تحافظ على حياته، والتتكر لكل مهمة

(١) الرشيدى: تفريج الكروب، ص ٢٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٤ ؛ عارف عبد الغنى: نظم الاستخبارات، ص ١٣٩ ؛ محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه ص ٩٧ ؛ منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، ج١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٢م، ص ٢١٨.

(٢) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه، ص ٩٦، سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٠٦.

(٣) الرشيدى: تفريج الكروب، ص ٢٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) الأنصارى: تفريج الكروب، ص ١٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٤ ؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(٥) ابن كنان: حدائق الياسمين، ص ٧٥.

(٦) إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص ٢٨١.

(٧) المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق على سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٤م، ص ٣٣٠-٣٣٩ ؛ محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧٢ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٠٦.

(٨) على السيد: الإسهام العسكري المصري، ص ٣٧١.

(٩) الرشيدى: تفريج الكروب، ص ٢٧-٢٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٤.

حال ملكه فدل عليه وكان عيناً عليه لا له<sup>(١)</sup>.

ومعرفة الطرق والمداخل والمسالك ضرورية للجاسوس وذلك حتى لا يسأل عن الطريق فيعرف أنه غريب، وعندما ينتبه له، فيقع في قبضة العدو وهو لا يدري<sup>(٢)</sup>.

٤- إتقان لغات أهل البلاد التي يتوجه إليها: ليستطيع أن يجمع الأخبار ممن يخاطبهم من أهل الدولة الذاهب إليها، وسكان البلاد العالمين بأخبارها، ويجب أن لا يكون ذلك الجاسوس ممن يتهم بممالة أهل ذلك اللسان، حتى لا يميل إليهم<sup>(٣)</sup>، وأن يكون شبيهاً بأهل البلد التي يرسل إليها من حيث الصفات الجسمانية والشكل ولون البشرة والملامح المميزة<sup>(٤)</sup> وذلك حتى يلبس لبسهم، ويتكلم لغتهم، ويتدرج بينهم دون أن يعرفه أحد<sup>(٥)</sup>، وإن عرف لغات عدة فيكون ذلك شيئاً عظيماً<sup>(٦)</sup>.

٥- قوة الجسم والصبر: ليكون قادراً على الدفاع عن نفسه إذا ما تعرض لأي اعتداء، كما أنه يجب أن يكون من المخلصين لعملهم<sup>(٧)</sup>، كما أنه يجب أن يتحلى بالصبر حتى إذا قبض على الواحد منهم لا يتقوه بأخبار مرسليه ولا يعترف بأنه جاسوس أصلاً لأن في ذلك هلاكه<sup>(٨)</sup>، وفي ذلك يقول الرشدي "... ويجب أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من عقوبة إذا ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال ملكه ولا يطلع على وهن في مملكته، فإن ذلك لا يخلصه من يد عدوه، ولا يدفع سطوته عنه بل ولا يعترف أنه جاسوس أصلاً؛ فإن ذلك مما يحتم هلاكه ويقضى إلى حتفه... إلى غير ذلك من الأمور التي لا يسع استيعابها"<sup>(٩)</sup>.

٦- القدرة على التتكر وكثرة الدهاء والخديعة: ولا بد أن تتوافر فيه لأنه سوف يمر ويتعرض لمواقف حرجة وخطرة، وكانت هذه الصفة تؤمن رجل المخابرات أثناء تأدية واجباته، وتنفيذ مهامه المسندة إليه، وتمنعه من أن يكشف أمره، أضف إلى ذلك أنها تحافظ على حياته، والتتكر لكل مهمة

(١) الرشدي: تفريج الكروب، ص ٢٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٤؛ عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات، ص ١٣٩؛ محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه ص ٩٧؛ منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، ج١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٢م، ص ٢١٨.

(٢) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه، ص ٩٦، سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٠٦.

(٣) الرشدي: تفريج الكروب، ص ٢٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٤؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(٥) ابن كنان: حقائق الياسمين، ص ٧٥.

(٦) إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص ٢٨١.

(٧) المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق على سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٤م، ص ٣٢٩-٣٣٠؛ محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٠٦.

(٨) علي السيد: الإسهام العسكري المصري، ص ٣٧١.

(٩) الرشدي: تفريج الكروب، ص ٢٧-٢٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٤.

جديدة يجعل من الصعوبة بمكان على جواسيس الأعداء كشفه بسهولة، وإن لم يتصف بذلك لفشل في مهمته ولظفر به عدوه، وفقد الحصول على المعلومة ومن هنا ينبغي أن يراعى ذلك في اختياره<sup>(١)</sup>، ويقول بعض أهل التجربة.

"... يجب أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ليتوصل بدهائه إلى كل موصل ويدخل بحيلته إلى كل مدخل، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه، فإنه متى كان قاصراً في هذا الباب، أوشك أن يقع وظفر العدو به، أو يعود صفر اليدين من طلبه"<sup>(٢)</sup>.

فقد كان القادة أحياناً يظهرون لعدوهم ما يجب أن يعلمهم عنهم، ليكيدوا له ويغرروا به، كما أوضح الهرثمي في قوله : "... لقد تحتاج في بعض الأحوال أن يعرف عدوك بعض أحوالك وتدابيرك لما تحاول من مكائده، فتلطف في ذلك بإظهار لجواسيسه، ليوصلوه إليه على ما يظهر فيه"<sup>(٣)</sup>.

**٧- كثرة الاختلاط مع الناس والتمتع بالذكاء الفطري:** يجب أن يكون كثير المداخلة مع الناس فيحضر ولائمهم ومجالس وعظهم<sup>(٤)</sup> ويختلط أو ينمجم معهم في الأسواق، حتى يمكنه أن يطلع على أكبر قدر ممكن من المعلومات والأسرار، ويتعرف أحوال عامة الناس وأراجيفهم<sup>(٥)</sup>.

وكان من الطبيعي أن يعتمد قادة هذا الجهاز على الاستغلال الأمثل بقدر الإمكان للغريزة الطبيعية التي يتحلى بها الإنسان، ونقصد بها الذكاء الفطري لدى الأفراد الذين يستخدمون في هذا المجال<sup>(٦)</sup>، كما ينبغي أن يبتعد عن شرب الخمر، لأنها تقضض شاربها، وتكشف عما في نفسه من الأسرار<sup>(٧)</sup>.

**٨- الشجاعة والإقدام :** وذلك لأن العمل التجسسي تكتفه الخطورة، والمخاطرة بالنفس، لذا لا بد أن يتصف رجل المخابرات بالشجاعة كي يؤدي عمله على الوجه الأكمل وبالصورة المطلوبة<sup>(٨)</sup>، وفي ذلك ذلك يقول الأنصاري<sup>(٩)</sup> "... يجب أن يكونوا شجعان، لأنه لو تسلل الخوف إلى قلوبهم، قلن يستطيعوا نقل الأخبار السيئة خوفاً من أن يصيبهم أذى أو يلحقهم مكروه".

(١) الرشيدى: تقرير الكروب، ص ٢٧ ؛ إبراهيم على: المدخل إلى علم الاستخبارات، ص ٦٣-٦٥-٦٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٣ ؛ عارف عبد الغنى: نظم الاستخبارات، ص ١٣٩.

(٣) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، ص ٢٥ ؛ عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١م، ص ٢١٥.

(٤) حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص ٢٩.

(٥) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ٨٥.

(٦) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية الإسلامية، ص ١٢ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٠٤.

(٧) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ٩٣-٩٤ ؛ إبراهيم العدوي: السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ رقم ١٧٩ نوفمبر ١٩٥٧م، ص ٣٤.

(٨) إبراهيم على: المدخل إلى علم الاستخبارات، ص ٦٥.

(٩) الأنصاري: تقرير الكروب، ص ٢٢.

١- توافر الخبرة والمهارة: وذلك عن طريق الخبرة المكتسبة من التجارب الشخصية، وتجارب الآخرين والمهارة التي تمكنه من معالجة الأمور وتقييم المعلومات، والاستنتاج الدقيق، والتحليل العميق لكل المعلومات أو التصرف في شتى جوانب العمل الاستخباري بسهولة ويسر<sup>(١)</sup>.

ويقول نظام الملك<sup>(٢)</sup> "... ينبغي أن يتولاها المعتمدون فقط؛ فقد كان الملوك كلما عثروا على أمثال هؤلاء، يرسلونهم في المهام إلى شتى الأنحاء والأطراف باستمرار ".  
كما كان السلاطين يقومون بامتحانهم مدة طويلة، قبل أن يرسلوهم في مهام رسمية، ليكونوا على بينة من أمرهم فيثق بهم ويرسلهم<sup>(٣)</sup>.

وفي النهاية نقول إنه متى توافرت هذه الشروط في العمال، كانوا جديرين بأن يرسلوا في المهمات السلطانية<sup>(٤)</sup>. وإن لم يتوافر فيهم فإنهم يكونون غير مؤهلين لهذه الوظيفة، حيث تجعلهم يرتكبون بعض الأخطاء التي قد تؤدي بحياتهم<sup>(٥)</sup>.

#### رابعاً:- رعاية الدولة للقائمين بأعمال التجسس

كان هناك بعض الواجبات تجاه عمال التجسس من جانب السلاطين بحيث تحثهم على الإقبال على تلك الوظيفة الخطيرة دون خوف خاصة وأنهم كانوا معرضين للهلاك أثناء أدائهم لوظيفتهم؛ إما بسبب العوارض الطبيعية السيئة مثل الصواعق<sup>(٦)</sup>، أو بشرية كتعرضهم للبطش من قبل الأعداء الذين الذين كانوا جادين في البحث عنهم للقبض عليهم وإعدامهم<sup>(٧)</sup>، وهو ما جعل السلاطين يوجهون اهتمامهم ورعايتهم لهؤلاء العمال نظراً لما يتعرضوا له، ونظراً لما يمثلونه للبلاد من خطورة في جمع الأخبار ونقلها<sup>(٨)</sup>.

هذا؛ وقد حثت المصادر ولاة الأمر على الاهتمام بعمال التجسس لما فيه من فوائد جمة تعود عليهم وعلى الدولة بشكل عام<sup>(٩)</sup>؛ فمن واجب السلطان تحري أحوال الرعية والجيش وكل بعيد وقريب، وقريب، ومعرفة كل كبيرة وصغيرة في المملكة، فإن لم يفعل ذلك فيكون ذا عيب ومأخذ يأخذه الناس

(١) إبراهيم علي: المدخل إلى علم الاستخبارات، ص ٦٣.

(٢) سياسة نامه، ص ١٢٢.

(٣) الأندلسي: بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢، تحقيق محمد عبد الكريم، طرابلس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م، ص ٥٩٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٤.

(٥) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٠٦.

(٦) مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق زبتر شتين، ليدن، (د.ن)، ١٩١٩م، ص ٤٧.

(٧) ابن أبي الفضايل: تاريخ سلاطين المماليك أو النهج السديد والذر القريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشره وترجمه للفرنسية وعلق عليها

E.Blouchet: Patrologiaorientalis, XII, XIV, XXII, Paris, 1919, P. 719- 720.

(٨) محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧١.

(٩) حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص ١٨.

عليه، ويحملونه محمل الغفلة والتهاون والظلم، وبالتالي كان يجب أن يكون له مخبرون في كل مكان يعرفونه بكل ذلك. (١)

وقد بين ذلك الجاحظ موضحاً ما يجب على الملك إزاء التمييز بين الأولياء والأعداء مستغلاً ما بين يديه من أسرار، ودقيق الأخبار، وحث ولي الأمر على التزود بالمعلومات الكافية عن حوله، ويسعى لذلك جاهداً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً فقال: (٢) "... ويجب على الملك أن يميز بين الأولياء والأعداء، وهذا التمييز لا يتأتى إلا عن طريق الأسرار ودقيق الأخبار، ويمضي الجاحظ يحث ولي الأمر على التزود بالمعلومات عن حوله حتى بلغ به القول: " إن أمكنه أن يعرف مبيت أحدهم ومقبله، وما أحدث فيها فعل.. وعليه أن يفحص عن أسرار رعيته فحصر المرضع عن منام رضيعها " ويعتبر أن التشدد في جمع الأخبار عن الرعية من الأخلاق السعيدة الملازمة لولي الأمر، حتى يكون على اطلاع على ما تدبره الخاصة قبل العامة قائلاً بهذا الشأن "

ومن مظاهر رعاية الدولة للقائمين بعملية التجسس إكرامهم والأخذ بقلوبهم وأن يزيد إليهم في الإحسان وأن يقوم بؤد أهله أثناء غيبته وذلك حتى يبين له أن منزلته — أي منزلة الجاسوس — عالية في الدولة، وأن الواجب الذي يقوم به كبير لصالح الدولة، وإذا مات أو قبض على أحد منهم أحسن إلى من خلفه من أهله مثلاً كان يحسن إليه من قبل ليكون ذلك داعياً لغيره من الجواسيس على العمل وعدم الخوف. (٣)

و يجب ألا يظهر لجاسوسه كراهة ما يأتيه به من الأخبار المكروهة، حتى لا يخفي عنه أسرار بعد ذلك، حيث نجد أن بعض الملوك كان يعطي من يأتيه بالأخبار المكروهة أكثر من الذي يأتيه بالأخبار السارة. (٤)

ومن رعاية الدولة لهؤلاء العمال أنها قامت بتشديد بعض دور الضيافة لهم على الطرقات وذلك

للراحة بها أثناء الذهاب والمجيء من تأدية مهامهم. (٥)

ومن مظاهر الرعاية أيضاً أن الدولة كانت تقوم بمعاقبة من يتعرض لهؤلاء العمال بأشد أنواع العقوبات؛ ففي سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م تم اعتقال نور الدين زامل — أمير العربان — لقيامه بالقبض

(١) نظام الملك: سياسة نامه، ص ٣٢.

(٢) التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي، القاهرة، (د.ن)، ١٩١٤م؛ طبعة بيروت، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للطباعة، ١٩٦٤م، ص ١٧١-١٧٢.

(٣) الرشيدى: تفريغ الكروب، مخطوط، ورقة ٢٨-٢٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) الرشيدى: تفريغ الكروب، ورقة ٣٠ - ٣١؛ الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، ص ٢٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٥.

(٥) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٥٥.

على قصاد المماليك المتوجهين إلى شيراز، وأخذ الرسائل منهم وإرسالها إلى هولاكو ملك المغول<sup>(١)</sup>، وكذلك الأمر حينما كثر اعتداء أهل بلدة كينوك<sup>(٢)</sup> على قصاد الظاهر بيبرس، لم يتوان عن إرسال إرسال الجيش المملوكي إليهم لتأديبهم فألحق بهم خسائر فادحة.<sup>(٣)</sup>

والحديث عن ميزانية ومرتبات عمال التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي من الأمور الصعبة والغامضة؛ نظراً لخلو أغلب المصادر الأيوبية والمملوكية من الإشارة إلى تلك النقطة بالتفصيل، وهو ما أدى إلى خلو الدراسات الحديثة أيضاً حول ذلك للموضوع مثل كتاب أشنور Ashtor عن الأجور والمرتبات في العصر المملوكي، والذي لم يتضمن أي إشارة عن مرتبات هؤلاء العمال أبان تلك الفترة.

وتوجد إشارات متناثرة في بعض المصادر الأيوبية والمملوكية عن رواتب القائمين بعملية التجسس؛ فبعضها أشار إلى أنهم كانوا يأخذون رواتبهم عقب إنجازهم لمهامهم المكلفين بها ذهاباً وإياباً، ولكنه في الغالب كان يمثل "أجراً" أكثر منه "راتباً"، وأشار البعض الآخر من المصادر إلى نوع آخر من الأجور وهي المنح والهبات التي كان ينعم بها على عمال التجسس عقب قضائهم لإحدى مهامهم، وكانت هذه الهبات إما في شكل ملابس أو أموال أو خلع أو بالإمارة أو ببعض الإقطاعات. وقد كان سلاطين الأيوبيين والمماليك يمنحون عمال التجسس رواتب جديرة بالاحترام<sup>(٤)</sup>؛ فكان منها ما هو مالي عبارة عن رواتب شهرية، بالإضافة إلى الأشياء العينية التي تصرف لهم من خبز ولحوم وتوابل وزيت وسكر وشمع وعليق للدواب وحتى الكسوة، بالإضافة إلى ما كان يصرف لهم في المناسبات المختلفة والأعياد.<sup>(٥)</sup> وكانت هذه الرواتب تنفع من صندوق مالي خاص وغير معروف؛ وذلك لعدم تدوين أسمائهم في الديوان<sup>(٦)</sup>، وقد أوصت بعض المصادر أولياء الأمور بالإتفاق

(١) النويري: نهاية الأرب، جـ ٣٠، ص ١١٥؛ المقرئ: الملوك، جـ ١، ق ٢، ص ٥٣٥.

(٢) كينوك: هي بلدة الحدث، وعلى هذا يكون موقعها بين ملطية وسميساطة ويقال لها: الحمراء أيضاً. المقرئ: الملوك، جـ ١، ق ٢، ص ٦٠٨؛ وبنها سيف الدولة علي بن حمدان، ومعنى تسميتها كينوك أي المحترقة، وكان قسطنطين صاحب سيس قد أخذها من ملوك الروم السلجوقية وأحرقها، وكان سيف الدولة بن حمدان سار لبنائها، وكان أهلها سلموها بالأمان للمستق ملك الروم، في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، فنزلها سيف الدولة في يوم الأربعاء ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة فحط الأساس من يومه، وحفر أول الأساس بيده، وأقام حتى كمل بناؤها في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب من السنة. النويري: نهاية الأرب، جـ ٣٠، ص ٣٣٦.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٤١٧؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٣٠، ص ٣٣٥.

(٤) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٢١.

(٥) عبد المنعم ماجد: دولة سلاطين المماليك، جـ ١، ص ٥٣.

(٦) Amitai : Mamluk Espionage , p. 176.

عليهم فيقول الحسن بن عبد الله (١) "... وأن تجرى عليهم النفقات وتوسع لهم في العطيات، وتزاح عليهم فيما يحتاجون إليه من أتباع وأعوان ومراكب وطيور ورواتب، وغير ذلك، ..."، ولزيادة نشاط الجواسيس كان القائد يضع الحوافز المادية والمعنوية لتدفع بهم إلى الزيادة في نشاطهم، وكانت هذه الحوافز المادية تزيد من تمكّنهم في التغلب على المعوقات التي تعترضهم فيستطيعون تأدية عملهم بمستوى أعلى (٢)، ولذا فإن إعطاءهم الأموال في أثناء تجسّسهم يعتبر وسيلة من وسائل كشف الآخرين (٣)، وذلك عن طريق استمالة بعض الأعوان بدفع الأموال لهم.

ومما سبق يتضح لنا أن رواتبهم ومخصصاتهم كانت مرتفعة، وذلك يظهر من خلال توصيات أهل التجربة والرأي لأولياء الأمور بإغداق الأموال عليهم، فقال بعضهم: "إنه ينبغي على ولي الأمر أن يبذل المال العظيم في مخادعته (أي عدوه) ومخادعة أصحابه واستمالتهم." (٤) وكان العمال يحصلون على بعض الرواتب المادية قبل الذهاب إلى أداء مهمتهم وذلك بسبب توصية بعض الحكماء بأن يكون مع الجاسوس ما يكفي من الأموال لأنه ربما قد تطول إقامته بين براثن العدو؛ فيلجأ حينئذٍ للتخفي عن طريق استثمار تلك الأموال في التجارة (٥)، وبعضها الآخر يحصلون عليه بعد عودتهم من أداء مهمتهم، والدليل على ذلك قول الرشدي (٦): "... ويجب عليه — أي على ولي الأمر — إذا قضى على الجاسوس أحسن إلى من خلفه من أهله وجعل لهم من بعده الإحسان ما كان يجعله له إذا عاد ليكون داعياً لغيره على النصيحة". ويقول في ذلك الكرودي (٧): "... يجب على ولي الأمر أن يرسل لهم التحف والهدايا ويعدّهم بالولايات السنية".

فالسُلطان صلاح الدين أعطى ابن نجا كل ما طلبه من الأموال والدور مقابل أن يطالعه بأخبار الثوار ومؤامراتهم (٨)، وكان الملك المعظم عيسى — أيضاً — يعطي لجواسيسه جملة كبيرة من المال بسخاء كبير فكان يرسل لهم الأموال والثياب الملونة، والمقانع والعنبرات لدرجة أن أحد رجال حاشيته

(١) آثار الأول، ص ٨٣.

(٢) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه، ص ٨٩؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٥٥.

(٣) عبد الله مناصرة: الاستخبارات العسكرية في الإسلام، ط ٣، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٩١م، ص ١٠٩.

(٤) ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، خط محمد علي الخرساني، القاهرة، جمعية دار المعارف المصرية، ١٩٦٦م، ص ١٠٧.

(٥) ابن منكلي: الأحكام المملوكية، ص ١٨٣.

(٦) تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٢٩.

(٧) الكرودي: كتاب كشف الغمة في بيان حرب النظام حق على هذه الأمة، مخطوط بدار الكتب، تحت رقم ٩٥

فروسية، ميكرو فيلم ١٧٧١، ورقة ٢٧.

(٨) الفيومي: نثر الجمان، ورقة ١٠٦.

اتهمه بالإسراف، فقال أنا أعطي الكثير باليسير<sup>(١)</sup>، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان بعض قادة المسلمين يصيرون جاسوس العدو جاسوساً لهم إما بإعطائه المال أكثر مما يعطيه عدوهم<sup>(٢)</sup>، ومثال ذلك : ما حدث في أيام الملك المعظم عيسى من أنه كان يرسل بعض الهدايا إلى فارس صليبي في عكا مما أدى إلى قيام هذا الفارس باطّلاع المعظم عيسى على كتب الأندلس التي كانت ترسل له<sup>(٣)</sup> وفي عصر الدولة الأيوبية قام الملك المعظم بمكافأة الراهب الذي أرسله للتجسس على الصليبيين ومنحه قطعة أرض، وضمن له معاشه وأعطاه علاوة ذلك ألف دينار.<sup>(٤)</sup>

وفي مجال رعاية الدولة لهؤلاء العمال كانت الدولة تحافظ على رواتب هؤلاء العمال لدرجة أنها كانت تعاقب كل من يقوم بقطع رواتب هؤلاء العمال فكان السلاطين يقومون بإغداق الأموال الكثيرة على القصاد ولكن في عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م رفع أحد القصاد ويدعى ضوء ابن صباح شكوى إلى حاكم دمشق الأمير أقوش الأقرم يشكو فيها الموظف المختص برواتب القصاد حيث اقتطع جزءاً من راتبه فكتب الأقرم إلى الموظف وقال له : ويك يا ابن سعيد الدولة ما أنت إلا ابن تغيس الدولة أوصلت إلى أنك تقطع جوامك (رواتب) القصاد الذين هم عين الإسلام والله إن عدت تعرضت لأحد في الشام بعثت من يقطع رأسك ويجئ بها في مخلاه.<sup>(٥)</sup>

وكان عربان العابد<sup>(٦)</sup> يحصلون على أخياز وجامكيات مقابل قيامهم بحفظ الطرق والمسالك من من تطرق القصاد والجواسيس من جهة العدو المخذول<sup>(٧)</sup>، وإذا نظرنا إلى التراجمة نجد أنهم عاشوا حياة رغبة وتمتعوا بكثير من الثراء، والدليل على ذلك ما يرويه لنا ابن حجر العسقلاني<sup>(٨)</sup> "إنه في عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م أيام السلطان الظاهر برفوق، حدث خلاف بين ترجمان الإسكندرية شهاب

(١) ابن الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرفاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م، ص ٢٤٥ ؛ جمال الدين الشيبان: الجاسوسية الأيوبية، مقال منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١م، ص ٧٧.

(٢) عبد الرؤوف عون: الفن الحربي، ص ٢١٦ ؛ عبد الغني: العيون والجواسيس، ص ٣٥٦.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص ١٤٦.

(٤) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية الإسلامية، ص ٣٩.

(٥) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص ٥ ؛

Amitai : Mamluk Espionage , p. p 179 – 180.

(٦) عربان العابد : إحدى بطون إحدى قبيلة جذام ومساكنهم فيما بين بلييس في مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك

الكرك من ناحية فلسطين ، وأصلهم من جذام ، وكانوا يلتزمون بحماية المحمل الشريف من مصر للعقبة للمزيد عنها

انظر القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري ص ٣٣٣

(٧) ابن أبيك الدواداري: الدر الفاخر، ج٩، ص ١١٥.

(٨) ابن حجر العسقلاني: أنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطبعة الأهرام، ١٩٩٨ م ، ص ٤٩٠.

الدين المالقي وبين المشرف على دار الضرب بها، فعندما وصل الخبر بذلك إلى السلطان فصّادرهما على ألف ألف درهم".

وبجانب ذلك رصدت الدولة الكثير من الجوامك والمرتبات لمن يقوم بمهمة المراقبة في المناور والأبراج، وأعطت للوافدين السياسيين الذين كانوا يقومون بأعمال التجسس في بلادهم لصالح السلاطين الكثير من الأموال<sup>(١)</sup>، وكان يتم تخصيص أجور شهرية ومكافآت للسعاة وذلك لكي يقوموا بأداء مهامهم في نقل الأخبار على أكمل وجه<sup>(٢)</sup>، وكانوا يحصلون عليها من ديوان الخاص<sup>(٣)</sup>، وقامت وقامت الدولة أيضاً بالإنعام على الفداوية بالمرتبات الجزيلة مقابل ما يقومون به من مهام واغتيالات لصالح السلطان.<sup>(٤)</sup>

ولم يقتصر الأمر على ما سبق بل نجدهم كانوا يسقطون الديون الموجودة على هؤلاء العمال والدليل على ذلك ما يرويه لنا ابن طولون<sup>(٥)</sup> "... وفي يوم السبت خمسة جمادي الأولى عام ٨٩٥ هـ / ١٤٩٠م نودي بدمشق بأن من كان له على المستخبرين دين فلا يطالب به أي تم إعفاء المستخبرين من الديون التي كانت عليهم.

وكان السلاطين عندما يصلون أو يدخلون المناطق التي بها المناصب نجد أنهم كانوا ينعمون عليهم بالأموال الكثيرة جزاء لمناصحتهم<sup>(٦)</sup>، وكان للنجابة - مثل السعاة - رواتب معلومة يتقاضونها على حسب أسفارهم من ديوان الخاص<sup>(٧)</sup> وكذلك كان للبراجين رواتب معلومة نظير تواصل الأخبار عن طريق الحمام الزاجل، وأغلب الظن أن هذه الرواتب كانت لا تقل قيمة عن التي يتقاضاها زملاؤهم.<sup>(٨)</sup>

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ١٣٥.

(٢) نظام الملك: سياسة نامه، ص ١٢٣.

(٣) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٠.

(٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٩٥.

(٥) مفاكهة الخلل في حوادث الزمان، ج ١، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٦٢م، ص ١٢٠.

(٦) العيني: عقد الجمان، ج ٤، ص ٧٨.

(٧) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٢.

(٨) ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١١٧؛ على إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ الممالك، ص ٢٨٦.

ويضاف إلى ذلك بعض الأجور العينية مثل : "الخلع"<sup>(١)</sup> والمنح والهبات" أوتعينهم أمراء على عدد معين من المماليك؛ فقد كان الظاهر ببيرس يوجه جل عنايته لهم، ويغدق عليهم الهبات والخلع الثمينة، لتواصلهم إليه بالأخبار دائماً ليلاً ونهاراً.<sup>(٢)</sup>

كما قام السلطان المنصور قلاوون بالخلع على عز الدين أيبك الخاص بخلعة ثمينة وذلك عندما بلغه بخروج الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب الشام عن الطاعة<sup>(٣)</sup>، ولما أراد قتل سنجر الأشقر استعان بأحد الفداوية، وكان راتب هذا الفداوي عبارة عن العديد من ألوان الطعام المختلفة التي تقدم له كل يوم.<sup>(٤)</sup>، وكان للأشخاص المرتبين في المناور إقطاعات، لكي يعيشوا منها<sup>(٥)</sup>، والأمراء الذين جاءوا فارين إلى السلطان الناصر فرج وأخبروه ببعض الأخبار المهمة عن معسكر تيمورلنك وما يدور فيه قام السلطان بالخلع عليهم<sup>(٦)</sup>، وكذلك للصمصام والحراشمة الذين كانوا يقومون بتنفيذ بعض العمليات السرية الخاصة بالسلطان كان السلاطين يقومون بالخلع عليهم<sup>(٧)</sup>، وكانوا يجعلون للعربان في حلب إقطاعات وفرضوا لهم غللاً من حلب مقابل عملهم كعيون للسلاطين يبلغهم أخبار الأعداء<sup>(٨)</sup>.

(١) الخلعة : هي ثوب التشریف، وكان قبل العصر المملوكي يلبسه الحاكم، ويعطيه كهدية بعد أن يخلعه من فوق جسده، وكان بمثابة وعد شخصي بالأمان أكثر منه رمزاً للتكريم، ولكنها صارت في العصر المملوكي وخاصة القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي بمثابة هدية شائعة إلى الحد الذي لم يكن لعمال الدولة في البلاط اعتبارها حقاً مكتسباً كمرتباتهم سواء بسواء. ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشبيبي، مراجعة عبد الرحمن فهمي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م، ص ١٠١، ويقول بن كنان "... أن الملوك كانوا يجعلون في خزائنهم التي بها القماش الملبوس - سبع بدلات كوامل، تتخذ للجلوس، أو لحامل الملقف...". ابن كنان: حقائق الياسمين، ص ٧٦، ومن الصعوبة بمكان تحديد نوعية القطع التي كانت تتألف منها الخلعة الكاملة. ماير: الملابس المملوكية، ص ١٠٣، وإن كانت في الغالب تتكون من ثوب طويل فضفاض يشبه العباءة وملحق به عمامة صغيرة محلاة بأزهي الألوان. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٩؛ البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٨٨.

(٢) Thorau : the lion of Egypt , p.p.104-105.

(٣) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٦٠ - ٦١.

(٤) المقرئزي: السلوك، ج٢، ق ٣، ص ٥٥٧.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٨.

(٦) ابن عرب شاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، ص ٢٤٤.

(٧) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٤٠.

(٨) كمال بدور: حلب في العصر المملوكي، ص ٢٠١.

فلا يجمع المعلومات عن الأعداء من أهم الأنباء التي شغلت دورهم في الحرب، ولا يهتمون بوجود جيش نظامي له أهداف محددة مثل الجيش الإسلامي الممهد لمواجهة التحدي الإسرائيلي، وبالتالي لم يستطيع هذا الجيش أن يقوم بتحقيق أهدافه دون أن يكون تحت قيادة عسكرية واحدة، في كافه الميادين عن أعدائه، بل من قيام كيان متخصص في إمداد الجيش الإسلامي بالذخيرة عن الأعداء في وقت السلم كما في وقت الحرب.

جمع المعلومات

أما النجس لم يكن إلا وسيلة للجلد لسلطان الأتراك والمماليك من أجل الحصول على المعلومات التي يحتاجها في معسكرات المصلين والمغول والعثمانيين بل وجيت غسانك  
أما أخرى فممنوعة في مجال جمع المعلومات عن الأعداء كثرت هذه الطوائف تمتلئ في  
أولاً جمع المعلومات في ميدان المعارك البرية.  
وعلى بعض من الجيش المجرى والخصم الحجاج وفضل الترك والنجار والمفسرون  
الذين لم يأتوا إلى بلاد المماليك وغيرهم

ثانياً: جمع المعلومات في ميدان المعارك البحرية.

ثانياً: جمع المعلومات في ميدان المعارك البحرية.

جميع المعلومات خارج ميدان المعارك.

ثالثاً: جمع المعلومات خارج ميدان المعارك  
تستمد من معلومات ومسلحة التي هي في يديهم خصمهم أولاً في كشف خططهم استراتيجياً  
وعسكرية، ومعرفة مواضعهم، قوتهم، وضعيتهم، وحالتهم الاقتصادية، وما تحبب تصرفه من  
طريقه، وأحوال إبعادهم، وسبل وطرق نقل المعلومات، وأوقات الراحة التي يتمتع بها جنودهم  
والتي تكون لهم من أن تكون لهم سبل للوسائل المتاحة التي يمكنها تحقيق هذا الهدف، ثم  
تتم ما يحق له من معلومات عن العدو، كان هذا الجيش يقوم بوضع خطة استراتيجية  
كذلك أو هجومية.

وكانت هذه الوسائل تكتمل في وحدة واحدة عسكرية في الجيش الأبيض والبرية في الجيش  
الأسود، ويجمع المعلومات من حيث (الاحتياط الخاصة) التي كان من الصعب الحصول  
على المعلومات من المعلومات عن الأعضاء والمتمنيتها من رفاق (أي نقل من) المعلومات  
وذلك من خلال ما يتسلسل عليه من أخبار أثناء قيامها بمهمات عسكرية في الجبهة  
مصفوفات الأبناء الأميل: اللبام عما تحقن من أخبار، ويعلمنا كيف هي المعلومات في  
كل وحدة من هذه الوحدات في هذا المجال كل شئ هذه

## الفصل الثاني

### جمع المعلومات

يعد جمع المعلومات عن الأعداء من أهم الأشياء التي شغلت ذهن من يقوم بالحرب، وهذا أمر طبيعي مع وجود جيش نظامي له أهداف محددة مثل الجيش الإسلامي المعد لمواجهة الصليبيين والمغول، وبالتالي لم يستطع هذا الجيش أن يقوم بتحقيق أهدافه دون أن تكون تحت تصرفه كل المعلومات الفعالة في كافة الميادين عن أعدائه، أي لابد من قيام كيان متخصص في إمداد الجيش بالمعلومات اللازمة عن الأعداء في وقت السلم كما في وقت الحرب.

وعمال التجسس لم يكونوا الوسيلة الوحيدة لسلطين الأيوبيين والمماليك من أجل الحصول على الأخبار والمعلومات التي تحدث في معسكرات الصليبيين والمغول والعثمانيين؛ بل وجدت هناك عدة طوائف أخرى تخصصت في مجال جمع المعلومات عن الأعداء كانت هذه الطوائف تتمثل في بعض فرق الجيش، وكذلك بعض السفن البحرية، وبعض الحجاج وقبائل العربان والتجار والأسرى والرسل والسفراء وأهالي البلاد المفتوحة وغيرهم.

#### أولاً: جمع المعلومات في ميدان المعارك البرية:

كان من الضروري بطبيعة الحال أن يكون تحت تصرف الجيش الأيوبي والمملوكي كل ما يمكن جمعه من معلومات ومستجدات عن جيش خصمه؛ وذلك لاستخدامها في كشف خطط العدو الاستراتيجية، ومعرفة مواطن نقاط الضعف فيه، وعدد جنده وحالتهم المعنوية، وما تحت تصرفه من مؤن وذخيرة، وأنواع الأسلحة التي يتسلح بها، وكيفية تحركاته، وأوقات الراحة التي ينعم بها جيش عدوه. وبالتالي كان لابد من أن تتوفر لجيوشهم الوسائل الفعالة التي يمكنها تحقيق هذا الهدف المهم إذ إنه على ضوء ما يتوفر له من معلومات عن العدو، كان هذا الجيش يقوم بوضع خططه العسكرية دفاعية كانت أو هجومية.

وكانت هذه الوسائل تتمثل في وجود وحدات عسكرية في الجيش الأيوبي والمملوكي تخصصت في مجال التجسس وجمع المعلومات سميت (بالوحدات الخاصة) التي كان من أهم واجباتها الرئيسية في أثناء المعارك جمع المعلومات عن الأعداء وتضمينها في رقاع (أي تقارير) ترسلها أولاً بأول إلى القادة، وذلك من خلال ما تتحصل عليه من أخبار أثناء قيامها بمهام عسكرية خاصة تسهل لها عملية اختراق صفوف الأعداء لإمالة اللثام عما اختفى من أخبارهم. ولعلنا نجد أنه من المناسب أن نتحدث عن دور كل وحدة من هذه الوحدات في هذا المجال كل على حده.

## (١) دور وحدة طلائع العسكر:

لقد فطن كل من سلاطين الأيوبيين والمماليك إلى أن أساس الفن الحربي هو جمع المعلومات عن العدو وذلك بواسطة فرقة الطلائع<sup>(١)</sup>، والطليلة : عبارة عن الخيالة التي تتقدم العسكر لاستطلاع الأخبار وكشفها وسميت بذلك لإطلاعها على خبر العدو<sup>(٢)</sup>.

والطليلة تسير دائماً في مقدمة الجيش، تتحسس الطريق أمامه وتفحصه<sup>(٣)</sup>، ولأهميتها بالنسبة للقائد وللجيش نجد أن القواد والسلاطين قاموا بوضع نظم يسرون عليها منذ خروجهم وحتى رجوعهم بالخبر وكانت هذه التنظيمات تتمثل في: إنه أثناء خروجهم لجمع الأخبار لابد أن يكون على رأسهم مقدم يرجعون إليه وبطيوعه ويأتمرون به لأنه إذا لم يكن عليهم مقدم يرجعون إليه ويقفون عند قوله أدركهم الاختلاف وفانت المصلحة فيما هم فيه<sup>(٤)</sup>.

أما سيرهم فلا بد أن يكون في أرض مستوية ليس فيها غبار إن أمكن لأنه أقرب لرؤية العدو، فإن احتاج الأمر إلى الصعود إلى مكان عال من جبل ونحوه صعد البعض وبقي البعض في الأرض المستوية، ولا بد أن لا يسير أكثر من ثلثي الطريق فيما بينهم وبين العدو وعليهم أن لا يسرعوا إلى جهة العدو متوغلين في جهة بل يكون سيرهم بالرفق والتأني مع ملاحظة الكشف يمينا وشمالاً<sup>(٥)</sup>.

ويجب عليهم الاحتراز من العدو عند جمع المعلومات فإذا أظهر العدو هزيمة بين يدي الطليلة فلا يتبعوه فريما كان هناك كمين يخرج عليهم لاسيما إذا كانت هزيمة طليلة العدو في غير جهة عسكر العدو<sup>(٦)</sup>.

وينبغي أن تكون خيولهم سوابق جيدة الظهور سالمة الحوافر ليس بها جماح ولا فيها حرون فالمقصود من الطليلة سرعة رد الخبر وإذا كان في الفرس حرن أو جماح أو نحو ذلك فات المقصود من الطليلة<sup>(٧)</sup>.

(١) محمود نديم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص ١٧١؛

Amitai : Mamluk Espionag, P. 173

(٢) الرشدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٦٧؛ نبيل محمد عبد العزيز: الخيل ورياضتها في عصر سلاطين

المماليك، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦، ص ٦٢.

(٣) وفيق البقوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص ١٦٥.

(٤) الرشدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٦٨.

(٥) الرشدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٦٩.

(٦) الرشدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٦٩.

(٧) الرشدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٦٨.

وكان لجمع الخبر وإرساله إلى القائد ضوابط منها أنه إذا كانت الطليعة فارساً واحداً فقط كشف الخبر وأتى به وإن كان اثنين بقي واحد في الكشف وأتى واحد بالخبر وإن كانت ثلاثة أتى واحد بالخبر وبقي اثنان لاستبراء الكشف، وإن كانت أكثر من ذلك وجه المقدم منهم من يريد لتوصيل الخبر والقي على من يريد لاستكمال عملية الكشف<sup>(١)</sup>. وإذا أتى بالخبر صار بحيث يرى العسكر نازلاً أو سائراً خف جري فرسه على التدرج إلى أن يصل إلى المعسكر فيدخله برفق ويخبر صاحب العسكر بما رأى ولا يخبر أحداً غيره<sup>(٢)</sup>، ولكن في بعض الحالات لا يستطيع حامل الخبر من أفراد الطليعة الوصول إلى القائد لذا يجب أن يكون بين صاحب العسكر وبين الذي يأتي بالخبر علامات متفق عليها بينهم يخبرون بها عن حالات العدو من خوف أو من قرب أو بُعد، وذلك لسلامة وسرية المعلومات، وكذلك عدم تمكن صاحب الطليعة من الوصول إلى معسكر الجيش، ويخشى قوات الفرصة، ومن رأي من العسكر إشارات الطليعة فعليه أن يخبر بها قواد الجيش فيعرفون الخبر<sup>(٣)</sup>.

وقد أورد الرشدي بعض الإشارات التي كانت تتم بين رجال الطليعة والقائد والتي كان يقصد منها تبليغ القائد بحال العدو من نزوله وسيره وكثرته وقلته ".... مثل أن يكون نزوله عن فرسه إشارة لنزول العدو، وسيره إلى جهة إشارة إلى سيره لتلك الجهة، وركض فرسه إشارة إلى غارة العدو ونحو ذلك"<sup>(٤)</sup>.

ولأهمية الطليعة ورجال الطليعة لابد أن تتوفر فيهم العديد من الشروط التي تكفل لهم القيام بالمطلوب منهم على أكمل وجه، وقد تم ذكرها في الفصل السابق.

أما المهام التي كان يقوم بها أفراد هذه الفرقة فكانت كثيرة ومتنوعة، لأن الأفراد المجندين في هذه الفرقة كان يتم تدريبهم خصيصاً على القيام بالتجسس عن الجيش المعادي على أرض المعارك التي تقوم بين الفريقين وفي أثناءها فكان ينبغي على أفراد هذه الوحدة جمع أقصى ما يمكن من معلومات عن طبوغرافية الأرض التي يتوقع أن تدور عليها المعارك من حيث المرتفعات فيها ومصادر المياه والبساتين والحقول الزراعية القريبة منها، وكذلك تقديم الصورة التي عليها العدو، وتفسيرها وتقييم الأسلحة، أي تقديم المعلومات الخاصة بتحركات جيوش الأعداء من حيث عددها

(١) الرشدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٧٠.

(٢) الرشدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٧٠.

(٣) الرشدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٧٠؛ ابن منكلي: التدبيرات السلطانية في سياسة الصنائع الحربية،

مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم الميكروفيلم ٢٩٩٩، ورقة ٣٠؛ الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٢-١٣؛

إبراهيم حسن: الجيش في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، أدب القاهرة، ١٩٧٣م،

ص ١٥٣؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣١.

(٤) تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٧١.

وعندئذ وأسلحتها المختلفة والمعلومات الخاصة بالمناطق الاستراتيجية المحيطة بها<sup>(١)</sup>، وبالتالي كان دور طلائع العسكر القيام بجمع كل هذه المعلومات وإرسالها في رقاع مفصلة إلى قائد الجيش الذي كان يتخذ على ضوءها الاستعدادات والقرارات المناسبة.

و كان من مهام هذه الفرقة — أيضاً — اختيار الأرض التي ستدور عليها المعركة من خلال المعلومات التي قاموا بجمعها عن العدو<sup>(٢)</sup>، وجمع المعلومات عن الطريق الذي سيسلكه الجيش وتأمين خط سيره سواء من كمين معد له أو من موانع وعوائق في طريقه، ثم دراسة أحسن السبل لتدمير جيش العدو، وأسهل الطرق وأيسرها وأقصرها إلى قيادات العدو والمناطق الخاصة بالشئون الإدارية من مصادر المياه والطعام وخلافه<sup>(٣)</sup>.

ويتجلى لنا دورهم بوضوح في معركة عين جالوت الشهيرة، فقد تمكن رجال الطلائع من استطلاع قوات التتار وجمع المعلومات عن مواقعهم وقواتهم وأسلحتهم وقيادتهم وخططهم قبل خوض هذه المعركة معهم، وبذلك تمكن بيبرس من تحقيق أول مرحلة قتالية بتدمير الحرس الأمامي للمغول في غزة -، بجانب أنهم نصّحوا السلطان قطز بضرورة التحرك إلى فلسطين واحتلال مدينة غزة التي كانت قد وقعت في أيدي مقدمة الجيش المغولي لتحقيق الأمن الوقائي للجيش المملوكي عن طريق مبدأ المفاجأة التكتيكية — وهي المفاجأة التي لا يتوقعها العدو— وذلك بالمبادأة بالهجوم على قوات المغول، وقد تحققت هذه المفاجأة التكتيكية بالتحرك إلى غزة والاستيلاء عليها، مما كان له وقع عند المسلمين في كافة مدن الشام<sup>(٤)</sup>.

ومن مهامهم — أيضاً — القيام بجمع المعلومات من الواردين إلى الدولة والخارجين منها للتعرف على أحوال الأعداء وتوصيلها إلى السلاطين<sup>(٥)</sup>، وظهر ذلك عندما عاد أحد أفراد فرقة

(١) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بن أيوب، ج١، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٣م، ص٨٧؛ ج٢، ص٣٨؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٤؛ أنجيلو كودفيل: المخابرات وفن الحكم، ص٥١٨.

(٢) ابن منكلي: التدبيرات السلطانية، مخطوط، ورقة ٢٥؛ الكرودي: كتاب كشف الغمة، مخطوط، ورقة ٢٦؛ الهروي: التذكرة الهروية، ص٨٧-٩٠.

(٣) الأقصراني: نهاية السؤال والأمنية، ص٥٢٨؛ محمود نديم: الفن الحربي، ص١٦٥؛ إبراهيم حسن: الجيش في عصر سلاطين المماليك، ص١٥٢؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٠.

(٤) محمود نديم: الفن الحربي، ص١٣٨؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣١.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٣٠٠؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٥-١٣٦.

الطلائع إلى السلطان طومان باي وأخبره أن السلطان سليم قد أرسل بعض الرسائل إلى أمراء المماليك يخرضهم فيها على طومان باي وقد جاء بهذه الرسائل إلى السلطان. (١)

وإذا نظرنا إلى مهام الطلائع في جمع المعلومات عن العدو نجد أنها لم تكن قاصرة على الأوقات التي تسبق خروج الحملات فقط؛ ولكنها كانت مستمرة أيضاً أثناء المعارك الحربية (٢)؛ وتمثل ذلك في تأمين ظهر الجيش أثناء القتال وذلك حتى لا يأتي أحد من خلفه ويهجم عليه بغتة (٣)، والقيام أيضاً بمراقبة الأعداء وجمع المعلومات عنهم أثناء قيام الجيش بحصار أحد حصونهم فإذا رأوا واحداً خرج من الحصن بادروا بالإعلام به وذلك حتى يلاقيه العسكر ويقاومه (٤)، وكان عليهم القيام بمراقبة ورصد تحركات جنود الأعداء، وإبلاغ أخبارهم إلى قادتهم الذين كانوا يقومون بدورهم باتخاذ القرارات المناسبة لتجنب الخطر (٥).

ويدعم ذلك ما يرويهِ لنا ابن واصل (٦) في معرض حديثه عن متجددات الأخبار العسكرية الخاصة بحصار صلاح الدين لحصني صغد وكوكب، فقد أظهر الفرنج بصُور كانوا قد أظهروا قدراً كبيراً من القلق بسبب هذا الحصار، فأرسلوا مائتي فارس من أفضل فرسانهم للقيام بشن هجوم مفاجئ من الخلف ضد المحاصرين الأيوبيين، ولكن هذه المهمة فشلت بسبب يقظة "طلائع العسكر" التي أرسلت أخبار هذا الهجوم "المفاجئ" من طرف الفرنج، إلى السلطان صلاح الدين في الوقت المناسب، وذلك عندما لاحظ جندي من الطلائع تحركات هذه الفرقة السورية، فأبلغ قائده المباشر صارم الدين قايمارز النجمي، وبناءً على هذه المعلومات أصيبت الحملة الفرنجية بفشل ذريع.

وفي عام ١١٧٩/٥٧٥م جاء إلى السلطان صلاح الدين أحد فرقة الطلائع، وأخبره بتحركات العدو نحوهم فاتخذ صلاح الدين استعداداته لكي يواجههم (٧)، وفي عام ١١٨٢/٥٧٨م توجه السلطان

(١) السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٦٠.

(٢) إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص ٢٨١.

(٣) نبيل محمد: الخيل ورياضتها، ص ٦٤.

(٤) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ١١٦.

(٥) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٥.

(٦) مفرج الكروب، ج ٢، ص ٢٧٢-٢٧٣؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٥.

(٧) ابن شاهنشاه: مضممار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة: الهيئة المصرية للعلماء للكتاب، ٢٠٠٥، ص ٤٢.

صلاح الدين نحو طبرية فعلم الفرنج بذلك فتحركوا نحوه، ولكن فرقة الطلائع قامت بتسيير من عرف السلطان بهذا الخبر فتجهز السلطان لكي يلقاهم<sup>(١)</sup>.

كما ظهر دور الطلائع - أيضاً - عندما توجه السلطان صلاح الدين إلى عكا عن طريق طبرية؛ فقام بتسيير مجموعة من الطلائع لكي يعلموه أخبار الفرنج ويجمعوا له المعلومات عنهم أولاً بأول ويوافوه بتحركاتهم ونجدهم قد عادوا، وأبلغوه بنزول الفرنج على عكا<sup>(٢)</sup>.

ومن مهامهم - أيضاً - أن الجيش كان لا يتحرك من موقع إلى آخر إلا إذا جاء الخبر من الطليعة يشير إلى سلامة الطريق<sup>(٣)</sup> وظهر ذلك في عام ٦٧٣هـ/١٢٧٥م عندما أرسل السلطان بعض أفراد الطلائع لمعرفة أخبار العدو في عينتاب فعادوا وأخبروا بأنهم موجودون؛ فتحرك السلطان نحوهم<sup>(٤)</sup>.

## (٢) دور فرقة اليزك:

واليزك<sup>(٥)</sup>، هي فرقة عسكرية تختص بأعمال المخابرات الحربية وتمارس مهامها في مقمة

الجيش<sup>(٦)</sup>، حيث إنه كان يتم تدريب أفرادها تدريباً خاصاً لكي يقوموا باستجواب الأخبار من معسكر العدو<sup>(٧)</sup>، وقد كانت مهمة فرقة اليزك الأساسية جمع المعلومات عن الأعداء أثناء المعارك وتوصيلها إلى قائد الجيش لكي يتخذ اللازم والاستعداد لمواجهة العدو<sup>(٨)</sup>.

وكان تنظيم هذه الفرقة يخضع لأسس وضوابط يسرون عليها منذ خروجهم لجمع المعلومات وحتى عودتهم بها إلى معسكر المسلمين، وكانت هذه الأسس والضوابط لا تختلف عن الأسس

(١) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ٤٩ - ١٢٧؛ ابن شاهنشاه: مضمير الحقائق، ص ١٢١.

(٢) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ١٦٣.

(٣) وفيق الدقوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص ١٦٤.

(٤) جيهان فاروق: القلاع والحصون، ص ١١٠.

(٥) اليزك: هي كلمة فارسية يعني بها مقدمة العسكر أو البصاص أو مقدمة القراول - وتعني أيضاً الجاسوس: انظر محمد معين: فرهنگ فارس، ج ٥، طبعة نهران، ١٣٥٧ هـ ش، ص ٥٢٥٦؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٦.

(٦) عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، ٩٨٤م، ص ٣٧٨.

(٧) صلاح البحيري: المخابرات، ص ٢٦.

(٨) صلاح البحيري: المخابرات، ص ٢٧.

الضوابط التي وضعت لفرقة الطلائع — والتي أشرنا إليها من قبل — سواء من وجود مقدم عليهم  
بأمرون بأمره إلى كيفية إرسال المعلومات إلى القائد والشروط الواجب توافرها فيهم أيضاً.

وكانت مهام هذه الفرقة كثيرة ومتنوعة، فمنها قيامهم بجمع المعلومات عن الأعداء من خلال  
العمليات العسكرية الخاصة التي كانوا يقومون بها لوضع خططه الاستراتيجية لمجابهة العدو<sup>(١)</sup>، وتدل  
النواهد التاريخية على دور فرقة اليزك في مجال التجسس الحربي، ففي عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م قام  
اليزك بإمداد صلاح الدين بمعلومات تتعلق بقيام الفرنج بقطع الجسر بين صور وصيدا، وكان ذلك أمر  
خطير يستوجب من السلطان اتخاذ بعض الإجراءات لمواجهة عواقب هذا الوضع<sup>(٢)</sup>.

كما أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي اليزك في عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م لكي يجمع أخبار ملك  
الألمان ويعرف مرساه ويتبصر بأمره وجيشه، فقاموا بإمداده بأخباره وأبلغوه أن أنصار ملك الألمان  
حذّوه وقد دب الضعف بينهم<sup>(٣)</sup>.

وفي كثير من الأحيان خرج السلاطين لملاقاة الصليبيين والمغول في أماكن متفرقة بناء على  
معلومات جمعتها فرقة اليزك وأخبرت السلاطين بها، فعندما نزل الفرنجة على عكا في عام ٥٨٦هـ/  
١١٩٠م اشتبك السلطان صلاح الدين معهم ولكن الليل فصل بين المعسكرين، فأمر السلطان صلاح  
الدين اليزك بالاحتراز، وألزمهم بمراقبة الأعداء وجمع المعلومات عنهم وتبليغه بها، فظل اليزك  
يراقب تحركاتهم حتى طلع الصباح فجاء من اليزك من أخير أن الفرنجة تحركوا للركوب فتحرك  
السلطان نحوهم لمواجهةهم<sup>(٤)</sup>، وقد حدث ذلك أيضاً في الأعوام التالية في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م<sup>(٥)</sup>،  
٥٧٠هـ/١٣٠٥م<sup>(٦)</sup>، ٦٣٦هـ/١٢٣٧م<sup>(٧)</sup>.

ولم يقتصر دور اليزك على المراقبة وجمع المعلومات فقط ولكن كان لهم دور آخر وهو  
سحب العدو إلى أكنة مدبرة لهم من قبل المعسكر الإسلامي، ففي عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م قام رجال

(١) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٧.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ١٥٦.

(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٨.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٢٣؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٢٤.

(٥) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٣١٠؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٧٣ - ٢٩٧.

(٦) ابن أبيك الدوادار: الدر الفاخر، ج ٩، ص ١٢٠.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٤ - ٣٠.

اليزك بتدبير كمين للفرنج ، وقامت مجموعة من الفرقة بسحبهم إلى هذا الكمين وتم القضاء عليهم<sup>(١)</sup> وكان ذلك لا يتأتى إلى عن طريق الجمع الجيد للمعلومات عن العدو.

وفى الأوقات التي كان يقوم الأعداء فيها بتضليل أفراد اليزك لحرمانهم من الحصول على المعلومات كان قواد اليزك يرسلون جواسيسهم إلى داخل صفوف الأعداء للحصول على هذه المعلومات<sup>(٢)</sup>.

ولقد عثرت - لحسن الحظ - على نماذج من هذه التقارير السرية التي كتبها قائد اليزك ومنها ما كان يتضمن - بشكل يدعو إلى الدهشة - تفاصيل ملفتة للنظر حتى عن النوايا التي يكنها الأعداء، ومن هذه التقارير أنكر تقريرين أوردهما بهاء الدين بن شداد، وهما من وجهة نظري - على جانب كبير من الأهمية، كتبهما عز الدين جورديك قائد يزك الجيش الأيوبي في أثناء الحملة الصليبية الثالثة، وأرسلهما إلى صلاح الدين يوم ٣٠ جمادى الآخر سنة ٥٨٨هـ/٣ يوليو ١١٩٢م<sup>(٣)</sup>.

كان التقرير الأول مختصراً جداً، يمكن اعتباره بمثابة برقية عاجلة وسريعة لتحذير بقية الجيش الأيوبي؛ فكان عبارة عن رقعة احتوت على جملتين فقط هما "أن القوم ركبوا بأسرهم، ووقفوا في البر على ظهر ثم عادوا إلى خيامهم، وقد سيرنا جواسيس تكشف أخبارهم"<sup>(٤)</sup>، ويفهم من هذه الرقعة أن اليزك كان يداوم على مراقبة الأعداء، وجمع المعلومات عنهم ، وأنه لاحظ بعض التحركات للجيش المعادي دون أن يعرف الدافع إليها حتى لحظة كتابه هذا التقرير العاجل، وهذا هو السبب في أنه أبلغ قيادته بهذه التحركات، وفي نفس الوقت قام بإرسال جواسيسه إلى صفوف الأعداء ليتجسسوا حول أسباب هذه التحركات ليلقوا الضوء عليها<sup>(٥)</sup>.

والتقرير الثاني أرسله عز الدين جورديك<sup>(٦)</sup> إلى صلاح الدين وقد تضمن أخباراً مفصلة عن هذه الواقعة، جاءت بها الجواسيس بعد القيام بمهمتهم بنجاح، واحتوى على مداولات ومحادثات كانت تدور بين القادة العسكريين الصليبيين أنفسهم، وقد تبين من خلال المعلومات الواردة في هذا التقرير

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٧-٢٨.

(٣) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٨-٢٩.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٤٠-٣٢٣؛ ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، تحقيق

حسين نصار، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م، ص ١١٧.

(٥) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٩.

(٦) عز الدين جورديك : ويسمى " جرديك " كان من مماليك نور الدين محمود ، ولهذا يلقب بالنوري ، وكان واحداً من

القواد الذين رافقوا أسد الدين شركوه في حملته الأخيرة على مصر، وكان مشاركاً لصلاح الدين عند القبض على

شاور ، كان قائد فرقة اليزك الأيوبي في أثناء الحملة الصليبية الثالثة. ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٠٧.

كيف أن جواسيس اليزك قد استطاعوا معرفة موقف المعسكر الفرنجي في عدم مواصلة الحرب وفي رغبته في عقد اتفاق سلام مع صلاح الدين، ورحيلهم إلى بلادهم، وسأذكر نص هذا التقرير ليتجلى لنا أهمية الدور الذي كانت تلعبه فرقة اليزك وجواسيسها<sup>(١)</sup>.

فتقول المصادر الأيوبية<sup>(٢)</sup>: "وصلت رقعة أخرى يخبر فيها أن الجواسيس رجعوا وأخبروا أن يقوموا باختلافوا في الصعود إلى القدس، والرحيل إلى بلادهم، فذهب الفرنسيون إلى الصعود إلى القدس، قالوا: "نحن إنما جئنا من بلادنا بسبب القدس ولا نرجع دونه" وقال الاكتار: "إن هذا الموضع قد أفسدت مياهه، ولم يبق حوله ماء أصلاً فمن أين نشرب؟ فقالوا له: "نشرب من ماء نقوع" وبينه وبين القدس مقدار فرسخ". فقال: "كيف نذهب إلى السقي؟" فقالوا: "نقسم قسمين: قسم يركب إلى السقي مع الدواب، وقسم يبقى على البلد في المنزل، ويكون الشرب في اليوم مرة". فقال الاكتار: "إذا يأخذ المعسكر البراني الذي يذهب مع الدواب ويخرج عسكر البلد على الباقيين، ويذهب دين النصرانية". فانفصل الحال على أنهم حكموا ثلاثمائة من أعيانهم، وحكموا الثلاثمائة اثني عشر منهم، وحكم الاثنا عشر ثلاثة منهم، وقد باتوا على حكم الثلاثة، فما بأمرهم به يفعل. فلما أصبحوا حكموا عليهم بالرحيل، فلم يمكنهم المخالفة، وأصبحوا - راحلين إلى نحو الرملة، وعلى أعقابهم - وش الحمد - ناكسين، ووقف عسكرهم شاكاً في السلاح إلى أن لم يبق في المنزل إلا الآثار، ثم نزلوا بالرملة وتواتر الخبر بذلك".

والمعلومات التي ذكرناها توضح أن جواسيس اليزك الأيوبي لا بد وأنهم قد اختلطوا بالفرنجة أنفسهم حتى تكون هذه الأخبار على مسمع منهم، لذلك يمكن أن نقول: إن هؤلاء الجواسيس كانوا من الفرنجة أنفسهم حتى لا ينكشفوا حينما يختلطون بهم وحتى يكونون أيضاً على دراية بلغتهم، أو أنهم جواسيس مسلمون تربوا بزي الفرنج، وتحدثوا لغتهم بطلاقة<sup>(٣)</sup>.

وكان هناك دور آخر لليزك على درجة كبيرة من الأهمية قاموا به؛ وهو أن الفرنج كانوا يعرفون تماماً دور اليزك في مجال الجاسوسية ولذلك فإنهم كانوا إذا ما أرادوا إجراء مفاوضات مع المعسكر الإسلامي، فإن ذلك كان يتم بواسطة ضباط من فرقة اليزك<sup>(٤)</sup>، ومثال ذلك ما حدث في عام ١١٩٠/٥٨٦م حينما جاء إلى صلاح الدين أحد أفراد اليزك واسمه قايمار الحراني وذكر له أن العدو

(١) صلاح البحيري: المخابرات، ص ٢٩.

(٢) ابن شاهنشاه: سيرة صلاح الدين، ص ١٧٤؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٣٢٣-٣٢٤؛ ابن واصل: مفرج

الكروب، ج ٢، ص ٣٨٩؛ أبو شامة: كتاب الروضتين، ج ٢، ص ١٩٩.

(٣) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٣٠-٣١.

(٤) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٧.

يطلب منه إيفاد من يصل إليهم ليسمع منهم حديثاً في سؤال الصلح وذلك لضعف حل بهم<sup>(١)</sup>، وتكرر نفس الطلب في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م<sup>(٢)</sup>

وبجانب ذلك تولى اليزك — أيضاً — تأمين تحركات السلطان من وجود أكمنة مدبرة له حيث إن السلطان صلاح الدين كان لا يخرج إلى مكان إلا بعد قيام اليزك بمسح المكان وجمع المعلومات اللازمة عنه والتأكد من خلو المكان من مكاييد العدو، ففي عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م ركب السلطان كعادتته ولكنه بعد عن المكان المعتاد ولكن اليزك علم أن هناك كمينا مدبرا للسلطان فحمل اليزك عليهم، وقضوا عليهم<sup>(٣)</sup>.

ومن مهام اليزك — أيضاً — أنهم كانوا يخبرون السلاطين كل يوم بما يصنع العدو واستعداداتهم<sup>(٤)</sup>؛ ففي عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م أخبر اليزك السلطان صلاح الدين أن الفرنج شرعوا في حفر خندق حول عكا من البحر إلى البحر وإنزال آلات الحصار من على مراكبهم ووضعها في عكا<sup>(٥)</sup>.

وفي عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م أمر السلطان صلاح الدين عز الدين جورديك بالتوجه على اليزك لكي يكون قريباً من يافا ليتعرفوا على أخبار الفرنج عن طريق إرسال الجواسيس إليهم وذلك ليعرف ما بها من الخيالة والرجالة من الفرنج وليقوموا بتبليغ ذلك للسلطان فجاء من أخبر أن جيوش الفرنج خرجوا وعلى رأسهم ملك إنجلترا في سبعمئة فارس وألف رجل وألف تركبول<sup>(٦)</sup>.

ويضاف إلى مهامهم القيام بالحفاظ على سرية تحركات الجيوش الإسلامية ومنع تسرب جواسيس الأعداء إلى معسكر المسلمين بل والقبض عليهم ومعرفة أخبار العدو منهم، وهو ما حدث عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م عندما عزم السلطان صلاح الدين على فتح قلعة بغراس قام بضرب اليزك على أنطاكية لكي يحافظ على تحركات الجيش ومنع من يخرج من أنطاكية ليهدد المعسكر الإسلامي حتى لا يحدث اتصال بين أنطاكية وبين بغراس<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٠٠.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٧٣.

(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢١٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، تحقيق خيرى سعيد، القاهرة، مكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م، ص ١٩٣.

(٥) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٣٤٧.

(٦) التركبول: مجموعة من الجند الفرنج الذين كانوا يجندون من العناصر المحلية، وكانوا مسلحين ومدربين على غرار فرقة الخيالة البيزنطية الخفيفة ومن عناصر مسيحية محلية، ومن المسلمين الذين اعتنقوا المسيحية. العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٥١ — ٣٤٧.

(٧) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ١٥٠؛ سيرة صلاح الدين، ص ٦٢؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية،

وعندما توجه السلطان صلاح الدين لفتح الشقيف عام ١١٨٩/٥٨٥م نجده قد أمر اليزك بالقيام - بمراقبة الشقيف ومنع أي أحد أن يخرج أو يدخل إليها أو يصعد أو ينزل منها وإليها<sup>(١)</sup>، لكي لا يخرج أحد منها فيتعرف على أخبار المسلمين أو يدخل إليها ويفشي أخبار المسلمين واستعداداتهم، وفي نفس العام أيضاً توجه السلطان لفتح عكا، فأمر اليزك بمنع من يدخل أو يخرج منها وكان ذلك السبب نفسه<sup>(٢)</sup>.

كما تمكن اليزك من القبض على جماعة من الفرنج في عام ١١٩١/٥٨٧م كانوا يريدون التسلل إلى معسكر المسلمين لمعرفة أخبارهم - فبصر بهم اليزك، وقاموا بالقبض عليهم - وعرفوا منهم أخبار الفرنج وما حل بهم من الوهن والضعف<sup>(٣)</sup>. وتم القبض على اثنين من العدو كانوا يريدان التسلل إلى معسكر المسلمين واستطاعا أن يعرفا منهم بعض الأخبار عن العدو وأنهم لم يرحلوا<sup>(٤)</sup>، واستطاع اليزك القبض على امرأة كانت تقترب من معسكر المسلمين، وأحضرت أمام السلطان<sup>(٥)</sup>، ويبدو أن هذه المرأة كانت تريد دخول معسكر المسلمين والتسلل إليه لمعرفة أخبارهم وعندما قبضوا عليها ادعت أنها تبحث عن طفلها الرضيع.

ومن مهامهم أيضاً القيام بطم الآبار والصهاريج التي ينتظر وقوعها في أيدي الأعداء وذلك بإلقاء الحيوانات النافقة والمسمومة والمياه القاتلة<sup>(٦)</sup>، وكانوا يقومون بذلك عن طريق جمع المعلومات الجيدة عن طبيعة المكان والأشياء الموجودة فيه، وهو ما حدث عام ١١٩٢/٥٨٨م عندما جاء اليزك وأخبروا السلطان أن العدو كان يريد التوجه إلى القدس، ولكنهم رحلوا بسبب قيامهم بطم الآبار الموجودة حول القدس<sup>(٧)</sup>.

ويضاف إلى ما سبق قيامهم بشن هجمات فجائية على معسكر الأعداء وذلك بهدف استكشاف أرض ميدان المعارك لحساب معظم الجيش؛ فكانوا يستطيعون بهجماتهم الخاطفة أن يستخبروا عن أحوال الجيش المعادي؛ فيكشفون طرقه التكتيكية وأعداده، وأنواع أسلحته المختلفة، ونظامه العسكري أيضاً. وفوق هذا كله تمكن اليزك من اختبار الحالة المعنوية لجنود المعسكر المعادي، والتعرف على

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ١٧٩.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ١٦٤-١٦٦.

(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٣١٦.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٦٧.

(٥) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ٢١.

(٦) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٣١.

(٧) ابن الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ص ١٧٩.

معدنهم كمقاتلين<sup>(١)</sup>، وتدمير الروح المعنوية بين صفوف الأعداء عن طريق نشر الأكاذيب والإشاعات المزعجة بينهم، بل كانوا ينشرون بينهم أخباراً عن مدى قوة الجانب المسلم واستعداده للقداء والقتال وأنه لا قبل للفرنج بهم<sup>(٢)</sup>.

مما سبق يتضح لنا مدى أهمية الدور الذي كان يلعبه اليزك في مجال جمع المعلومات عن الأعداء وتوصيلها إلى السلاطين.

### (٣) فرقة الكشافة:

الكشافة جمع كشاف، ومعناها فئة معينة من العسكر وكان عملها الخروج لكشف أخبار العدو<sup>(٣)</sup>، والقيام بجمع المعلومات عنهم ونقلها إلى السلاطين<sup>(٤)</sup>، حيث إنهم كانوا يتلقون تدريباً على أعلى مستوى لكي يقوموا بأداء مهامهم على أكمل وجه، وكانوا يتدربون على كشف أي مخطط من الأعداء قد يضر بجيوش الإسلام<sup>(٥)</sup>.

أما بالنسبة لخيولهم لابد أن تكون على أعلى مستوى ومدربة لأنهم كانوا يرسلون إلى مسافات كانت تصل في أحيان كثيرة إلى ألف ميل لجمع المعلومات وإرسال تقارير منتظمة إلى قادتهم<sup>(٦)</sup>.

وكان يتولى الإشراف على هذه الفرقة — في أحيان كثيرة — صاحب ديوان الإنشاء والدليل على ذلك ما قاله القلقشندي<sup>(٧)</sup>: "... وليتول... تجهيز الكشافة الذين هم ربيعة النظر وجلابة كل خبر..."، وعلى ما يبدو أنهم كانوا يخضعون تحت إشراف صاحب ديوان الإنشاء أثناء قيامهم بالحفاظ على أمن الدولة والصراعات الداخلية بين الأمراء وبعضهم.

(١) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٣١.

(٢) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٣١.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٩٢.

(٤) Marshall: Christopher, war fare in the latin East, cambridge, 1992, P. 263

(٥) مصطفى علي إبراهيم: أمراء الطواشية ودورهم السياسي والحضاري في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا، ١٩٩٥م، ص ٩٤.

(٦) أحمد عبد الكريم سليمان: المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، القاهرة، دار النهضة العربية،

١٩٨٤م، ص ٨٢؛ نور الدين خليل: سيف الدين قطز قاهر المغول، القاهرة، مؤسسة حورس الدولية، ٢٠٠٥م،

ص ١٦١.

(٧) صبح الأعشى، ج ١، ص ١٩٠؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٩٦.

ولكن في المعارك الحربية كان يتولى الإشراف عليهم قائد الجيش وكان يُعَيَّن عليهم مقدم يأمرون بأمره ويسيروا على أساس توجيهاته والدليل على ذلك أن الأمير الطواشي صارم الدين قايماز النجمي كان يطلق عليه لقب "رئيس فرقة الكشف" (١).

وكانوا يستعينون في أداء مهامهم وواجباتهم الموكولة إليهم بعدد من قصاصي الأثر للتعرف على تحركات أفراد العدو - الذين يخترقون مناطق الحدود، واتجاهاتهم وأعدادهم وكذلك الاستعانة بالمالى المناطق الواقعة على الأطراف عن طريق استمالتهم وبذل العطايا لهم والأموال وترهيبهم نارة أخرى (٢).

واعتمدوا - أيضاً - على التراجمة في عملهم إما بالتجسس على الأعداء أو بالقيام باستجواب الداخلين إلى البلاد والخارجين منها (٣)، ولأن عملهم كان يحمل نوعاً من الخطورة ؛ فقد كانوا يلجأون إلى التخفي وهو ما حدث عام ٦٩٢هـ/١٢٩٣م عندما طلب الأمير عز الدين أيبك الرومي ثلاثين سراقجاً (٤) وذلك لكي يلبسها أفراد فرقة الكشف عندما يتوجهون إلى بلاد العدو لجمع الأخبار حتى لا يعرفهم أحد ولا يُعرف من هم (٥).

وكانت مهام هذه الفرقة كثيرة ومتنوعة منها : القيام بمراقبة تحركات الأعداء وجمع المعلومات عنهم وإخبار السلاطين بها ؛ فكانوا يرسلون للحصول على معلومات عن العدو ومواقعه وعدده ويخبرون البلاد ، ويعرفون أحوالهم ثم يعودون إلى بلادهم ويطلعون قادة الجيش على كل الأخبار التي تساعد الجيش في قتاله للعدو (٦) ؛ ففي عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م علم المسلمون بأخبار تحركات

(١) مصطفى علي: أمراء الطواشي، ص ٩٤.

(٢) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٣؛ الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص ٣٨٦-٣٨٧؛ فائق عبد الحليم: تاريخ التراجمة في مصر، ص ٥٨.

(٣) فائق عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص ٥٨.

(٤) السراقج: عبارة عن قلنسوة لها شكل مخروطي طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى ، كانت تشبه الطاقية أو الغطاء الذي يوضع على الرأس ، وكان مميزاً لجند المغول ، وقد ارتداها عسكر المماليك يقصد جعل جواسيسه غير مميزين عن النثر ويتمكنوا من دخول بلادهم. صلاح الدين نوار : الطوائف المغولية في مصر ، الإسكندرية ، دار المعارف ، (د. ت) ، ص ٧٨ - ٧٩.

(٥) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٨ ، ص ٧٨ - ٧٩ ؛ صلاح الدين نوار : الطوائف المغولية في مصر ، ص ٧٨ - ٧٩.

(٦) فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٤ ، ص ٣٣ - ٣٤.

الصلبيين فقاموا بتفسير كشافتهم لرصد تحركاتهم وجمع المعلومات عنهم ومن خلالها تم وضع الخطط وعمل كمين لهؤلاء الصليبيين<sup>(١)</sup>.

وعندما كان السلطان الظاهر بيبرس بدمشق في عام ١٢٧١هـ/١٢٧٢م وصلت الأخبار إليه بأن فرقة من التتر قصدت الرحبة، فسار السلطان إلى حلب وعندها بعث فرقة الكشافة لكشف أخبارهم عادوا وأخبروه أن طائفة من التتر مقدارها ثلاثة آلاف فارس على شط الفرات مما يلي الجزيرة فتوجه السلطان نحوهم لملاقاتهم<sup>(٢)</sup>، وتكرر هذا الأمر في عام ١٢٨٠هـ/١٢٨١م<sup>(٣)</sup>، ١٢٩١هـ/١٢٩١م<sup>(٤)</sup> ١٣٠٣هـ/١٣٠٣م<sup>(٥)</sup>

ومن مهامهم — أيضاً — القيام بالحفاظ على سرية تحركات الجيوش الإسلامية، وهو ما حدث عام ١٢٩١هـ/١٢٩١م عندما أراد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون منازل عكا، فأمر جماعة من الكشافة مقدمهم الأمير علم الدين سنجر الوصابي الجاشنكير بالتوجه إلى صور لحفظ الطرق، وتعرف الأخبار، ومضابغة صور ليوحي للصلبيين بأن هدفه هو صور وليس عكا في حين أن القوات الرئيسية كانت تتوجه ناحية عكا<sup>(٦)</sup>.

وقد لعبت فرقة الكشافة دوراً كبيراً في النزاعات التي كانت تنشب بين الأمراء مع بعضهم البعض، وظهر دورهم في النزاع الذي دار بين الأمير يلغا الناصري والسلطان الظاهر برقوق فنجد فقد اعتمد كلا الطرفين على فرق الكشافة بصورة كبيرة للتعرف على أخبار الآخر من أجل حسم النزاع لصالحه، واستطاع السلطان الظاهر برقوق حسم النزاع لصالحه وقضى على الأمير يلغا

(١) إبراهيم خميس: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة فرسان الداوية)، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٥.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٥٨-١٥٩؛ الكتبي: عيون التواريخ، ج ٢١، تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، بيروت، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٤م، ص ٩؛ ابن أبيك الدوداري: الدرر الزكية، ج ٨، ص ١٦٩؛ مأمون فريز جرار: الغزو المغولي، ص ٩٥.

(٣) بيبرس المنصورى: التحفة الملوكية، ص ١٣١؛ العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ١٢٠.

(٤) بيبرس المنصورى: التحفة الملوكية، ص ٩٨؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٣٤؛ المقريزى: السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢؛ العيني: عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٥) العيني: عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٢٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٧.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٨؛ علي السيد: الإسهام العسكري في معركة عين جالوت، ص ٣٩٠.

الناصرى بفضل المعلومات الوافية التي أمدته بها كشافته<sup>(١)</sup> ، وقامت الكشافة بنفس الدور بنجاح في  
الغرام تاليه<sup>(٢)</sup>

كما كان للكشافة دورٌ كبيرٌ في التصدي لخطر العربان ومحاربتهم وتبليغ السلاطين  
بأفلاتهم؛ ففي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون أبلغت الكشافة السلطان بخروج مجموعة من  
العرب عن طاعته وأنهم أفسدوا وقطعوا السبيل ؛ فندب السلطان بعض الكشافة لتخرج وتقوم بالكشف  
عنهم فعادت وأخبرت أن طائفة من السودان تسمى هلنكة قد اجتمعوا لقتال العسكر السلطاني، وهم خلق  
كثير، فتوجه العسكر إليهم<sup>(٣)</sup>.

(٤) فرقة السرايا:

وهي طائفة مختارة من الجيش كانت ترسل قبل الاشتباك لقتال العدو وإرهابه، أو استعلام  
خبره، وقد تكون مشاة أو ممتطية للخيل<sup>(٤)</sup>، وقد أرسل السلطان صلاح الدين هذه الفرقة وهو بدمشق  
إلى معاقل الفرنج كل يوم؛ ليطلع على أخبار الفرنجة، وانتهاز الفرصة عندما تسنح، وبمجرد أن علم  
من الفرقة بخروج الفرنجة إلى منطقة "الوالة"<sup>(٥)</sup> هاجم مدينة نابلس، وعرج على سبسطيه وجنين<sup>(٦)</sup>.

ثانياً: جمع المعلومات في ميدان المعارك البحرية:

كانت الحروب التي دارت بين الأيوبيين والمماليك وأعدائهم حروياً برية وبحرية؛ لذا استوجب  
الأمر أن يكون هناك فرق مخصصة للتجسس وجمع الأخبار مماثلة للفرق البرية التي تخصصت في  
مجال التجسس وجمع المعلومات في البر.

وقد اعتمد السلاطين على هذا النوع عندما يصعب عليهم إرسال الجواسيس براً لمعرفة أخبار  
الأعداء وعندما لا يستطيع أحد أن يدخل البلاد عن طريق البر، وعندما يكون الهجوم على بلد ساحلي.

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٧٥-٢٧٦-٢٧٧.

(٢) وذلك في عام ٧٩٢ هـ/ ١٣٩٠ م، ٨١٢ هـ/ ١٤٠٩ م، ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨ م فطر المقيزي: السلوك، ج ٣، ق ٢،  
ص ٦٩٢؛ ج ٤، ق ١، ص ١٠٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣٥٤-٣٦٧؛ ج ١، ص ٣١٧-  
٣١٨.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ٢٤٠.

(٤) الأقصراني: نهاية السؤال والأمنية، ص ٥٢٩؛ إبراهيم حسن: الجيش في العصر المملوكي، ص ١٥٣؛ البحرية في  
عصر سلاطين المماليك، ص ٢٨١؛ نبيل محمد: الخيل ورياضتها، ص ١٦٢-١٦٣.

(٥) "الوالة": هي منطقة موجودة بالأردن اليوم. البنداري: سنا البرق الشامي، ص ١٢٥؛ حسن محمد وآخر: صاحب  
الخير، ص ٣٩٩.

(٦) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ١٢٥.

فيقول العماد الأصفهاني<sup>(١)</sup>: "وعندما انقطعت أخبار عكا عن السلطان ولم يستطع أحد أن يدخلها، انتدب السلطان العوام للسباحة وكان يدخل إلى عكا"، وكذلك يقول ابن شداد<sup>(٢)</sup> "وعندما انقطعت عن أهل دمياط من كان يدخل إليهم من جواسيس المسلمين وذلك بسبب تشديد الفرنج للحصار على دمياط ومنع الطيور من الطيران ندب السلطان الكامل أحد العوامين للدخول إليها".

#### ١- الغواصون:

وهم عبارة عن عدد من السباحين المهرة الذين يخترقون الحصار البحري للعدو حتى يحصلون على أخبار العدو ويعرفوا أحوال المحاصرين وما يمرون به، وكان هؤلاء الغواصون يشبهون ما يطلق عليهم اليوم في الجيش "الضفادع البشرية".

ونظراً لخطورة عمل هؤلاء الغواصين والدور الخطير الذي كانوا يقومون به كان لابد أن يتوافر فيهم العديد من الشروط التي تساعد على تأدية عملهم، من هذه الشروط أن يكون ناصحاً أميناً بحفظ الأسرار ضمناً، يمتلك العديد من المهارات سواء في السباحة أو التنقل بين مراكب الأعداء<sup>(٣)</sup>.

وكان تأديتهم للعمل يخضع لتنظيم خاص منذ خروجهم من معسكر المسلمين وحتى عودتهم حاملين أخبار العدو؛ فكان الغطاس يوجد على ظهر مركب من مراكب المسلمين ويقوم هذا المركب بإلقائه إلى أقرب نقطة من المكان المراد جمع المعلومات عنه، ويقوم هذا الغطاس بدهن نفسه بالشيرج، ويسد مناخره بالشمع، ومعه مخطافان، وحبل يساعده على التنقل بين مراكب العدو وكان يسبح ليلاً، وعندما يقترب وصوله من البر الآخر يغطس حتى لا يراه أحد<sup>(٤)</sup>.

أما مهام هؤلاء الغواصين فكانت متمثلة في قيامهم بتتبع أخبار الحصون وما يحدث بها من أخبار واستعدادات الأعداء وما يقومون به أيضاً وتبليغ السلاطين بذلك؛ ففي عام ١١٧٩/٥٧٥م وذلك أثناء حصار حصن بيت الأحزان وانقطعت أخبار الحصن فندب السلطان أحد العوامين؛ ليدخل إلى الحصن ويتخبر له أحوال الحصن وما يحدث به<sup>(٥)</sup>.

(١) الفتح القسي، ص ٢٢٠.

(٢) النوادر السلطانية، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٥١؛ جمال الدين الشيال: الجاسوسية في حروب بني أيوب، ص ٧٤.

(٤) ابن أبيك الدواداري: الدرر المطلوب، ج ٧، ص ٢٠٠؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٥١؛ إبراهيم حسن:

البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص ٣٠٠.

(٥) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ١٦٩.

وفي عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م انقطعت أخبار عكا عن صلاح الدين وانقطعت أخبار صلاح الدين عن الموجودين في عكا. فقام أهل عكا بإرسال أحد العوامين وأخبره أن الفرنج يحاربون المدينة حرباً شديدة وقد ابتتوا أبراجاً شاهقة تطل عليها وأمسى من في داخل الحصن في ضيق شديد<sup>(١)</sup>.

وفي العام نفسه أيضاً وصل عوام من البلد معه كتب تتضمن أن العدو قد طم جزءاً من الخندق وقد قوى عزمه على منازل البلد ومضايقتها<sup>(٢)</sup>.

ومن مهامهم أيضاً تتبع أحوال وأخبار المحاصرين ومعرفة أخبارهم ومعرفة مدى قوة عزيمتهم وبشجيعهم وبث الحماسة فيهم، والدليل على ذلك ما حدث عام ٥٨٧هـ/١١٩١م وصل عوام من عكا ومعه كتب يذكر فيها تمسك أهل البلاد بالجهاد والصبر وذكر أيضاً أنه لما وقع بالليل الصوت طن الفرنج أن عسكرياً عظيماً قد عبر إلى عكا وسلم، وصار فيها، قال: "وجاء إنسان فرنجي فوقف تحت السور، وصاح إلى بعض من على السور، وقال له: بحق دينك ألا أخبرتني كم عدد العسكر الذي دخل إليكم البارحة - يعني ليلة السبت - وكان قد وقع في الليل صوت، وانزعجت الطائفتان، ولم يكن له حقيقة، فقال: "ألف فارس" فقال: لا، لكنه دون ذلك أنا رأيتهم وهم لابسون ثياباً خضراً<sup>(٣)</sup>.

وقد خرج العوام من الثغر في جمادي الآخرة عام ٥٨٧هـ/١١٩١م وأخبر بضعف البلدة ومراسلة أهل البلد للفرنج، وطلب الصلح معهم مقابل تسليم البلد لهم<sup>(٤)</sup>، ولكن عندما وصلت هذه الكتب إلى السلطان وما فيها من التسليم عزم على أن يكتب في تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه<sup>(٥)</sup>.

ويضاف إلى مهامهم الدخول إلى المناطق المحاصرة وعلى وسطهم للكتب والنفقات والمؤن للمحاصرين<sup>(٦)</sup>، وهو ما حدث عام ٦١٥هـ/١٢١٨م عندما اشتد حصار الصليبيين حول دمياط، وقلة الأتوات وغلت الأسعار، وفكت بأهل دمياط الأمراض، أراد السلطان أن يرسل إلى الحامية الموجودة

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٢٣؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحق أرمله، بيروت، دار المشرق، ١٩٩١م، ص ٢١٧.

(٢) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص ١٦٢.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٥٦.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٥٧-٢٥٨؛ ابن أبيك الدوادري: الدر المطلوب، ج ٧، ص ١٠٧.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٥٨.

(٦) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٠٦؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٢٠.

هناك يطلب منها المقاومة، ويخبرهم بموعد وصول القوارب المحملة بالمواد التموينية وأماكن وصولها، فاستعان برجل يسمى علم الدين شمائل للقيام بذلك<sup>(١)</sup>.

وبالتالي نجد أنه أصبح هناك كثير من الغواصين تمتعوا بالعموم وذلك لسلامتهم مراراً من أيدي العدو<sup>(٢)</sup>، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عيسى العوام والذي كان معاصراً لفترة السلطان صلاح الدين ويعتبر عيسى العوام من أشهر السباحين الذين كانوا يخترقون الحصار البحري للصليبيين مراراً وتكراراً، فكان بذلك همزة الوصل بين صلاح الدين الأيوبي والمدينة المحاصرة (عكا) ، ولكنه عام مرة ليلاً نحو عكا وعلى وسطه ثلاثة أكياس فيها ألف دينار وكتب للعسكر، ومضت أيام وقد أبط في العودة والمسلمون يرتقبون على الشاطئ أن يروه كالعادة يغالب الموج في عودته ظافراً بأخبار المدينة والبشرى والفرح يطفحان على وجهه ، ولكنه لم يعد، ونقول عليه البعض وتناولته الظنون أن يكون قد خان جيشه ودينه، ولكن عيسى كان أنبل نفساً وأقوى روحاً، فقد قضى عليه البحر ومات شهيداً الواجب والجهد وظلت الأمواج تتقافه حتى ألقت به بعد أيام على ساحل عكا والأموال والرسائل على وسطه كما هي لم يمسه إفسان<sup>(٣)</sup>.

ومن أشهر العوامين علم الدين شمائل وكان من جملة الجندارية في عساكر الملك الكامل ونجد أنه كان يسبح ليلاً ويأتي بأخبار الفرنجة، وبعد انتصار الأيوبيين على الفرنجة صار هذا الأمير والياً على القاهرة، وإليه نسبت "خزانة شمائل"<sup>(٤)</sup>.

ونظراً لهذا الدور الخطير الذي لعبه هؤلاء السباحون فإن الفرنجة فطنوا لذلك وحاولوا أن يفسدوا على المسلمين طريقتهم في استطلاع أخبارهم، ويقضوا على هؤلاء الجواسيس ؛ فنصبوا

---

(١) ابن أبيك للدواداري: الدر المطلوب، ج٧، ص ٢٠٠ ؛ محمد مصطفى زيادة: حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦١م، ص ٥٢.

(٢) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٢١.

(٣) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص ١٦٥ ؛ جمال الدين الشيبان: الجاسوسية في حروب بني أيوب، ص ٧٤-٧٥؛ فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي، مراجعة جبرائيل خيبر، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٩م، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٤) ابن وصيف شاه: جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية المعروف بـ (فضائل مصر وأخبارها)، تحقيق محمد زينهم محمد عزت، القاهرة ، دار الثقافة ، ٢٠٠٤م، ص ٩٨؛ جمال الدين الشيبان: الجاسوسية في حروب بني أيوب ، ص ٧٦؛ منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية، ج١، ص ٢١٦.

الغبار في البحر، فكان إذا خرج سابح وقع فيها فقبض على البعض بهذه الطريقة وتخوف البعض الآخر؛ فامتنعوا عن السباحة وأحجموا عن المخاطرة بأرواحهم<sup>(١)</sup>.

## ٢- السفن الاستطلاعية:

كانت هناك العديد من السفن الاستطلاعية التي تم استخدامها في أغراض التجسس وجمع المعلومات عن الأعداء<sup>(٢)</sup>، والتي كانت ترسل بصورة مستمرة إلى بلاد الأعداء إما في صورة سفن منفردة أو في صورة حملات استطلاعية مكونة من عدد من السفن.

وكانت هذه السفن أو الحملات تخرج بأمر من قائد الأسطول، وتقوم بجمع المعلومات وتوصيلها إلى السلاطين، وكان رجال الاستطلاع يتحولون في إرسال معلوماتهم إلى مقدم الأسطول ليتأخذ حذره من عدوه، وليتصرف وفق ما يصله من معلومات عن استعدادات العدو ونواياه<sup>(٣)</sup>.

وبعد ذلك كانت تصل المعلومات إلى مقدم الأسطول يقوم بجمع مقدمي المراكب ويشاورهم فيما يصنعون استناداً إلى المعلومات التي وصلت إليه عن تعداد أسطول العدو وتشكيله وتسليحه<sup>(٤)</sup>.

وكانت هذه السفن أو هذه الحملات تحرص كثيراً على الاختفاء عن أعين العدو، فكانت لا تشعل في المراكب ناراً أو مصباحاً، ولا يحملون معهم حيواناً أو طيراً يحدث صوتاً مثل الديكة، ويستخدمون قلاعاً زرقاء توافق لون الماء، حتى لا تظهر المراكب من بعيد<sup>(٥)</sup>.

وعندما يكون القتال بالقرب من البر والسواحل أو الجزائر كان قائد الأسطول يقوم بإرسال عيونهم وطلائعه إلى البر ليتأكدوا من كشف كمان العدو أو أي مباغتة تحدث من جانبه<sup>(٦)</sup>؛ فعندما قامت أحد الأغربة الجنوبية عام ١٢٩٤هـ/١٢٩٥م بالإغارة على ثغر الإسكندرية قام قائد الأسطول الإسلامي بإذكاء العيون والرصاد لكي يراقبوا هذه الأغربة وعثروا على أحدها وقاموا بالاستيلاء عليها

(١) الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ص ١٧٢؛ جمال الدين الشيال: الجاسوسية في حروب بني أيوب، ص ٧٥.

(٢) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ٢٣٦.

(٣) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٤) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ٢٨٣.

(٥) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ٢٨٥.

(٦) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ١٩٦؛ عثمان عبد الحميد: الأسطول والبحرية على عصر سلاطين المماليك في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٧٧.

ودمروها<sup>(١)</sup>. وأشهر أنواع السفن التي تخصصت في مجال التجسس والاستطلاع على العدو هي  
١- الأغربة:

والغراب والجمع أغربة وغربان، وهي نوع من السفن يسير بالقلع والمجاديف ومنه الصغير والكبير، إذ يتحدد حجمه بضخامة عدد مجاديفه، فأحفظه ما كان يجره مائة وثمانون مجدافاً وأصغره تجدف بعشرة مجاديف، وهي مركبة حربية شديدة البأس، ولعل تسميتها بذلك لأن مقدمة رأسها تشبه الغراب إلى حد كبير<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت من أهم القطع البحرية التي اعتمد عليها الأيوبيون والمماليك في كثير من المهام القتالية الخاصة بالاستطلاع والتجسس، وغيرها من المهام التي تحتاج إلى بحارة على درجة عالية من المهارة والتدريب على مثل هذه العمليات<sup>(٣)</sup>.

وهو ما أشار إليه ابن شاهين الظاهري عندما قال<sup>(٤)</sup>: "... وكان سلاطين المماليك يرسلون الأغربة لكشف أخبار المسلمين في جزيرة قبرص وكيف يعاملهم صاحب قبرص"، والحملات التي أرسلها السلطان برسباي عام ٨٢٧هـ/١٤٢٤م لكشف حقيقة الأمر وما يعتمد عليه ملك قبرص مع المسلمين<sup>(٥)</sup>.

٢- الشياطي:

الشياطي: جمع شيطي أو شيطية أو شطية وهي سفينة استطلاعية مهمتها كشف الموانئ واستطلاع الطريق أمام السفن القتالية، والوقوف على أخبار العدو وإبلاغها لهذه السفن. وقد احتوت السفينة من هذا النوع على ثمانين مجدافاً<sup>(٦)</sup>.

٣- بدغيص:

وكان هناك سفن تسمى بدغيص وهو نوع ذو صف واحد من المجاديف و استخدم هذا النوع في أغراض الاستطلاع<sup>(٧)</sup>.

(١) بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص ١٤٢.

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج ١، ص ٩١.

(٣) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ٢٣٣؛ علاء طه رزق: القطع البحرية المصرية في عصر سلاطين المماليك،

مجلة الإنسانيات، ع ٩، دمنهور، ٢٠٠١م، ص ٣٣.

(٤) زبدة كشف الممالك، ص ١٣٨.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٥٨٠.

(٦) عبد المنعم هاجد: نظم دولة المماليك، ج ١، ص ١٩٣؛ عثمان عبد الحميد: الأسطول والبحرية، ص ١٠٢.

(٧) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ١١٠.

مفردها زورق وتجمع على زوارق، والزورق : لفظ فارسي معرب وتفسرها المعاجم بأنها سفينة صغيرة" أو قارب صغير وتستخدم في التجسس؛ لأنها سريعة الجري خفيفة الحركة سهلة الانقياد تسير بعدة من المجاديف يبلغ عددها "من أربعة وعشرين إلى ثلاثين"<sup>(١)</sup>.

ومن أشهر الحملات الاستطلاعية التي أرسلت في العصرين الأيوبي والمملوكي - على سبيل المثال لا الحصر- ما يلي: عندما حاصر الفرنج عكا برا وبحراً عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م ، واشتدوا في حصارها وضيقوا عليها الخناق، ولأقى المسلمون داخل حصونها المحن والشدائد وهم يجاهدون في سبيل الله. وقلق صلاح الدين إذ كان دائم التفكير في أخوانه سكان عكا من أهلين وجنود، فكان يرسل إلى مصر يأمر رجاله بها أن يبعثوا إلى عكا بالسفن محملة بالقوت والذخيرة، وخرجت هذه السفن تحميتها شواني الأسطول المصري، وحملت إلى المحاصرين الزاد والمؤونة وعادت محملة بأخبار المحاصرين<sup>(٢)</sup> والدليل على ذلك قول ابن شداد<sup>(٣)</sup> : "..... هذا والكتب متواصلة من عكا ومنا إليها - على المراكب اللطاف، تخرج ليلاً، وتدخل سرقة من العدو.....".

ولكن عندما انقطعت أخبار عكا مرة ثانية لجأ صلاح الدين إلى طريقة أخرى تعد من أحدث طرق الجاسوسية؛ وهي أن السلطان أعد بطسه (سفينة) كبيرة وملأها بنفر من نصارى بيروت الذين أسلموا، فأمرهم فتزيوا بزي الفرنج، وحلقوا لحاهم، ووضعوا الخنازير على ظهر البطسة ورفعوا الصليبان، وخرجت السفينة بهم، فاعترضتها سفن الفرنج وحسبوا من سفنهم فقالوا: "تراكم قاصدين البلد؟" - قالوا: "أو ما أخذتموه بعد؟" قالوا: "لا"، قالوا: "وراعنا بطسة أخرى ردها"، فذهبوا عنهم فردوا القلاع إلى البلد ودخلوا الميناء (عكا)، وكبر المسلمون<sup>(٤)</sup>.

ولقد أرسلت عدة سفن إلى جزيرة قبرص لكشف أخبارها ،ومدى استعدادات العدو ومن هذه الحملات الحملة التي أرسلت عام ٥٨٧هـ/١١٩١م وهي أن بركوساً<sup>(٥)</sup> للمسلمين ذهب إلى هناك

(١) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ١١١.

(٢) جمال الدين الشبالي: الجاسوسية الأيوبية، ص ٧٤.

(٣) النوادر السلطانية، ص ٢٠١.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٠٦؛ الحنبلي: شفاء القلوب، ص ١٤٥؛ ابن أبي جراحة : زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج ٢ ، حققه وقدم له سهيل زكار، دمشق، دار الكتب العربي، ١٩٩٧، ص ٥٩٤ ؛ جمال الشبالي: الجاسوسية الأيوبية، ص ٧٥-٧٦.

(٥) البركوس : نوع من السفن التي كانت تستعمل في الحروب بين الشرق والغرب في مياه البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى، وهي أصغر حجماً من البطسة؛ وكانت حمولة البركوس الواحد حوالي من خمسة وعشرين

واستطاع أن يدخلها وقت عيدهم وقاموا بقتل بعض أهلها وأسرى البعض وأخذ الغنائم الكثيرة منهم ومعرفة أخبار من بقبرص، والحملة التي أرسلها السلطان الملك الأشرف شعبان عام ١٣٩٨/٥٧٦٩م بقيادة الرئيس إبراهيم النازي، والحملة التي أرسلها السلطان برسباي عام ١٤٢٤/٥٨٢٧م<sup>(١)</sup>

كما أرسل السلطان جقمق عام ١٤٤٢/٥٨٤٥م حملة إلى رودس بعد إخفاق حملته الأولى وكانت الحملة مكونة من خمسة سفن لتأتيه بالأخبار الدقيقة عن مدى استعداد أهلها للدفاع عنها، وما اتخذوه من وسائل التحصين. وبعد أن عادت سفن الاستطلاع تمت التجهيزات وأُقلع الأسطول متجهًا إلى رودس<sup>(٢)</sup>.

وكانت هذه الحملات الاستطلاعية تعتمد بصورة أساسية على الاختباء والتمويه لتنفيذ مهامها، وهو ما حدث في أغلب هذه الحملات، فنجد أن السفن التي كانت تدخل إلى عكا كانت ترسم الصليبان على الأعلام وتحمل الخنازير<sup>(٣)</sup>. وهذا ما حدث في عام ١٢٦٩/٥٦٧١م عندما أرسل الظاهر بيبرس حملة لغزو قبرص نجد أن قائد الحملة قام برسم الصليبان على أعلامها ليشبه بذلك الفرنج بشواتيهم، وطلاها بالقار، "يريد بذلك أنها كانت تختفي إذا عبرت البحر على الفرنج، حتى تطرقهم على غفلة"<sup>(٤)</sup>.

---

رجلاً. انظر ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٤ ، ج ١ ، تحقيق ونشر حسن محمد الشماخ، البصرة، نشر جامعة البصرة، ١٩٧٠م، ص ٢٣٤؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢١٨.

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢١٨؛ ٢٣٨. المقرئ: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٥٩؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١٣٨؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٠؛ إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ٢٨٢.

(٢) جمال الدين الشيال: الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على جزيرة رودس في عهد السلطان المملوكي جقمق، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١م، ص ١٤٤؛ إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ٢٨٢.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٠٦.

(٤) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص ٢٨٤-٢٨٥.

### ثالثاً: جمع المعلومات خارج ميدان المعارك:

#### ١- الرسل والسفراء:

كلمة السفير: مأخوذة من سفر، وأسفر، والسفير هو الرسول المصلح بين القوم والجمع سفراء<sup>(١)</sup>، فالرسول (السفير) يدل على عقل مرسله، إذ هو عينه فيما لا يرى، وأذنه فيما لا يسمع، ولسانه عندما غاب عنه<sup>(٢)</sup>، وكان ديوان الإنشاء هو المهم بتدريب الرسل والاعتناء بهم<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت الدولة الأيوبية والمملوكية على إطلاع ووعي بشئون الدبلوماسية، والأهداف التي يتخذها جيرانهم من وراء إرسال السفراء إليها، فكانت على علم أن الملوك والأمراء بإرسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رسالة فقط، بل إن هناك مئات الأغراض التي ييغونها<sup>(٤)</sup> فكان من أهم أغراض السفير أو الرسول (التجسس) ومحاولة جمع المعلومات بطرق وأساليب شتى ونقلها لدولته وذلك في صورة تقارير يرفعها إلى السلاطين عند عودته من البلد التي أوفد إليها<sup>(٥)</sup>.

وهذا الغرض يلزم الرسالة دائماً، فيود المرسل أن يطلع على كل ما عند المرسل إليه من خير وشر ليحمله إلى مرسله<sup>(٦)</sup>، وقد بين نظام الملك هذا الأثر بياناً دقيقاً في وثيقة مهمة أودعها في كتابه "سياسة نامه"<sup>(٧)</sup> فقال: "ويجب أن يعلم الملوك بإرسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رسالة أو نقل سفارة فقط، بل إن هناك مئات الأغراض ييغونها، فهم في الحقيقة يريدون أن يعلموا حالة الطرق، ويعلموا إذا كانت الطرق معبّدة تستطيع الجيوش أن تمر بها... وأن يعلموا قوة الجيش وموثوقته في العدد والعدد في الدفاع والهجوم... حتى إذا رغبوا في مهاجمة مملكته يوماً كانوا مطلعين مدركين يضعون المحاسن والمساوئ نصب أعينهم وينهجون بحسبها".

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص ٣٧٠؛ الرازي: مختار الصحاح، ج١، تحقيق محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م، ص ١٢٦.

(٢) ابن رضوان المالقي: الشهب اللامعة، ص ٣٤٣؛ صلاح الدين المنجد: فصول في الدبلوماسية، الرسل والسفراء في بلاد الغرب وبلاد العرب، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م، ص ١٠٨.

(٣) سعيد عبد الله: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، ص ٢٩٥.

(٤) ابن الفراء: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م، ص ١٤٦؛ سلامة محمد الهرفي: المخابرات في الدولة الإسلامية، ص ١٧١.

(٥) ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٤؛ سعيد عبد الله: العلاقات الخارجية، ص ٣٢٢.

(٦) ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٤٦؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص ٣٥؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٢٢.

(٧) سياسة نامه، ص ١٣٤؛ ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٤٦-١٤٧؛ صلاح الدين المنجد: فصول في الدبلوماسية والسفراء، ص ١٤٧؛ إبراهيم العدوي: السفارات الإسلامية إلى أوروبا، ص ١٦-١٩؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٢٢.

وإدراكاً من الأيوبيين والمماليك بخطورة مهام السفير كانوا يحرصون أن يكون السفراء على قدر كبير من الذكاء والعلم وسرعة البديهة وقوة الذاكرة والقدرة الفائقة على ضبط النفس وحفظ الأسرار وقدرة على استرجاع المعلومات التي حصلها خلال إقامته في البلد الموفد إليها<sup>(١)</sup>، وأن يكون جهر الصوت، حسن الرداء والمنظر، مقبول الشمائل، حسن البيان، جيد العبارة<sup>(٢)</sup>، كما يجب أن يكون الرسول شديد الاحتياط وقوي الفراسة في أقواله وأفعاله ويجب أن يكون قد اختبر عقله وفصاحته، ويجب أن يكون حافظاً للأسرار وذلك حتى لا يفشي سرّاً علمه<sup>(٣)</sup>

كما يجب أن يكون الرسول ضليعاً في لغة العدو<sup>(٤)</sup>؛ والدليل على ذلك ما حدث في عام ١٣٢٣/٥٧٢٣م عندما أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون رسولاً إلى "بوسعيد" خان مغول فارس فنجد أن الرسول سأل الناصر محمد أنه إذا سأله أن يتكلم بلسان المغل، فهل يتحدث معهم، أم ينكر معرفته به<sup>(٥)</sup>.

وإذا استوفى الرسول هذه الشروط وما في معناها كان جديرًا بأن يرسل في المهمات ويمشي بالرسالة ومتى فات فيه شرط من ذلك لا ينبغي أن يستعمل في رسالة أصلاً<sup>(٦)</sup>.

ويجب على السفير ألا يشرب خمرًا لأن الخمر تقضح شاربها وتطلع على ما في نفسه من الأسرار وأنها عندما تدور في رأس صاحبها تجعل اللاشعور ينطلق من مراقبة الشعور فيأخذ بالتحدث عن معظم أسرارها التي يحفظها في صدره وتفضح نواياه وما استودعته دولته من أسرار مما يكون له نتائج سلبية على دولته<sup>(٧)</sup>، وألا يميل إلى النساء، لأن للنساء حيلًا بارعات يستخرجن بها الأخبار<sup>(٨)</sup>. كما أنه كان يتم عمل اختبارات لهم لانتقاء من يصلح منهم للرسالة<sup>(٩)</sup> فيقول الرشدي في

(١) ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٥ - ٢٢؛ سلامة الهرفي: المخابرات في الدولة الإسلامية، ص ١٧٢؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٢٢.

(٢) الرشدي: تفرج الكروب، مخطوط، ورقة ٣١ - ٣٢ - ٣٣؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٢٢.

(٣) الكرودي: كتاب كشف الغمة، مخطوط، ورقة ٣٠ - ٣١؛ السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٩٦.

(٤) سعيد عبد الله: العلاقات الخارجية، ص ٣١٣.

(٥) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٤١.

(٦) الرشدي: تفرج الكروب، مخطوط، ورقة ٣٦.

(٧) ابن رضوان المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص ٣٤٣؛ نظام الملك: سياسة نامه، ص ١٣٧؛ محمد

التابعي: السفارات في الإسلام، ص ٩٤؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٢٢.

(٨) صلاح الدين المنجد: فصول في الدبلوماسية والسفراء، ص ١١٦؛ محمد التابعي: السفارات في الإسلام، ص ٩٤.

(٩) سعيد عبد الله: العلاقات الخارجية، ص ٢٩٥.

ذلك<sup>(١)</sup>: "وينبغي للمرسل أن يمتحن رسوله مدة طويلة قبل أن يوجهه في رسالة ليعلم حقيقة حاله فيكون على يقين من أمره فيثق به فيما يرسله فيه قيل : إنه كان من شأن الملوك فيما سلف أنهم إذا أرادوا إرسال شخص قدموا امتحانه بإرساله إلى بعض خواص الملك ممن هو في قرار داره في بعض المهمات ثم يجعل عليه عيناً فيما يرسله فيه من حيث لا يشعر فإذا أدى الرسول رسالته ورجع بجوابها إلى الملك الذي أرسله في أثره للكشف عنه فإن طابق ما أتى به كلام الآخر صار عند الملك مميزاً لأن يكون رسولاً له إلى الملوك".

ويجب ألا يكون هذا العين أو الرقيب ممن يحسده أو يطمع في منصبه فربما حمله الحسد والطمع على أن يعتنه بما ليس فيه، ويقول عليه ويؤذيه، وكذلك الأمر كانوا حذرين من أن يرسلوا رسولاً إلى عدوهم مراراً متواليّةً فربما حصل بين الرسول والمرسل إليه مؤانسة وصداقة فيصير بطانة لعدوه عنده، فيضره من حيث لا يشعر ويأخذه من مأمنه، بل يجعل له في كل رسالة رسولاً يثق به ويعتمد عليه، ويستند إليه إلا إن وثق من صاحبه ثقة لا يداخلها ريب ولا يمازجها عيب، فيقيمه مقام نفسه في مصالح دولته، وبقاء مملكته، وثبات سلطانه<sup>(٢)</sup>. وهذا حدث عندما أرسل السلطان الناصر محمد بن السلطان قايتباي (٩٠١ - ٩٠٤ هـ / ١٤٩٦ - ١٤٩٨ م) الرسول خيربك إلى السلطان العثماني بايزيد عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٨ م لإخباره بنبأ اعتلائه العرش ، واستطاع السلطان العثماني التأثير على خيربك ، ومنه بوعود ومكافآت ليكون عيناً له على السلطنة وأحوالها<sup>(٣)</sup>.

ولقد استغل سلاطين الأيوبيين والمماليك الدبلوماسية أيما استغلال في التجسس وجمع المعلومات عن الأعداء ، ليكونوا بمنأى عن مفاجآت أعدائهم، فعندما بلغ الملك المعظم شمس الدولة فخر الدين تورانشاه بن أيوب أخ صلاح الدين أن ملك النوبة غار هو وكنز الدولة على أسوان ، فأرسل تورانشاه رسولاً إلى بلاد النوبة ليكشف له خبر البلاد، قال: "وجدت بلاداً ضيقة، ليس بها من الزرع سوى الذرة ونخل صغير منه أدامهم؛ ويخرج الملك وهو عريان على فرس عربي، وقد النف في ثوب أطلس، وليس على رأسه شعر. فلما قدمت عليه وسلمت ضحك وتغاشى وأمر بي فكويت على يدي هيئة صليب، وأنعم علي بنحو خمسين رطلاً من دقيق،

(١) تفريغ الكروب، مخطوط، ورقة ٣٦-٣٧.

(٢) الهروي: التنكرة الهروية، ص ٧٥-٧٦.

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، ط بولاق ١٣١١ هـ ، ص ٦٢٥ - ٦٣٢؛ عادل عبد الحافظ : دور خيربك في موقعة مرج دابق ، المجلة التاريخية ، ع ٣٦، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٤٤، لببيرة إبراهيم: الفتن والقلل الداخلية في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب القاهرة، ٢٠٠٠م ، ص ٢٢٦.

وليس هناك عمارة في دنقلة سوى دار الملك، وباقية أخصاص<sup>(١)</sup>، وتكرر إرسال مثل هذه السفارات ففي الأعوام الآتية، ففي عام ٨٧٠هـ/١١٩١م<sup>(٢)</sup>، ٨٨٨هـ/١١٩٢م<sup>(٣)</sup>، ٦٦٩هـ/١٢٧١م<sup>(٤)</sup>، ٦٨٥هـ/١٢٨٦م<sup>(٥)</sup>، ٦٩٩هـ/١٢٩٩م<sup>(٦)</sup>، ٩١٣هـ/١٥٠٨م<sup>(٧)</sup>.

وقد استعان سلاطين الأيوبيين والمماليك بالسفارات التي ترد إليهم من المواليين لهم في البلاد المجاورة والمناطق الحدودية للتعرف على أخبار الأعداء وجمع المعلومات عن البلاد المحيطة بهم<sup>(٨)</sup>. ومن أمثلة هذه السفارات السفارة التي وردت عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م من الفرس تخبر السلطان صلاح الدين بعدد الألمان وتخبره بالضعف الذي هم عليه وقلة عددهم وأقواتهم<sup>(٩)</sup>، وكذلك السفارة التي وصلت من عند أحمد بن أويس صاحب بغداد يحذر السلطان برقوق من تيمورلنك<sup>(١٠)</sup>.

وسفارة صاحب ماردين التي وصلت إلى السلطان برقوق تبليغه أن تيمورلنك قد استولى على تبريز، وأنه يريد من صاحب ماردين أن يدخل إلى طاعته<sup>(١١)</sup>، وفي عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م وصل رسول من بایزید بن مراد العثماني صاحب بلاد الروم، ليحذر السلطان فرج بن برقوق من تيمورلنك لأنه يريد أن يأخذ مصر<sup>(١٢)</sup>.

(١) المقريري: السلوك، ج١، ق١، ص٥١.

(٢) ابن شاهنشاه: سيرة صلاح الدين، ص١٣٢.

(٣) ابن شاهنشاه: سيرة صلاح الدين، ص١٨٨؛ صابر محمد: العلاقات بين الشرق والغرب عصر الحروب الصليبية،

الفيوم، مكتبة الغزالي، ٢٠٠٣م، ص١١٩.

(٤) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص١٤٥.

(٥) كرم كمال الدين: ممالك النوبة في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة

١٩٩١م، ص٧٨.

(٦) المقريري: السلوك، ج١، ق٣، ص٨٨٥.

(٧) عماد محمد: العلاقات بين الممالك البرجية والعثمانيين، ص٢٣٣.

(٨) منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٨٠؛ علي السيد: التراجمة في عصر سلاطين المماليك، ص١٥٩.

(٩) ابن شاهنشاه: سيرة صلاح الدين، ص٩٠.

(١٠) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص١٤٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٢٦٥؛ منى إبراهيم: السفارات

الأجنبية، ص٨٠.

(١١) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٣٦٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٤٣؛ ابن إياس: بدائع

الزهور، ج١، ص٢٩٩؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٨١.

(١٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٣٩٩؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٨١.

أما بالنسبة للأعداء فلم يغفلوا الدور المهم الذي يمكن أن يلعبه الرسل والسفراء في التعرف على أخبار وأحوال الدولة الأيوبية والمملوكية فقاموا بإرسال العديد من السفارات والرسل للقيام بهذه المهام، ولقد توافد على الدولتين الأيوبية والمملوكية العديد من هذه السفارات، ومن أمثلة ذلك: السفارة التي أرسلها ريتشارد قلب الأسد عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م إلى صلاح الدين الأيوبي أثناء مرض ريتشارد لكي يحصل على الفاكهة<sup>(١)</sup>، كانت تريد التعرف على ما يجري داخل المعسكر الإسلامي تماماً فأدركوا عن كثب قلق وتذمر رجال الحامية الإسلامية داخل عكا من طول الحصار الصليبي لها. كما أدركوا انقسام كلمة المسلمين واختلاف أمرائهم مع صلاح الدين في الرأي، ورغبة بعضهم في العودة إلى أوطانهم وأهلهم، ودليل نجاح أولئك الرسل في تجسّسهم على المسلمين هو مصالحة حامية عكا العربية للعدو دون علم السلطان صلاح الدين واستشارته<sup>(٢)</sup>.

كما تتابعت على الدولة العديد من هذه السفارات نذكر منها السفارة التي أرسلها السلطان غازان عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م<sup>(٣)</sup>، والسفارة التي أرسلها تيمورلنك عام ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م<sup>(٤)</sup>، والسفارة التي أرسلت عام ٨٠٣هـ / ١٤٠١م والتي أرسلها تيمورلنك إلى دمراش نائب حلب<sup>(٥)</sup>، والسفارة التي أرسلها السلطان سليم العثماني إلى طومان باي عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م<sup>(٦)</sup>.

وقد سعت الدولة جاهدة للحيلولة دون حصول سفراء أعدائها وأصدقائها على أية معلومات ذات قيمة من الدولة ومخططاتها وأهدافها التي تسعى إليها؛ فكان الحكام يوصون كبار قادة جندهم إذا قدم عليهم سفراء من أعدائهم أن يمنعوا الناس من محادثتهم حتى يخرجوا جاهلين<sup>(٧)</sup>، ولا ينبغي لأحد أن يعلم بأمر السفراء عند ورودهم من البلاد حتى يصلون إلى دركاء السلطان ويجب ألا يصاحبهم أحد من العامة أو يقدم لهم الأخبار طوال رحلتي الذهاب والإياب<sup>(٨)</sup>، وأن يجعلوا عليهم من يراقبهم

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٣٤٣؛ نظير حسان سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٦١م، ص ٣٥.

(٢) نظير حسان سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، ص ٣٥.

(٣) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، القاهرة، الأنجلو، ١٩٨٨م، ص ١٩٢.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٧، ص ٣١٦؛ ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٥) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٠٣١ - ١٠٣٢.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٨١ - ٨٣؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص ٣٦ - ٣٧.

(٧) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٢٤.

(٨) نظام الملك: سياسة نامه، ص ٨٧؛ ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٤؛ صلاح الدين المتجدد: فصول في الدبلوماسية، ص ١٢١؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية الإسلامية، ص ١٩؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٢٣.

ويحرص على عدم اجتماعهم بأحد من الناس<sup>(١)</sup>، وقامت الدولة بتخصيص بعض الأفراد لاستقبال الرسل الوافدين بمجرد دخولهم إلى أطراف الدولة ويقومون بتضليلهم بالمسالك والدوران بهم في الطرق<sup>(٢)</sup>، وقد حدث ذلك مع السفارة التي أرسلها السلطان أحمد تكدار ملك المغول إلى السلطان المنصور قلاوون عام ١٢٨١هـ/١٢٨٢م فنجد أن أخبار هذه السفارة كانت تصل إلى السلطان لحظة بلحظة ومنزلة بمنزلة، وأنباؤها مرحلة بمرحلة وعدتهم وصورة هيئتهم وهيبتهم وكل شيء عنهم منذ خروجهم من بلادهم، وعندما دخلوا إلى حدود الدولة، وقام السلطان بتخصيص أحد الأمراء لكي يقوم باستقبالهم - وتم تكليفه بأن لا يمكن أحد من أفراد هذه السفارة بأن يخرج من المنزل الذي نزل، وذلك احترازاً من تحايلهم - وكذلك الاحتياط منهم، فربما تخفى بعض الجواسيس في صورة رسل بينهم<sup>(٣)</sup>.

ولقد استغل سلاطين الأيوبيين والمماليك الرسل والسفراء المتوافدين من عند أعدائهم من أجل انتزاع المعلومات التي قد تفيدهم في أثناء المعارك أو حتى أثناء المفاوضات، وقد أوضح ذلك ابن شداد بقوله<sup>(٤)</sup>: "... وكذلك قوبل رسل الصليبيين أيضاً للتعرف على ما عندهم أيضاً....".

" وذكر الهروي أن الرسول يعبر عن عقل الملك الذي أتى من عنده، وعن عقله وقوته وعجزه، ومن السهل معرفة كل شيء عن الملك الذي أرسله من خلال استشارته، ويجب أن يطيل الجلوس معه، ويعرف منه كيف يعيش، ويظهر له أن قدره كبير، وأن بلاده لا تقدره، ولا تعطيه حقه، ويسأله عن دخل بلاده، وإن استطاع أن يقنعه بذلك عرف منه كل شيء، وتمكن من عدوه، وليحذر من الرسول الذين لا دين لهم، فإنهم يضللون الملوك بأجوبة خاطئة<sup>(٥)</sup>:"

ومن أمثلة ذلك ما حدث عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م عندما أرسل عموري رسولاً من عنده إلى صلاح الدين لتوطيد العلاقة معه - ولكن نجد أن صلاح الدين قام بإحاطة هذا المبعوث بعملاء له يثق فيهم من بين المسيحيين الذين حصلوا بصفقتهم هذه على ثقة المبعوث الفرنجي الذي كشف لهم عن تفاصيل المؤامرة فقاموا هم على الفور بإبلاغ صلاح الدين بها<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ٦٤؛ الحسن عبد الله: آثار الأول، ص ١٠٨ - ١١٠؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص ٣٥ - ١١٣؛ أنجيلو كودفيل: المخابرات وفق الحكم، ص ٥٩٣.

(٢) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ٩٥؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص ٣٦.

(٣) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ١١٤؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص ١٤١.

(٤) النوادر السلطانية: ص ٢٥١.

(٥) للذكورة الهروية، ص ٧٧ - ٧٨.

(٦) ابن واصل: مغرر الكروب، ج ١، ص ٢٤٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٣٤.

كما استطاع صلاح الدين استغلال المبعوث الفرنسي الذي أتى إليه من ريتشارد لمعرفة نوايا ريتشارد من خلال أسئلة معينة كان يوجهها إلى المبعوث الفرنسي. وتبين فعلاً كيف نجح صلاح الدين في الوصول إلى هدفه حينما أجبر المبعوث من خلال مفاوضات طويلة ومضنية على أن يكشف عن أن ملكه إنما يهدف بادعاءاته الخاصة بالقدس، إلى تحقيق مكسب سياسي تكتيكي وهو الحصول على أقصى ما يمكن من المفاوضات، وأن الملك الإنجليزي كان بخفي رغبته في العودة على عجل إلى الجبل التي كانت ظروفها الداخلية تستلزم العودة السريعة للملك إليها<sup>(١)</sup>، فيقول ابن شداد في ذلك<sup>(٢)</sup>:  
 .... أخبرنا الرسول من عند نفسه مناصحه: أنهم قد نزلوا عن حديث القدس ماعدا الزيارة، وإنما يقولون ذلك تصنعاً، وأنهم راغبون في الصلح وأن الانكثار لا بد له من الرواح إلى بلده"، واستطاع معرفة أن المعسكر الفرنسي عزموا على عبور البحر<sup>(٣)</sup>.

واعتمد سلاطين المماليك على بعض عادات وتقاليد الأعداء واستخدموها في جمع المعلومات المهمة منهم، فقد كان المغول مولعين بشرب الخمر حتى الشمال، حتى بعد إسلامهم، ولم يجد سلاطين المماليك أية غضاضة في تزويد رسل المغول القادمين إلى البلاد بهذه الخمر وربما بكميات تفوق الحد، للحصول على ما يهتمهم من معلومات، وقد حدث في عام ١٤٠٤هـ/١٤٠٤م عندما أرسل تيمورلنك رسوله إلى البلاد، فقدموا له الخمر فشرب حتى فقد وقاره وإدراكه لتصرفاته، ويرجع - قولنا هذا ما اتخذته تيمورلنك من إجراء عقب عودة الرسول بأن أحضره إليه، وأخذ يحفقه بالكلام ثم أمر بضرب عنقه<sup>(٤)</sup>.

ومن ناحية أخرى نجد أن السلاطين قاموا بإرسال البعثات العلمية إلى بلاد الأعداء وذلك للقيام بجمع الأخبار والتجسس على البلاد المرسلين إليها<sup>(٥)</sup>، ومن أمثلة هذه السفارات السفارة التي أرسلها السلطان صلاح الدين عام ١٥٨١هـ/١١٨٥م بقيادة الفقيه عيسى إلى البهلوان<sup>(٦)</sup> للتجسس على أحواله فأرسل الفقيه عيسى كتابه إلى السلطان يعرفه صورة الحالة عند البهلوان<sup>(٧)</sup>.

(١) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية ، ص ٣٦-٣٧.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٢٧-٣٤٣.

(٣) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص ١٧٤.

(٤) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٤٢.

(٥) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٦) البهلوان : هو أتابك شمس الدين محمد بن أتابك أيلدكز المعروف بالبهلوان ، وكان قد نزل على خلط، وكانت حياته متصلة بالجد والجهد، واضطربت من بعده تلك الممالك، واضطربت أصفهان، وكان قد توفي عام ٥٨٢هـ /

١١٨٦م، وتولى بعد موته أخوه قزل أرسلان" انظر ، العماد الأصفهاني: الفتح القسي ، ص ٣٤٣.

(٧) ابن شاهنشاه: مضمير الحقائق، ص ٢٤٨.

ومن ذلك أيضا السفارة التي قام بها العالم محمد بن جمعه القاهري المعروف بأبيه على الروم وكان الغرض منها استطلاع أحوال بلاد الروم ونقلها إلى سلاطين المماليك<sup>(١)</sup>، وكذلك السفارة التي قام بها العالم بدر الدين العيني عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م وقد أرسله الملك المؤيد رسولا إلى بلاد الروم، وذلك ليكشف أحوال هذه البلاد وينقل أخبارها للسلطان، وكانت هذه السفارة غاية في الأهمية لأن السلطان أراد من العيني أن يستطلع أخبار هذه البلاد لأنه فيما يبدو كان يتوقع خروج حاكمها على طاعته<sup>(٢)</sup>. وفي النهاية لعب الرسل والسفراء دوراً كبيراً في جمع المعلومات ونقلها إلى السلاطين مما كفل لهم سهولة التعرف على أخبار هذه المناطق وما يحدث فيها ومواجهة الأعداء.

## ٢- المستأمنون والوافدون السياسيون:

ويقصد بهم العناصر التي وفدت إلى معسكر الإسلام هرباً من معسكر العدو واحتموا بالأيوبيين والمماليك، ونجد أن بعضهم أعلن إسلامه والبعض الآخر بقي على دينه، ولكن نجد أن هؤلاء الوافدين والمستأمنين كان نزوحهم في بعض الأحيان عن بلادهم من أجل التجسس على أحوال الأيوبيين والمماليك وجمع المعلومات عن بلادهم وإعلام دولهم بما يدور داخل أراضي الأيوبيين والمماليك<sup>(٣)</sup>.

وهو ما قاله ابن العبري<sup>(٤)</sup>: "... إن ملك الإنكليز لم يتوخ في إرسال الوفود مرة بعد مرة بأخبار فارغة وذلك لأنه كان يريد أن يقف حقيقة على ما عند صلاح الدين والملوك الذين معه من الجيوش، وكذلك الأمر في عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م نجد أن نائب الشام قبض على رجلٍ تركيٍّ غجريٍّ كان مقيماً في الشام وكان أحد الوافدين السياسيين وعندما شك في أنه جاسوس من قبل تيمورلنك قبض عليه: ورحل إلى مصر، وبعد أن جاء الرجل إلى القاهرة وعوقب، فأقر على اثنين قدما صحبته إلى دمشق فأرسلت القاهرة بطلبهما<sup>(٥)</sup>.

(١) رزق محمد نسيم: دور العلماء في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا، ١٩٩٢م، ص ٢٠٥.

(٢) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٢، ص ٤٦٩-٤٧٠؛ رزق محمد نسيم: دور العلماء في مصر، ص ٢٠٦.

(٣) بيومي الشربيني: الوفود السياسي لمصر والشام، ص ٥٢٩-٥٩٢؛  
Amatai: Mamluk and Mongols, P. 144.

(٤) تاريخ الزمان، ص ٢١٩.

(٥) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص ١٥٥؛ بيومي الشربيني: الوفود السياسي لمصر والشام، ص ٥٢٩.

كما كُشف عن وافتد نترى آخر كان قد جاء إلى أراضي الدولة المملوكية للتجسس لحساب  
قصورنا وتحت وطأة المعاقبة أقر أن بالقاهرة جواسيس قبض على سبعة أنقص ما بين تجار وغيرهم  
من العجم<sup>(١)</sup>.

ولهذا نجد أن السلاطين قاموا بوضع ضوابط رقابية وهي حرصهم الشديد في عدم تقريب كل  
ما أتاهم هارباً من عند ملك من الملوك، والحذر من إفشاء الأسرار أمامهم ومراقبتهم، وعدم السماح  
لهم بالاختلاط بالجند، مع فرض نوع من العزلة عليهم، وإنزالهم في أماكن مخصصة بحيث يجعلون  
عليهم بعض عيونهم الذين لا ينقطعون عن زيارتهم، والتحدث إليهم، والتودد إليهم بكل السبل التي  
يمكنهم من التعرف على هويتهم، ثم يخبرون السلطان بحقيقة أمرهم<sup>(٢)</sup>.

وهو ما حدث مع الأمير سيف الدين إيتمش المحمدي، وكان أحد الوافدين المغول إلى أراضي  
الدولة المملوكية والذين دسوا عليه من صادقه وتودد إليه واستطاع أن يحصل منهم على معلومات  
كثيرة وأخبار عن المغول<sup>(٣)</sup>.

ولكن نجد أنه كان يتم إعطاء عقود أمان للمستأمنين بشرط ألا يكون طليعة أو جاسوساً، وفي  
حالة ثبوت ذلك يقتل ولا يبالى بأمانه<sup>(٤)</sup>، كما أن الأيوبيين والمماليك استعانتوا بالمستأمنين والعناصر  
الوافدة للعمل في مجال التجسس وجمع المعلومات عن العدو، وكذلك كمرشدين لمعرفة خبايا الطرقات  
إلى بلادهم وبالتالي كانوا بمثابة مصدر للمعلومات عن تلك الجهات، وكان يساعدهم في ذلك معرفتهم  
للغة الأعداء وبلادهم أيضاً<sup>(٥)</sup>، فيقول في ذلك العماد الأصفهاني<sup>(٦)</sup>: "كان السلطان صلاح الدين قد أنفذ  
بعض المستأمنين من الفرنج على براكيس، ليغزو في البحر ويكونوا جواسيس للسلطان في البحر على  
الفرنج، فعاد المستأمنون بأسلاب وغنائم كثيرة من بعض التجار الفرنج الذين قابلوهم في البحر -  
وكان هؤلاء المستأمنين عبارة عن مناصحين للمسلمين"، ولقد قام المستأمنون بهذا الدور في الأعوام

(١) المقرئزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص٨٠٢؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٣٧.

(٢) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٥٨-٦٤؛ ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص١٦؛ القلقشندي:

صبح الأعشى، ج٤، ص٥٨-٥٩؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٣؛ الهجرات المغولية، ص٧٠.

(٣) علي السيد: الهجرات المغولية إلى مصر، ص٧٠-٧١.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٢٢.

(٥) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة، ص٢٩؛

Amatai: Mamluk and Mongols, P. 144.

(٦) الفتح القسي، ص٢٧٢-٢٧٣.

الآتية في عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م<sup>(١)</sup>، ٥٨٧هـ/١١٩١م<sup>(٢)</sup>، ٦٦٠هـ/١٢٦٢م<sup>(٣)</sup>، ٦٩١هـ/١٢٩١م<sup>(٤)</sup>، ٧٠٤هـ/١٣٠٥م<sup>(٥)</sup>، ٨٠٣هـ/١٤٠٠م<sup>(٦)</sup>.

وفي إطار الهجوم الذي شنه تيمورلنك على الأراضي المملوكية توافد العديد من المستأمنين والوافدين إلى أراضي الدولة المملوكية يخبرون بأحوال تيمورلنك وما هي حالته وحالة جيشه، فقد أخبروا بأن تيمورلنك يكثر من استخدام الحيل والخديعة في حربه، كما أخبروا أيضاً بأن نصف عسكره لديهم الرغبة في القدوم إلى طاعة المماليك، وأن ولد تيمورلنك كان في الجاليش الذي اشتبك مع جاليش السلطان وقد قتل، وكذلك قتل صهر تيمورلنك، وأنه عندما وصلت هذه الأخبار إلى تيمورلنك حزن كثيراً على ولده.<sup>(٧)</sup>

### ٣- الأسرى:

الأسرى<sup>(٨)</sup> من أهم المصادر الأساسية لجمع المعلومات عن الأعداء والوقوف على أحوالهم وأسرارهم العسكرية وغيرها<sup>(٩)</sup>، هذا وقد أدرك الأيوبيون والمماليك دور الأسرى كمصدر مهم من مصادر الحصول على المعلومات، لأنهم يقدمون قديراً هائلاً من المعلومات، وذلك عن طريق استجوابهم بأسئلة بريئة المظهر، وبخاصة عندما توجه هذه الأسئلة من أشخاص يتمتعون بخبرة عالية في عمليات الاستجواب أو الاستدراج<sup>(١٠)</sup>، هذا إلى جانب إمكانية العثور معهم على بعض الوثائق التي قد تحتوي على معلومات على درجة عالية من الأهمية من الناحية العسكرية. فضلاً على أنها يمكن أن

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٥٨-٢٧٣.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٣٨-٢٧٠-٢٧١؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٨١.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٦٣.

(٤) الدوادار: الدر الفاهر، ج ٩، ص ١٢٨؛ بيومي الشربيني: الوفود السياسي، ص ٥٦١.

(٥) علي السيد: الهجرات المغولية ص ٤٨.

(٦) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٣٩؛ بيومي الشربيني: الوفود السياسي لمصر والشام، ص ٥١٦.

(٧) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٣٩؛ ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص ٢٤٤؛ بيومي الشربيني: الوفود السياسي لمصر والشام، ص ٥١٦.

(٨) الأسرى: جمع أسير ويجمع على أسراء أيضاً، والأسير: المقيد والمسجون، سمي بذلك عادة لأنه عادة ما يقيد بسير من الجلد ونحوه من كل ما يربط به، ثم صار يطلق على الشخص الذي يقع في يد الأعداء سواء أكان مقيداً أو غير مقيد. ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢٠-١٩.

(٩) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٢٨.

(١٠) الاستدراج: هو الحصول على معلومات من شخص أثناء المحادثة معه دون إدراك منه لأهمية ما يدلي به من معلومات بالنسبة للمستدراج أو الغرض الحقيقي من وراء جمع هذه المعلومات. إبراهيم علي محمد: المدخل إلى علم الاستخبارات، ص ٩٢.

ترود المستجوب بفكرة واضحة عن أهمية هذا الأسير، وبالتالي تساعد على الاستفادة منه أثناء عمليات الاستجواب<sup>(١)</sup>.

ففي عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م استطاع المعسكر الإسلامي معرفة الحالة الاقتصادية التي يمر بها معسكر الفرنج من خلال الأسير الذي وقع في أيدي المسلمين وأخبرهم بأنه وحيد أمه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه، وسيرته لاسترداد بيت المقدس<sup>(٢)</sup>.

وعندما توجه الصليبيون لمحاربة المسلمين في قلعة كوكب عثر أحد عيون المسلمين على أحد منهم فأسره وذهب به إلى صارم الدين قايمار الذي قام باستجوابه وعرف منه أن بالوادي مكنم الفرقة فركب صارم الدين وقام بالقبض عليهم<sup>(٣)</sup>.

كما أسير فارس من الصليبيين عام ٥٨٧هـ/١١٩١م وهم متوجهون إلى عسقلان بعد استيلائهم على عكا، وكانت هيئة الفارس توضح أنه فارس قوي وله مكانته بين الفرنج، فأحضر هذا الأسير إلى السلطان فسأله بعض الأسئلة وهي : " كيف يسوى الطعام عندهم؟". فقال: "أول يوم رحلنا من عكا كان الإنسان يشبع بستة قراطيس، ثم لم يزل السعر يعلو حتى صار يشبع بثماني قراطيس". وسئل عن سبب تأخرهم في المنازل فقال: "لانتظار وصول المراكب بالرجال والميرة". فسئل عن القتلى والجرحى في يوم رحيلهم فقال: "كثير". فسئل عن الخيل التي هلكت في ذلك اليوم فقال: "مقدار أربعمئة فرس". فأمر بضرب عنقه، ونهى عن التمثيل به<sup>(٤)</sup> وأثناء مسيرة للصليبيين نحو عسقلان أخبر أحد الأسرى بحال تنظيم الجيش الصليبي ومن على الميمنة ومن في الوسط ومن على الميسرة<sup>(٥)</sup> ، فخرج السلطان نحوهم إلا أن الملك الإنجليزي قرر العودة إلى عكا فانقطعت أخبار الصليبيين عن السلطان فأتى بأحد الأسرى وسأله عن أحوال الصليبيين ، فأخبره بضعف أهل عكا وقلة الميرة عندهم، وأبلغه أن مراكب خرجت من عكا وفيها الملك الإنجليزي لقصد عسقلان أو القدس<sup>(٦)</sup>.

وفي عام ٦٦٠هـ/١٢٦٢م أسيرت جماعة من التتار، وعند استجوابهم علموا منهم أن هولاكو قاصد دمشق<sup>(٧)</sup>؛ وكذلك الحال عندما أسر أحد المغول؛ فأفصح عن قيام الخان المغولي بشن هجوم

(١) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٤٠؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية الإسلامية، ص ٣٧-٣٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ١٨٨.

(٣) إبراهيم خميس: جماعة الفرسان الداوية، ص ١٦٧-١٦٨.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٦٧-٢٦٨؛ سيرة صلاح الدين، ص ١٣٧.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٧٠-٢٧١؛ سيرة صلاح الدين، ص ١٣٩.

(٦) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٨٩؛ سيرة صلاح الدين، ص ١٥١.

(٧) النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٦٣.

على سوريا وأن عدد الجيش يبلغ ١٢٠ ألف جندي<sup>(١)</sup>.

أما الأمير طرنطاي النائب فقد قام بأسر جماعة من أصحاب منكوتر عام ١٢٨٠هـ/١٢٨١م وكان فيهم "حامل حرمذانة"<sup>(٢)</sup>، فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء - مثل سنقر الأشقر، وأتيمش السعدي، وغيرهم ممن كان مع سنقر الأشقر - إلى التتار، يحرضونهم على دخول الشام، ويعيدونهم بالمساعدة على أخذها فشاوّر طرنطاي السلطان عليها فأمر بغسلها فغسلت، ولم يطلع عليها أحد<sup>(٣)</sup>.

وفي نفس العام أسير شخص يسمى جلتار بهادر أمير أخور أبغا، كان قد توجه لكشف المروج والمراعي، فضربه ضربة سيف في أذنه، وأمسكوه، وأحضروه إلى السلطان المنصور قلاوون إلى مدينة دمشق، فوانسه وسائسه، وأمر أن تحمل له الفرش والحكماء ويداوي، وأن يقر له من الإقامة كفايته وزيادة وأحسن له، ولما حضر مولانا السلطان إلى القلعة في الميدان سألته عن أخبار القوم، فذكر أنهم في عدد عظيم يزيد على ثمانين ألف فارس من المغول والحشود، وأنهم يقصدون البلاد قولاً جازماً، ويركبون من منزلتهم في أول شهر رجب، فسمع السلطان كلامه، وحمل إلى مصر هو ومن أسر معه<sup>(٤)</sup>.

وكان وصول معلومات تفيد بأهمية بعض الأسرى عند الصليبيين سبباً في عدم فك أسرهم إلا بما يتناسب مع قدرهم وقد حدث ذلك عندما حضر رسول من عند الريدراكون ملك الفرنج البرشلوني يطلب من السلطان فك أسير من عندهم فأفرج عنه، ولكن سأل السلطان بعض الأسرى الذين كانوا معه فأخبروا السلطان أن هذا الأسير الذي أفرج عنه هو ابن ملك كبير، ولو أراد السلطان مقابل فك أسره مركباً مليئاً بالذهب لحمله إليكم في فكه" فأمر السلطان بإعادته<sup>(٥)</sup>.

وفي أثناء النزاع مع العثمانيين وقع أسير في يد المماليك فأخبر بأن الجيش العثماني في حالة إرهاق شديد لأن معظمهم قد جاء ماشياً على قدمه من الشام، كما أنهم وخيولهم عاجزون عن الحركة بسبب نقص الإمدادات<sup>(٦)</sup>.

(١) Amatai: Mamluk Espionage, P. 170.

(٢) "حامل حرمذانة": وهي الحرمدان - أو الخرمدان - وهو لفظ فارسي معناه المحفظة الخاصة، التي يحمل فيها الفرد أوراقه ونقوده، ويقال لحقيبة الحلاق - أيضاً - حرمدان - المقريري: السلوك، ج١، ق٣، ص ٦٩٧.

(٣) المقريري: السلوك، ج١، ق٣، ص ٦٩٧.

(٤) بيبس المنصوري: التحفة الملوكية، ص ٩٨؛ شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٧١؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٧٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص ٣٢؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص ٨٦؛ جيهان فاروق: القلاع والحصون، ص ١١٧-١١٨.

(٥) المقريري: السلوك، ج١، ق٣، ص ٩٥٠.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ٩١؛ السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص ١٦١.

كما أُستُخِمت الأسرى في تبليغ استعدادات جيوش المسلمين وتبليغهم بأخبار انتصار المسلمين عليهم كنوع من إحداث الرهبة في قلوب الأعداء وهو ما حرص عليه السلطان الظاهر بيبرس الذي كان يحرص كل الحرص على أن تصل أخبار استعداداته وتجهيزاته إلى العدو عن طريق أسراهم الذي كان يأسرهم جيشه أثناء المعارك، مثلما حدث عندما استعرض الجيش أمام قسطلان - أو متولي قلعة يافا الذي أطلق سراحه بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

وعندما دخل المماليك إلى دمشق منصورين عام ١٣٠٣/٥٧٠٢م، قاموا بتسريح واحد من أسرى المغول إلى بلادهم ليخبرهم بما تم من انتصار المماليك ودخولهم إلى دمشق<sup>(٢)</sup> كما استخدمهم السلاطين في تلمس أخبار الأعداء، وحدث ذلك عندما عفا السلطان الظاهر بيبرس عن أحد الأسرى الصليبيين الذي تم أسره من صفد، واستخدمه في التعرف على أخبار الجيوش الصليبية<sup>(٣)</sup>.

وكان أسرى المسلمين - الذين كانوا مأسورين لدى الأعداء واستطاعوا الفرار منهم أو الهروب والرجوع إلى معسكر المسلمين - مصدراً مهماً من مصادر جمع المعلومات لدى سلاطين الأيوبيين والمماليك وذلك من خلال ما رأوه وشاهدوه عند الأعداء. ففي عام ١١٩١/٥٠٨٧م وصل الأمير شيركوه بن باخل الزرزاري الذي كان مأسوراً في عكا عند الفرنج ولكنه استطاع الهرب وجاء إلى السلطان وأخبر السلطان ببعض الأشياء البالغة الأهمية، وهي أن سيف الدين المشطوب ضيق عليه، وأنه قطع عن نفسه قطيعة عظيمة من خيل وبغال وأنواع أموال، وأن ملك الانكتار أتى عكا، وأخذ كل من كان له بها من خدمة ومماليكه وأقمشته، ولم يبق له فيها شيئاً، وأن فلاحى الجبل يمدونه بالميرة مداً عظيماً، وأخبر أن طغرل السلاحدار أحد خواص ممالك السلطان - قد هرب قبل هروب شيركوه<sup>(٤)</sup>، كما قام الأسرى بهذا الدور في الأعوام الآتية: ففي عام ٥٨٧هـ/١٢٩١م<sup>(٥)</sup>، ٦٠١هـ/١٢٠٤م<sup>(٦)</sup>، ٦٦٠هـ/١٢٦٢م<sup>(٧)</sup>.

(١) حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧م، ص ٢٩٤.

(٢) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ٢٤٦.

(٣) أنور زقلمة: المماليك في مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م، ص ٤٤.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٩١.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٩٤.

(٦) ابن تظيف الحموي: التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد داود، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٩٠م، ص ٥٢.

(٧) ابن أبيك للواداري: الدرر الزكية، ج٨، ص ٩٢-٩٣؛ المقرئ: السلوك، ج١، ق ٢، ص ٤٧٤.

٦٦٤هـ/١٢٦٦م<sup>(١)</sup>، ٧٠٢هـ/١٣٠٣م<sup>(٢)</sup>، ٧٩٦هـ/١٣٩٧م<sup>(٣)</sup>، ٨٠٣هـ/١٤٠٠م<sup>(٤)</sup>  
٨٢٨هـ/١٤٢٥م<sup>(٥)</sup>، ٩٢٢هـ/١٥١٦م<sup>(٦)</sup>.

واعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك على أسرى الأعداء في التعرف على أخبار بلادهم واستخدم الصليبيون والمغول أسرى المسلمين في التعرف على أخبار المسلمين أيضاً، وهو ما حدث عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م عندما أسر برهان الدين المنجم من معسكر المماليك، فأحضروه إلى قازان واستطاع قازان أن يعرف منه بعض أخبار المعسكر المملوكي<sup>(٧)</sup>، وقد تمكنوا من التعرف على المعلومات من الأسرى في الأعوام التالية: عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م<sup>(٨)</sup>، ٧٠٢هـ/١٣٠٣م<sup>(٩)</sup>.

#### ٤- التجار والمسافرون:

يعد التجار من أهم مصادر جمع المعلومات عن الأعداء ونقلها إلى سلاطين الأيوبيين والمماليك وذلك لأنهم كانوا يترددون على سواحل البحر الأبيض المتوسط والأسواق الموجودة في بلاد الأعداء، وكذلك العديد من المراكز التجارية التي كانت لهم في مصر وأرمينيا الصغرى والمواني يعودون ومعهم أخبار جديدة مفيدة عن الأحداث والتطورات التي تجرى في بلاد الأعداء، والبلاد الصليبية على ساحل البحر المتوسط، كما أنهم كانوا يتجولون في أسواق المقاطعات المغولية، ثم يحصلون على هذه المعلومات في سهولة ويسر لأنهم لا يثيرون شبهة لدى الناس<sup>(١٠)</sup>.

(١) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) المقرئزي: ج١، ق٣، ص ٩٣٥-٩٣٦؛ العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ٢٤٠.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج ٤، ج٧، ص ١٢٤.

(٤) ابن عرب شاه: عجائب المقثور، ص ٢٨٨.

(٥) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص ٨٢.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص ٧٤-٨٤؛ رزق محمد: دور العلماء في مصر، ص ٢٣٨.

(٧) العيني: عقدا الجمان، ج٤، ص ٢٨-٢٩.

(٨) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ١٥٢.

(٩) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ٢٣٧.

(١٠) عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ص ٥٧؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٢٧؛ حسن محمد وآخر:

صاحب الخبر، ص ٣٣؛

Abdul - Aziz Khowaiter: Baibars the first, London 1978, P.41

Amita: Mongols and Mamluks, P. 144

وقد وصلت أخبار واستعدادات الحملة الصليبية السابعة - التي اتجهت إلى مصر - إلى السلطان الصالح أيوب - في بعض الأقوال - عن طريق أحد التجار الذي جاء إلى السلطان وأعلمه عن تحركها نحوهم وقصدها لسواحل دمياط<sup>(١)</sup>.

كما وصل بعض التجار من عكا في عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م وأخبروا السلطان بأحوال عكا وأحوال المسلمين بها وكيف يعاملون فقرر السلطان - بناءً على هذه الأخبار للتحرك صوب عكا<sup>(٢)</sup>، أما الاستعدادات التي قام بها بطرس لوزجان بقرص، وذلك للقيام بغزو الإسكندرية كانت قد وصلت إلى مصر عن طريق التجار الذين كانوا يترددون على قبرص ويعودون إلى الإسكندرية<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م وصلت أخبار من التجار إلى نائب ملطية المملوكي الأمير قرقماس الصغير تفيد بأن "سوار" في عدد قليل من عسكره، مما دفع الأمير قرقماس إلى مهاجمة سوار والقتال معه وتمكن من هزيمته وفر سوار<sup>(٤)</sup>.

وكان للتجار دور آخر غير جمع الأخبار عن الأعداء وهو استخدامهم في تكوين شبكات سرية داخل أراضي الأعداء وهو ما سوف نتحدث عنه في هذا الفصل في نقطة للشبكات السرية والأعوان، ونذكر هنا ما قاله المقرئ<sup>(٥)</sup>: "... إن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أعطى يونس التاجر مالاً كثيراً، وبعثه إلى توريز ليتخذ له بها أصحاباً يثق بهم حتى يرد إليه القدوية فيأووا عنده، وعرف يونس بمقاصده..."

أما الصليبيون والمغول فقد استخدموا التجار الذين كانوا يترددون على الشرق بغرض التجارة في عملية التجسس وكتابة التقارير الوافية عن أحوال الشرق وما يدور في الشرق من أحداث، فنجد أن جنكيزخان كان قبل أن يتوجه إلى مكان هليغزوه كان يجمع المعلومات من التجار عن أحوال هذه المنطقة وأحوال الطرق والجسور وكل شيء عنها<sup>(٦)</sup>، وفي عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م قدم إلى القاهرة تاجر جنوي يدعى كلياتم، وكان عيناً للفرنج يطالعهم بأحوال الأيوبيين وما يحدث بها<sup>(٧)</sup>.

(١) جميل جمول: مصر والحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٤م، ص ٢١٤.

(٢) بيبيرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص ٣٢٥.

(٣) سعيد عاشور: مصر والشام، ص ٢٣٨ - ٢٣٩؛ قبرص والحروب الصليبية، ص ٥٣ - ٥٤.

(٤) أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي المحمودي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب حلوان، ٢٠٠٢م، ص ٧٧.

(٥) المقرئ: السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٥٥٤.

(٦) سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عهد السلطان برسباي، رسالة دكتوراه غير منشورة،

آداب القاهرة ١٩٥٩م، ص ٢٧٦؛ نور الدين خليل: سيف الدين قطز، ص ١٦١.

(٧) ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص ٦٤؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٧٣.

والبعثة التجارية التي جاءت إلى مصر عام ٨٠٤/١٤٠١م، والبعثة الثانية التي جاءت عام ٨٢٤/١٤٢١م والتي كانت بقيادة جليبرت دي لانوى، دون قائدتها كل ما شاهده في الشرق من معلومات دينية واستراتيجية<sup>(١)</sup>.

ونتيجة لاحتكار الممالك للسلع التجارية كان التجار الأجانب — أحياناً — يعودون إلى بلادهم دون أن يشتروا شيئاً منها لارتفاع ثمنها. مما جعلهم يفكرون في الاتصال بالحبشة وتقوية الرابطة معها والقيام بعملية التجسس على الشرق ومحاول إرسال تقارير عن الشرق رغبة منهم في السيطرة على مصر<sup>(٢)</sup>، وهو ما قام به التاجر الكارمي علي التبريزي في عهد السلطان المؤيد شيخ من الذهاب إلى الحبشة ثم إلى أوروبا وقام بالاتفاق معهم على غزو مصر حتى أنه حدد ملابس الجنود وكل شيء معهم ولكن عندما عاد إلى الإسكندرية تم القبض عليه<sup>(٣)</sup>.

أما المسافرون فقد لعبوا دوراً مهماً في تزويد الدولتين بالمعلومات عن أخبار الأعداء واستعداداتهم، وقد تيقن السلاطين من خطورة هذه الفئة فأصدروا نداءات بمنع المسافرين من السفر إلى أي منطقة وذلك أثناء النزاعات التي كانت تدور وذلك حتى يحدث نوع من تعمية الأخبار عن المخالفين والأعداء، ففي عام ٨٢٤/١٤٢١م نودي بالقاهرة وظواهرها بأن لا يسافر أحد إلى البلاد الشامية، وهدد من يقوم بالسفر إليها بالقتل، وكان القصد بذلك تعمية أخبار مصر وأحوالها عن الأعداء<sup>(٤)</sup>.

#### ٥- قبائل العربان والتركمان:

اعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك على قبائل العربان عربان الطاعة (العربان الذين كانوا في طاعة السلطان) في عمليات التجسس لحسابهم على الأعداء، والذين كانوا يقومون بالتغلغل داخل دول الأعداء والقيام بالتعرف على أحوالهم وجمع المعلومات عنهم وإيلاغها إلى السلاطين<sup>(٥)</sup>.

وإدراكاً من السلاطين بأهمية العربان قاموا بعقد اتفاقيات معهم للقيام بهذه المهام، ونذكر منها — على سبيل المثال — الاتفاق الذي أبرمه السلطان الظاهر بيبرس مع شيوخ قبائل الخفاجة والعايد عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م وكان الاتفاق من أجل أن يضعوا أعينهم على المغول ويقوموا بمراقبتهم، لأن موقعهم

(١) سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص ٢٧٧.

(٢) سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص ٢٧٦.

(٣) سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص ٣٠٦.

(٤) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٤٧؛ المنقريزي: السلوك، ج٢، ص ٥٧٤.

(٥) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٤٠؛ علي السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص ٣٨٨.

كان يسمح لهم بالتوغل في بلاد الأعداء، دون أن يشتبه فيهم، وكذلك الأمر موافاته بالأخبار، وكانوا خلة وصل بين جواسيسه في الشام وبين جواسيسه في بلاد إيران وكان عن طريقهم يتصل بحاكم إيران في إيران<sup>(١)</sup>.

وكانوا يأخذون عهداً على أمراء العربان بمعرفة أخبار العدو، فقد ورد في وصية لأمير من العربان: "... واستعلم أخبار الأعداء في طليعة كل صباح..."<sup>(٢)</sup>، وجاء في تقليد آخر لفضل بن عيسى أمير عرب آل فضل عام ٧١٢هـ/١٣١٢م "... وليكن لأخبار العدو مطلعاً، ولنجوى حركاتهم وسكناتهم على البعد سامعاً"<sup>(٣)</sup>.

وقد قامت قبائل العربان بمراقبة أخبار العدو وتحركاته وإبلاغ السلاطين بها<sup>(٤)</sup>؛ ففي عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م جاء أحد العربان إلى السلطان صلاح الدين، وأخبره أن الصليبيين قد عبروا نحوه وهم يقصدونه<sup>(٥)</sup>، وفي عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م وصل أحد التركمان إلى السلطان الظاهر بيبرس وأبلغ أن بلغا عاد إلى بلاده خائفاً عندما علم بخروج السلطان بيبرس لملاقاته<sup>(٦)</sup>، وتكرر حدوث ذلك في عام ٦٩١هـ/١٢٩١م<sup>(٧)</sup>، ٦٩٩هـ/١٢٩٩م<sup>(٨)</sup>، ٧٠٢هـ/١٣٠٣م<sup>(٩)</sup>.

وكما كان هؤلاء العربان يقومون بجمع أخبار الأعداء وإرسالها إلى السلاطين لمواجهتهم نجد أنه كان لهم دور آخر وهو القيام بتبليغ السلاطين بأخبار الأمراء الخارجين عليهم والذين ينوون القيام ضدهم بثورات، في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م أثناء النزاع الذي كان بين السلطان الناصر محمد بن قلاوون والمظفر بيبرس الجاشنكير عهد السلطان الناصر إلى العربان بمهمة تتبع أخبار المظفر منزلة بمنزلة

(١) عبد العزيز خويطر، الملك الظاهر بيبرس، ص ٥٦؛

Amatai: Mamluks and Mongols, P. 145.

(٢) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٤٧؛ أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، ١٩٧٧م، ص ١٨٨.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٢، ص ١٢٠؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ١٤٩.

(٤) أكرم حسن: نيابة دمشق، ص ٢٦٥؛ كمال بدور: حلب في العصر المملوكي، ص ١٣٠.

(٥) ابن شاهنشاه: مضممار الحقائق وسر الخلائق، ص ٤٢.

(٦) الكتبي: عيون التواريخ، ج ٢١، ص ١٣١.

(٧) العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ١١٤.

(٨) المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٨٦.

(٩) العيني: عقد الجمان، ج ٤، ص ٢١٨ - ٢٢١ - ٢٢٢.

فقام العربان بمهمتهم على خير وجه وأبلغوا السلطان بكل تحركاته<sup>(١)</sup> ، وقام العربان بهذا الدور في الأعوام الآتية في عام ١٣٢٥هـ/١٣٢٥م<sup>(٢)</sup> ، وفي عام ١٣٤٣هـ/١٣٤٣م<sup>(٣)</sup> .

ومتلما استخدم الأيوبيون والمماليك العربان كعيون على المغول والصليبيين ليقوموا بتبليغهم بأخبارهم وجدنا المغول والصليبيين استخدموهم للتعرف على أخبار الأيوبيين والمماليك. وهو ما حدث في عام ١١٩١/٥٨٧م عندما ذهب اثنان من البدو إلى ملك الانكتار بعكا وأخبروه بقلّة عدد جنود المسلمين<sup>(٤)</sup> ، وكذلك أعلموه بتحركات عسكر المسلمين لحظة بلحظة وأخبروهم أن عسكر المسلمين قد تفرق للشرب، فسار الانكتار الملعون نحوهم وتنفذ أحوالهم في صورة عربي ثم أغار عليهم<sup>(٥)</sup> .

ونظراً للدور الذي قام به العربان كجامعي معلومات للدولتين الأيوبية والمملوكية ، قام السلاطين بمنحهم الكثير من الأموال والهدايا والإقطاعات الكثيرة<sup>(٦)</sup> ؛ وهو ما قام به السلطان صلاح الدين في عام ١١٨٦/٥٨٢م عندما قام بتخفيض ما كان يجبي من العربان إلى العشر وتخفيض عدد فرسانهم<sup>(٧)</sup> ، وقد أنعم السلطان الظاهر بيبرس على عرب خفاجه بالإقطاعات الجزيلة نظير ما كانوا يقومون به وكذلك عندما يفدون إلى البلاد كان يتم الترحيب بهم<sup>(٨)</sup> .

#### ٦- رجال الدين:

كان رجال الدين المسلمين والمسيحيين واليهود مصدراً مهماً من مصادر جمع المعلومات، ونقلها سواء للمسلمين أو لأعدائهم، وقد تم الاعتماد عليهم مستغلين صفاتهم الدينية حتى لا ينكشف أمرهم<sup>(٩)</sup>؛ فقد استطاع السلطان صلاح الدين عن طريق أحد رجال الدين المسلمين - ويدعى الواعظ زين الدين علي بن نجا - معرفة ما كان يحاك ضده من مؤامرة، واستعان بأحد النصاري للذهاب إلى

(١) ابن أبيك الدوادار: الدر الفاخر، ٩، ص ١٧٧-١٩٨؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٤٩.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٥٨١.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٦٣٠.

(٤) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ١٤٠.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٧٢-٣١٧.

(٦) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٤.

(٧) ابن الفرات: تاريخ بن الفرات، مج ٤، ج ٢، ص ٦٦؛ محمد فتحي عوض: إقليم الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة ١٩٧٦م، ص ٤٧.

(٨) Amatai: Mamluk and Monolgs, P.145.

(٩) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٩؛ المرتضى الزبيدي: ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة، القاهرة ١٩٩٥م، ص ١١-١٢؛ قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ٦٢.

الراضي العدو لكي يتعرف منهم على أخبار المؤامرة في الخارج، كما استطاع عن طريق كاتب يهودي أن يتعرف على مؤامرة مؤتمن الخلافة ضده (١).

وفي عام ١٢٢٣هـ/١٢٢٦م استطاع أحد الرهبان أن يدخل إلى بلاد الفرنج ويجمع المعلومات ويتجسس على الإمبراطور فريدريك الثاني ويخبر الملك المعظم بأنه يريد غزو الشام (٢)، وفي عام ١٢٩٧هـ/١٢٩٧م جاء الشيخ عبد المؤمن العجمي وأخبر أن السلطان ابن عثمان عدل عن حرب مصر (٣).

واستعان الصليبيون والمغول والعثمانيون برجال الدين للوقوف على أحوال وأخبار الأيوبيين والمماليك، وهو ما حدث في عام ١٢٨٧هـ/١٢٩١م عندما قبض على أحد النصاري ومعه كتاب من والي القدس إلى صلاح الدين يذكر فيه أعواز البلاد للغلة والعدة والرجال وكان هذا النصرائي يريد حمل هذه الرسالة إلى العدو فقبض عليه (٤).

وفي عام ١٢٤٣هـ/١٢٣٩م أخبر أحد النصاري المقيمين في دمياط — ويدعى جرجس بن ضو — الفرنج بأن هناك مجموعة من أهل دمياط قد ركبوا البحر يريدون جهادكم وعلى أساس هذه الأخبار استعد الفرنج لهم وقاموا بالقضاء عليهم وأخذ المراكب منهم (٥).

وبالتالي أدرك سلاطين الأيوبيين والمماليك خطورة رجال الدين وخاصة المسيحيين واليهود منهم وذلك لعملهم كجواسيس للأعداء فنجدهم كانوا يعطون عقود أمان لأهل الذمة بشرط ألا يعملوا جواسيس للعدو وكذلك لا يؤووا جواسيس في منازلهم وكنائسهم. وفي حالة ذلك يتم نقد عهد الأمان لأهل الذمة.

#### ٧- العبيد والرقيق والخدم:

كان العبيد والرقيق والخدم يقومون بأعمال التجسس ويعدون ضمن مصادر جمع المعلومات، فهم يقعون في نهاية السلم الاجتماعي، وأعمالهم في الغالب تقتصر على توفير الراحة لأسيادهم، وربما كان ذلك لوجودهم داخل القصور، فهم أقرب إلى الحصول على المعلومات الخاصة.

(١) فاطمة عبد اللطيف أحمد: معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب إسكندرية ١٩٩٧م، ص ٢٨٦؛ أ. س. قرتون: أهل الذمة في الإسلام، ط ٣، ترجمة وتطبيق حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ٢٩.

(٢) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٣٩.

(٣) عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٨٤.

(٥) المقرئ: السلوك، ج ٤، ق ٣، ص ١١٧٠-١١٧١؛ قاسم عبده: أهل الذمة، ص ١٨٧.

وكانت مهمتهم الأساسية إحاطة السلطان بما يجري داخل القصور وما يدبر من مؤامرات وكل ما يهمه مما يتصل ببلاده من خير أو شر<sup>(١)</sup>، وهو ما حدث عندما تولى السلطان صلاح الدين الوزارة قام بدس خصي أبيض يدعى بهاء الدين قراقوش، حيث كان لا يجري شئ في قصر الخلافة الفاطمية إلا ويطلع صلاح الدين عليه<sup>(٢)</sup>.

واستطاع الناصر محمد بن قلاوون أن يتعرف أخبار سيف الدين ألباس<sup>(٣)</sup> الحاجب من خلال عبد دسّه عنده، فأخبره بالذين يحضرون إليه، وكان معظمهم من أولاد الأمراء وكان يفعل معهم الفواحش<sup>(٤)</sup>.

إلى جانب ذلك كان بعض الأمراء يستغلون وجود بعض الجواري لدى السلاطين كعيون لهم على هؤلاء السلاطين، وذلك للوقوف على كل ما يهاك في القصر السلطاني من مؤامرات ضدهم ورصد حركات السلاطين وأتباعهم<sup>(٥)</sup>، وهو ما حدث عام ٥٧٦٢هـ / ١٣٦٠م عندما بلغ السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون أن الأمير يلبيغا الخاصكي كان يريد قتل السلطان، وأنه لا يدخل إلى خدمة السلطان إلا وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه. فاستدعاه السلطان ونزع عنه ثيابه كلها، ثم كتفت يداها، فشفت فيه إحدى جواري السلطان وكانت من حظايا السلطان، فأخلى سبيله وخلع عليه، فلم يكن من الأمير يلبيغا إلا أن أشدت حنقه على السلطان وأظهر العصيان، وألبس مماليكه آلة الحرب، فلما علم السلطان بذلك قرر أن يخرج إليه في طائفة من مماليكه ليكبسه على غرة ويأخذه من مخيمه، إلا أن الخبر وصل بذلك إلى الأمير يلبيغا من تلك الجارية التي شفت فيه، مما كان سبباً في زوال ملك هذا السلطان<sup>(٦)</sup>.

(١) محمد التابعي: السفارات في الإسلام، ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٢) صلاح مهران: الحركات السياسية والدينية في مصر خلال العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب المنيا، ١٩٨٢م، ص ٣٢٥.

(٣) سيف الدين ألباس الحاجب: هو الأمير سيف الدين ألباس الناصري الحاجب أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ترقى في الخدم حتى صار من أحد كبار أمراء الدولة، وأصبح حاجباً ثم بعد ذلك ترقى إلى منصب نائب حلب، ولكنه لم يسم بالنائب، حنق عليه السلطان وحبسه بقلعة الجبل، وظل بها حتى توفي عام ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م، وكان لا يعرف العربية. المقرئ: المقفى الكبير؛ تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٤) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص ١٩٦.

(٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٥٠٢.

(٦) المقرئ: السلوك، ٣، ق ١، ص ٦٠ - ٦١؛ علي السيد: الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ص ٦٤ - ٦٥.

وكان في خدمة الملك الظاهر برقوق غلام من أهل الكرك يقال له عبد الرحمن فنزل إلى جماعة من أوغاد المدينة، وأعلمهم أن الشهاب حضر لقتل الملك الظاهر، فأنفوا من ذلك، وقاموا إلى القلعة، وهجموا على الشهاب وقتلوه<sup>(١)</sup>.

ويضاف إلى ما سبق ما قام به أحد العبيد — الذين كانوا موجودين مع تاجر يدعى التبريزي ذلك في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م — ويأتى دور هذا العبد فى إخبار السلطان بأن هذا التاجر توجه من الحبشة إلى بلاد الفرنج لكي يحرضهم على حرب المماليك وأرشد هذا العبد السلطان على كل ما قام به فأحيط بمركبه، وحمل هو والراهبان وجميع ما معه إلى السلطان<sup>(٢)</sup>.

#### ٨- المتطوعة وعامة الناس:

قد يتحول أفراد المجتمع بفعل الشعور بالمسئولية إلى عيون متطوعة ترصد أخبار الأعداء والمتآمرين، وتكشف عن أعمالهم الخفية، وقد كان هؤلاء يزودون القيادة بمعلومات مهمة عن العدو وكذلك عامة الناس كانوا أحد المصادر التي تستقى منها المعلومات عن القوى والجماعات والأفراد الذين يراد الاطلاع على أخبارهم وأحوالهم.

ففي عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م أخبر أحد العامة والي القاهرة بوجود بعض الفداوية؛ فاكتشفوا أنهم جاءوا لقتل السلطان فتم القبض عليهم<sup>(٣)</sup>.

#### ٩- الشبكات السرية والأعوان:

لقد أدرك سلاطين الأيوبيين والمماليك مدى أهمية التغلغل داخل أجهزة العدو للحصول على كل ما يهمهم معرفته عن أعدائهم سواء المغول أو الصليبيين، كما أنهم نوعوا في وسائل للتغلغل حتى يضمنوا تدفق المعلومات إليهم<sup>(٤)</sup>.

ومن الأساليب التي لجأوا إليها، تشكيلهم "شبكات سرية" من رعايا الدولة التي تعد هدفاً لعملياتهم هذه، حيث تجئ هذه الشبكة بالمعلومات وتقدمها للأشخاص الذين يقومون بتوصيلها إلى

(١) المقرئزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٧.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٩٦؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص١٤٩-١٥٠.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠٨-٢٠٩؛ علاء طه رزق: السجون والعقوبات في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ٢٠٠٢م، ص١٩؛ سمير حامد محمد: الاغتيالات في مصر الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا ٢٠٠٦م، ص١٢٩.

(٤) فانتن عبد الحليم: تاريخ الترجمة في مصر، ص٦٠.

السلطين، وهؤلاء الأعوان أو العملاء قد يقيمون إقامة دائمة أو مؤقتة في هذه الدولة<sup>(١)</sup>، حيث إنهم كان لهم أعوان من بين الصليبيين يرسلونهم باستمرار، ويخبرونهم بكل ما يحدث عندهم من استعدادات، بل إن الأمر تعدى ذلك فكان هؤلاء الأعوان يخبرونهم بكل ما يستجد من أحوال أمراء الغرب الأوربي<sup>(٢)</sup>.

وكان من هؤلاء الأعوان الفرس الذين تحملوا وطأة الغزو المغولي كله، والذين لا قوا صنوفاً من العذاب والاضطهاد والتشريد، ففوى موقفهم مما ساعدتهم على الاتصال بالمماليك في مصر وإخبارهم أولاً بأول بكل تحركات المغول<sup>(٣)</sup>، ومنهم أيضاً أهل العراق الذين عملوا لهم كأعوان بالإضافة إلى تأييد ومؤازرة الكثير من أمراء البلاد الذين كانوا مكرهين على طاعة المغول والذين كانوا يعتقدون أن خلاصهم من هذا الحكم لن يتم إلا بالتعاون مع الأيوبيين في بلاد الشام والمماليك في مصر<sup>(٤)</sup>، كما اهتموا أيضاً بإرسال أعوان مسلمين إلى أراضي العدو للقيام بتكوين شبكات سرية عندهم لاطلاعهم على تحركات العدو وأخبارهم<sup>(٥)</sup>.

وقد ظهر دورهم في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما قام أحد عملائه وأعوانه في بلاد الفرنج وأعلموه بالهدف الحقيقي من وراء زيارة رسل أموري إلى بلاده وهو الاتصال بالمتأمرين<sup>(٦)</sup>، وكذلك الأمر عندما قام الملك المعظم عيسى بتكوين شبكة سرية من الجواسيس النساء في أرض العدو وكانت تكشف له كل تحركات ومخططات العدو حيث إن (فريدريك الثاني) لما عزم على غزو الشام بغتة أرسل فارساً من لدنه يستطلع له الأخبار، فقامت إحدى نساء هذه الشبكة بالاتصال بهذا الفارس، وأخذت تقيم معه علاقة وتلاطفه وتتودد إليه حتى جعلته عميلاً معها داخل الشبكة، فكان إذا أتاه خطاب بعد ذلك من الإمبراطور حملة إليها فترسله إلى المعظم مختماً كما هو<sup>(٧)</sup>.

(١) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٤٠؛ علي السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص ٣٨٧.

(٢) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة، ص ١٤٥.

(٣) علي السيد: الإسهام العسكري المصري، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٤) محمود إبراهيم شليبي: علاقات المغول بسلطنة المماليك في مصر والشام، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة ١٩٧٩م، ص ٧٨.

(٥) وفاء محمد إبراهيم: ساحل الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب المنيا ١٩٩٨م، ص ٦٨.

(٦) نيكيتا أليسييف: السلطان نور الدين محمود بن زنكي، ترجمة سليم قنديل، دققه وراجعته علي القيم، دمشق، ألف باء - الأديب، ١٩٩٨م، ص ٤٠٢.

(٧) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ١٤٥ - ١٤٦؛ جمال الدين الشبالي: الجاسوسية الأيوبية، ص ٧٧.

واستطاع السلطان الصالح نجم الدين أيوب أن يجعل من فردريك الثاني أحد أعوانه في الأراضي الصليبية ليخبره بتحركات الحملة الصليبية السابعة وكذلك الاستمرار في نقل أخبار الحملة وتحركاتها إليه<sup>(١)</sup>، وفي عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م بلغ هلاون أن بلاد العراق فيها جماعة من الأجناد الأتراك قد استخفوا، وتزيوا بزي الفقراء والفقهاء، وانقطعوا بالمدارس والروابط، وأنهم في كل مدة يسألون الجماعة بعد الجماعة إلى الديار المصرية<sup>(٢)</sup>.

كما عمل سلاجقة الروم كأعوان للمماليك ضد المغول فكانوا يقومون بمؤازرة المماليك ويطلعونهم على أخبار تحركات المغول والوقوف إلى جانبهم بالعدة والعتاد، وكان الأمير معين الدين سليمان البروناه أحد أعوان المماليك أيضاً، وكان يزودهم بأخبار المغول وحركات جيوشهم التي كان قد أعدها أبغا لمهاجمة الشام، كما دعا هؤلاء الأمراء السلطان الظاهر بيبرس للهجوم على بلادهم ووعدوه بكل عون ومساعدة، وكان ثمرة ذلك معركة الأبلستين في آسيا الصغرى التي أيد فيها الجيش المغولي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م<sup>(٣)</sup>.

وكان مجد الدين السلامي رئيساً لشبكة سرية للدولة المملوكية داخل الأراضي المغولية في فارس لإيواء العملاء من الفداوية لتنفيذ المخططات المملوكية ضد الأعداء ولجمع الأخبار عنهم<sup>(٤)</sup>.

أما الدور الآخر للشبكات السرية والأعوان الموجودين في بلاد الأعداء كان مساعدة الدولة على كشف جواسيس الأعداء الموجودين داخل الأراضي الإسلامية، وذلك عن طريق المعلومات التي يرسلها أفراد هذه الشبكة التي تقيم بصفة دائمة بين صفوف العدو، وفيها كل ما يختص بالمعلومات التي تسهل القبض عليهم من خلال أوصافهم ورصد تحركاتهم واتجاهاتهم. ، وهو ما حدث أيام السلطان الظاهر بيبرس عندما قام بالقبض على شبكة جواسيس للمغول تتكون من ثلاثة عشر أميراً كانوا يرسلون المغول ويحرضونهم على غزو البلاد<sup>(٥)</sup>، ولإدراك المغول لخطورة هؤلاء الأعوان كانوا يبطشون بكل من حامت حوله الشكوك والشبهات في الاتصال بالمماليك<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص٢٤٧؛ جميل جمول: مصر والحروب الصليبية، ص٢١٤-٢١٥.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٠٨؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٩.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص٣٢٣-٣٢٤؛ محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص٧٨-٧٩.

(٤) تشارلز ميلفيل: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى للثقافة، ١٩٩٩م، ص٢٦٤.

(٥) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٨٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢١٥؛ ابن بهادر: فتوح النصر، مخطوط، ورقة ١٢٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٦٨؛ العيني: عقد للجمان، ج٢، ص١٣٠؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٥٠.

(٦) محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص٧٩.

ولكن على الجانب الآخر كان الأعداء عندما يدخلون أي منطقة يتخذون جماعة من أهلها أعواناً لهم داخل شبكات سرية تمدهم بالمعلومات عن الأيوبيين والمماليك<sup>(١)</sup>، وهو ما حدث عام ١٢٤٣م عندما استطاع الفرنج من جعل الأميرين الناصر داود والصالح إسماعيل أعواناً لهم على الملك الصالح نجم الدين، وقاما بمساعدتهم على أخذ القدس<sup>(٢)</sup>.

واستطاع سليم الأول العثماني من جعل الأميرين خاير بك وجان بردي الغزالي أعواناً له يخبرونه بأحوال المماليك وينفذون خططه داخل أراضي المعركة ضد المماليك لصالح العثمانيين<sup>(٣)</sup>.

#### رابعاً: وسائل وطرق نقل المعلومات:

أما بالنسبة للمعلومات التي جُمعت على يد عمال التجسس وغيرهم من جامعي المعلومات سواء في ميادين المعارك البرية أو المعارك البحرية أو المصادر الأخرى الموجودة خارج ميدان المعارك فكانت لابد وأن ترسل هذه المعلومات المجموعة إلى السلاطين في أسرع وقت ممكن، ولهذا تم الاعتناء من قبل سلاطين الأيوبيين والمماليك بهذه الوسائل عناية فائقة بل أكثر من ذلك أنهم قاموا بتنويعها وتطويرها والاهتمام بها وذلك حفاظاً منهم على سرعة وصول هذه الأخبار في أسرع وقت ومن هذه الوسائل ما يأتي:

##### ١- سفن البريد والسهام:

أما سفن البريد فكانت إحدى وسائل نقل المعلومات إذ كانت تنقل الأخبار في الأنهار والمجاري المائية فإذا كانت البلاد بحرية فكان يتم استخدام مراكب خفيفة سريعة<sup>(٤)</sup>، حيث إن الرسائل كانت توضع أحياناً في ورقة تعلق بقصبة، وتغرس القصبة في باقة من حشيش (عشب) وتلقى في الماء، فيقوم الحشيش، ولا يزال جارياً بمجرى النهر حتى يراه المرسل إليه<sup>(٥)</sup>.

وفي بعض الأحيان كانت توضع الرسالة ضمن صندوق محكم الغلق، ويجعل ثقله متوازناً، بحيث لا يطفو على وجه الماء، ولا يغرق في قاعه، بل يكون متوسطاً بينهما منعاً لظهوره، ثم يلقى

(١) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٣٢؛ محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص٧٦.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣١٤-٣١٥.

(٣) عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٩١.

(٤) محمد ضيف الله بطاينة: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ج١، ص١٥٣؛ عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات،

ص١٣١؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٠٥.

(٥) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٢، ص٣٠٧؛ جورج زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، بيروت،

دار مكتبة الحياة، ١٩٦٨م، ص٣٠٧؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٠٥-٣٠٦.

في النهر فيندفع بالماء نحو المركز التالي، حيث يقع في شياك أعدت خصيصاً له<sup>(١)</sup>، وكان الاعتماد على هذا النوع ضعيفاً، ولا يلجأ إليه إلا إذا كانت الطرق البرية صعبة الاجتياز أو خطرة طويلة<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الوسائل أيضاً السهام وهي أن تكتب الأخبار على السهام وترمى إلى المكان المراد إرسال الخبر إليه، ويغلب أن يكون ذلك في أيام الحصار وانقطاع السبل<sup>(٣)</sup>. وكان الورق الذي يعلق بالسهم يسمى بـ "الملطفات"؛ وهي عبارة عن أوراق، تكتب بخط رفيع، ويشملها الخط الشريف، بقلم الملطفات، ويكون مكتوباً فيها ما يقصده السلطان من الأمور، ويلف كالبطاقة -، ويربط الملطف على سهم في نشاب، ويرمى به إلى أعلى القلعة، فيقع عليه من يأخذ السهم الموجود على جدار القلعة، والكتاب الصغير المربوط به، فيوصله لنائب القلعة، فيعرف مضمونه ويعمل به<sup>(٤)</sup>.

واستعمل ذلك في عام ١٢٨٠هـ/١٢٨١م عندما حضر إلى السلطان المنصور قلاوون بعض أجناد الحلقة، ومعهم نشابه فيها بطاقة مربوطة فحل رباطها - وكان مضمونها تحذير للسلطان بأن التتار قد علموا أن لديه خزنة كبيرة ويريدون السطو عليها - فشكر السلطان المرسل - هذا السهم المسرح، وأثنى عليه ثناءً جميلاً، وتمنى أن يعرفه لكي يكافئه على ذلك<sup>(٥)</sup>.

وفي عام ١٢٩٠هـ/١٢٩١م أثناء حرب المسلمين مع الأفرنج على عكا رمى بسهم من القلعة وفي نصله ورقة مشدودة عليها بخيط، فوقع السهم في وسط المعسكر فأخذوه وأحضره إلى السلطان، ففتح الورقة فوجد فيها مكتوب بالعربي، وكانت رسالة تحذير من أحد للنصحاء لمعسكر المسلمين<sup>(٦)</sup>.

## ٢- الخيل والهجن والإبل:

تعد الخيل من وسائل نقل الرسائل لما تمتاز به من سرعة في سيرها للمسافات البعيدة، ويقوم النقل بواسطتها بالتتابع على مراحل حيث تسير بسرعة قصوى في مرحلة وتسلم إلى آخر؛ فينطلق بها بسرعة أيضاً مسافة أخرى - وهكذا فتصل بمدة قياسية<sup>(٧)</sup>، هذا وقد اهتم الأيوبيون والمماليك بالخيول والهجن، وأولوهما عناية فائقة، وقد برعوا في اختيار الهجن الأصلية للسرعة العدو، للاعتماد عليها

(١) نعمان أنطون: الطائر الغريد، ص ١٤ - ١٥؛ سعداوي: البريد، ص ١٥٧؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢١٠.

(٢) أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) الكرودي: كتاب كشف الغمة، مخطوط، ورقة ٢٩؛ جورج زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، ص ٢٣٤.

(٤) ابن كنان: حقائق الياسمين، ص ٧٦.

(٥) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٧٥ - ٧٦.

(٦) العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ٥٨ - ٥٩.

(٧) صبحي الصالح: النظم الإسلامية، ص ٣٣١؛ سلامة الهرفي: المخابرات في الدولة الإسلامية، ص ٢٤٤.

في نقل الأخبار<sup>(١)</sup>، فيقول شافع بن علي<sup>(٢)</sup> "... خيل البريد هي المقربة ما بين المسافرين، والطاوية لطلال من الشقتين والمحضرة غائبة أخباره، والمبينة عن كنة أسرار الملك وأسراره فليقدم أمره العالي بأن لا يخل المراكز منها ولا طرفة عين، وأن تكون من الخيول المقصر سيرها بطول خطوته خطي البين"، هذا وقد أكد السلطان المنصور قلاوون على ضرورة اختيار الخيل الجيدة لكي تسير بالأخبار ولا يحضرون فرساً عجفاء ولا عاجزة<sup>(٣)</sup>.

أما الهجن فهي أسرع من الخيل وأصبر على السير من السعاة، وغالباً ما كان يجهز اثنتان منهم في الأوقات الضرورية حتى يسهل وصول الأخبار بأقصى سرعة<sup>(٤)</sup> فيقول في ذلك الرشيد<sup>(٥)</sup> "... كان الأيوبيون يستخدمون الهجن المنتخبة السابقة في نقل الأخبار وتوصيلها"، هذا؛ وقد سار المماليك على نهج أساتذتهم الأيوبيين؛ حيث نجد أن عدد الهجن المستخدمة في عصر دولة المماليك بلغت حوالي من ثلاثمائة هجين كانوا يخضعون لإشراف أمير أخور كبير<sup>(٦)</sup>.

وقد اعتنى السلاطين بهم؛ فزودوا الطرق بمنازل ومحطات لهم، تتألف كل محطة في الغالب من خان ومسجد وسقاية وفيها نولب من بغال وخيل وإبل، ومن يتعهد بالخدمة والعناية بهم<sup>(٧)</sup>.

### ٣- التراسل بالنار والدخان:

جال المسلمون بنظرهم إلى الأمام قليلاً، وحاولوا متطلعين إيجاد طريقة أسرع من الحمام الزاجل وأسرع من الخيل والهجن وأسرع من سفن البريد لنقل الأخبار فلجأوا إلى نظام التراسل بالنار والدخان عن طريق بناء المناور وهي الأماكن التي توقد فيها النيران على قمم الجبال للإعلام بحركة المغول، وخاصة إذا كان الوقت ليلاً، أو عن طريق إثارة الدخان في نفس المكان إذا كان الوقت نهاراً، مما يعطي حق المبادرة للسلطان في استدراك تلك الحوادث الطارئة قبل حدوث ما لا يحمده عقابه<sup>(٨)</sup>.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص ٣٧٠؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٤٦-٤٧.

(٢) الفضل المأثور، ص ١٣٢-١٣٣.

(٣) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ١٢١.

(٤) بطاينه: تاريخ الحضارة العربية، ج١، ص ١٥٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٩٤-٩٥.

(٥) تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٢٤.

(٦) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٢٦.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٥٦٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٢٧؛ بطاينه: تاريخ

الحضارة العربية الإسلامية، ج١، ص ١٥٢؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٠٦.

(٨) العمري: التعريف، ص ٢٥٩؛ الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٢؛ سعادوي: البريد، ص ١٥١؛ سند أحمد: البريد

المملوكي، ص ٢١٤.

ولعل السبب الرئيسي في اهتمام سلاطين الأيوبيين والمماليك بهذا النظام هو أن الصليبيين والمغول عندما بدأوا في تهديد حدود الدولة، شرعوا منذ ذلك الحين في تخصيص بعض الأماكن العالية على رؤوس الجبال لإشعال النار فيها ليلاً، ولإثارة الدخان نهراً لإعلام السلاطين بحركتهم إذا ما عاودوا دخول البلاد مرة أخرى سواء لحرب أو إغارة، وهذه المناور تارة ما تكون على قمم الجبال وتارة أخرى في مباني عالية كالأبراج ولها أماكن محددة اعتاد المسافرون المرور عليها، وهي من أقصى حدود دولتهم على نهر الفرات، ومروراً في سلسلة متصلة الحلقات حتى قلعة الجبل بالقاهرة<sup>(١)</sup>.

وهذه المناور كانت لا تتطلب تقنيات فنية عالية؛ إذ كان يكفي جلوس المنورين في ظل صخرة، وبجوارهم كومة من الحطب الجاف جداً لإشعالها في الوقت المناسب، حالما يرصدون ظهور نار أو دخان في الأفق كشفرة سرية متفق عليها، فيقومون في الحال بنقلها إلى رأس الجبل التالي، وهكذا إلى أن تصل إلى أقرب نقطة لقلعة الجبل<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا النحو كانت هناك رموز وإشارات متفق عليها بين جماعة المنورين عند نقل الأخبار من جهة إلى أخرى كاختلاف حال النار بين شدة توهجها وضعفها، وكعدد مشاعلها في المكان الواحد، وطول وقصر فترة إشعال النار أو الدخان، فكانت الحالة الأولى تخصص للأخبار الحربية، والثانية للأخبار الداخلية وهكذا<sup>(٣)</sup>.

وليس أدل على أهمية المناور — كوسيلة من وسائل نقل الأخبار وتوصيلها بأقصى سرعة دوناً عن غيرها السابقة الذكر — من أن السلاطين كانوا يعرفون أخبار دولتهم وهم مقيمون بقلعة الجبل، لدرجة أن متجددات الأخبار التي تحدث حول الفرات في وقت الصباح كانت تصل إليهم بحلول المساء، ومتجدداتها في المساء تصل بحلول الصباح<sup>(٤)</sup>، أي إن الأخبار كانت تصل من حدود الدولة إلى العاصمة في يوم واحد<sup>(٥)</sup>.

ولهذا نجد أن رئيس ديوان الإنشاء بمصر كان يتولى الإشراف عليهم، وكان نواب السلطنة يتعهدون برعايتهم وهو ما ذكرناه في الفصل السابق<sup>(٦)</sup>.

(١) العمري: التعريف، ص ٢٥٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٩٨؛ سعدوي: البريد، ص ١٥١.

(٢) Sawaget: la post, P. 40 ; syedahsadeque: Development of Al – Barid, P. 183.

(٣) العمري: التعريف، ص ٢٥٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٩٨؛ سعدوي: البريد، ص ١٥٢.

(٤) العمري: التعريف، ص ٢٥٩؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢١٧ ؛

Hartmann:politische, P. 504.

(٥) الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٠٠ ؛ فايد حماد عاشور: التنظيمات

العسكرية المغولية والمملوكية، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٧٢م، ص ٢٣٧.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٩٨ ؛ ج ١١، ص ٩٢.

كما كان الملك المعظم عيسى أثناء حربه مع الفرنج يرتب النيران على الجبال، من باب نابلس إلى عكا، فكان يعلم عدد الفرنج والمناطق التي يقصدونها عن طريق إرسال هذه المعلومات إليه بالنار<sup>(١)</sup>.

وأثناء حصار الصليبيين لدمياط سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م لم يجد أهلها وسيلة في محنتهم للتراسل مع الملك الكامل سوى أنه كلما ضيق الصليبيون الخناق عليهم كانوا يصعدون إلى أعلى البرج ويوقدون النيران فيراها جنود السلطان فيعلمون أن أهل دمياط في ضيق فيجمعون على معسكر الصليبيين فيرتد هؤلاء عن محاربة المدينة ليحاربوا جنود السلطان<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- حمام الزاجل أو الزجال:

الحمام ومفرده "حمامة"، يطلق في اللغة على أنواع عديدة من الطيور تدخل في مجموعة واحدة وهي ذوات الأطواق أي الحمامة التي في عنقها طوق<sup>(٣)</sup>، وهو حمام الرسائل وقد عرف بالزجل أو الزاجل أو الزجال<sup>(٤)</sup>، وكان هذا الحمام له مقدرة على الطيران لمسافات بعيدة في أزمان قصيرة، حيث كان بإمكانه قطع مسافة عشرين يوماً في يوم واحد<sup>(٥)</sup>،

ويؤكد ذلك ما ذكره شافع بن علي<sup>(٦)</sup>: "أن الحمام الزاجل كان يصل من بلاد الشام إلى القاهرة حاملاً الأخبار في يوم واحد".

هذا؛ وبعد الحمام الزاجل من وسائل التجسس التي أحكم أمرها في أنظمة الجيوش الإسلامية، وخاصة في العصرين الأيوبي والمملوكي<sup>(٧)</sup>، حيث نجد أنه لقي اهتماماً كبيراً من سلاطينهم واعتنوا به كثيراً، وذلك بسبب اتساع حدود المملكة، وازدياد الأخطار المهددة للبلاد وكثرة الغارات المغولية والصليبية، ولهذا استخدم في نقل الرسائل إلى المعسكرات الإسلامية وذلك لاتخاذ الحيلة والحذر أثناء

(١) ابن الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٢٤٤-٢٤٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ١٤٥.

(٢) عبد الرحمن زكي: معارك حاسمة في تاريخ مصر "دمياط والمنصورة"، القاهرة، (د.ن)، ١٩٤٥م، ص ٢٠.

(٣) نبيل محمد عبد العزيز: الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، ع ٢٢، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٤١.

(٤) النيسابوري: السامي في الأسامي، تحقيق محمد موسى هنداي، القاهرة، (د.ن)، ١٩٦٧م، ص ٢٩٢.

(٥) الأنصاري: تفريح الكروب، ص ١٣؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٨٥.

(٦) الفضل المأثور، ص ١٢٠.

(٧) أحمد رمزي بك: الحمام للزاجل، مجلة الرسالة، ع ٧٧، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٣٨٣؛ أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية، ط ٣، دمشق، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص ١٤٦.

الحروب مع العدو<sup>(١)</sup>. وكان له دور آخر وهو التجسس عليهم ؛ وذلك لأن هذا الحمام كان يوجد مع الجواسيس الموجودين على حدود الدولة مع الأعداء حتى إذا رأوا أو سمعوا أي شيء قاموا بتطبير الحمام بهذه الأخبار<sup>(٢)</sup>.

ولقد وضع العلماء والأقدمون الأسس والقواعد التي يجب مراعاتها عند اختيار الحمام الزاجل شأنهم في ذلك شأن تفرسهم في الخيل والناس والجواهر، وذلك لأن الطيور - كغيرها - تختلف في طبائعها اختلافاً شديداً، لذا كان على البراج أن ينتخب الحمام الجيد لنقل الرسائل<sup>(٣)</sup>، ثم يبدأ تدريبه بعد لفصاله عن أبويه مباشرة على الطيران<sup>(٤)</sup>.

وكان الورق المستخدم في التراسل بالحمام يعرف بورق البطائق<sup>(٥)</sup>؛ وهو نوع من السورق الشامي الرقيق جداً، كان فخرًا لتقنية صناعته إبان تلك الفترة<sup>(٦)</sup>، وكان حجم البطاقة من هذا الورق لا يزيد عن سلامة الإصبع<sup>(٧)</sup>، وذلك حتى لا يتقل الحمالة.

وكانت الرسالة تكتب مختصرة خالية من البسمة ويكتب فيها لب الكلام وزينته<sup>(٨)</sup>، ونجد أن الرشدي يقول في ذلك<sup>(٩)</sup>: ".... وكانت الرسالة لا يكتب فيها الخبر كاملاً وإنما يلوح فيها بالضروري من الأمر لتقع لكي تحيط العلم بالأمر".

(١) الديميري: حياة الحيوان الكبرى، ج١، القاهرة ١٣٠٦هـ، ص ٢٣٧؛ أحمد عبد الرزاق: الحضارة الإسلامية، ج١، ص ٨٨.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٩، ص ٢٥٥؛ ماهر أحمد: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م، ص ٣١.

(٣) ابن نقولا: مسابقة البرق، ص ٥٥؛ نعمان أنطون: الطائر الغريد، ص ٨؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٨٧.

(٤) نبيل محمد: الحمام الزاجل، ص ٥٥.

(٥) نعمان أنطون: الطائر الغريد، ص ١٠؛ سعداوي: البريد، ص ١٤٢.

(٦) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، (د.ن) ١٩٩٩م، ص ٢٧٧؛ طوق الحمالة، تحقيق وتعليق وتقديم مصطفى عاشور، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٧م، ص ٦١.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص ١٩٢.

(٨) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٠٤.

(٩) تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٢٠.

وكانت البطاقة تؤرخ بالساعة واليوم والشهر والسنة<sup>(١)</sup>، وكان يتم استخدام الحمام الأزرق اللون في نقل الأخبار<sup>(٢)</sup>، لتشابه لونه مع لون السماء، وبذا يختفي عن أنظار العدو<sup>(٣)</sup>.

كما جرت العادة أيضاً ألا يسرح الحمام الزاجل بالبطائق أثناء الليل إلا إذا دعت الضرورة القصوى لذلك<sup>(٤)</sup>، ولا يطلق في الجو الماطر، ولا قبل أن يتم تغذيته الغذاء الكافي<sup>(٥)</sup>، ولزيادة الاطمئنان كانت الرسالة تكتب من صورتين وترسلان مع حمامتين، تطلق إحداها بعد ساعتين من إطلاق الأخرى، حتى إذا وصلت إحداها أو قتلت أو افترستها الجوارح أمكن الاعتماد على الأخرى في توصيل البطاقة، ولذلك كان يكتب في بطائق الحمام الزاجل "سرح الطائر ورفيقه" لتحقيق هذا الهدف المنشود<sup>(٦)</sup>.

وكانت الحمامة عند وصولها إلى البرج الموجهة إليه بمسكها البراج، ويأخذ البطاقة من جناحها ويعلقها بجناح الطائر من حمامة البرج الذي يليه<sup>(٧)</sup>، وهكذا حتى ينتهي إلى برج المدينة التي فيها الشخص المرسل إليه فيأخذ البراج الحمامة والبطاقة في جناحها ويحفرها بين يديه خشية أن يكون في البطاقة سر ينبغي عدم إطلاق أحد عليه فيفك الرسالة بنفسه<sup>(٨)</sup>.

وكانت البطاقة توضع أسفل الجناح لقوته ومقدرته على حفظها من المطر<sup>(٩)</sup>، وأغلب الظن أن تلك الطريقة تعد من أحسن طرق التراسل وأعظمها أمناً، إلا أن الرسالة لا تكون وافية بالمقصود

---

(١) كان البراج يكتب الساعة التي كتبت فيها البطاقة من ساعات النهار فمثلاً كان الشروق يمثل أول ساعات النهار، والغروب يمثل آخر ساعاته. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص ٢٥٠-٢٥١؛ المقرئزي: الخطط، ج٣، ص ٣٧٦؛ السيوطي: طوق الحمامة، ص ٦٢.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، ص ٤٢.

(٣) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٩٤.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص ٢٥١؛ السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٧.

(٥) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٧؛ ابن كنان: حقائق الياسمين، ص ٧٩.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ١١٨-١١٩؛ المقرئزي: الخطط، ج٣، ص ٣٧٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢٧٧.

(٧) عبد الغني: العيون والجواسيس، ص ٣٠٤.

(٨) الرشيد: تاريخ العرب، مخطوط، ورقة ٢٠.

(٩) المقرئزي: الخطط، ج٣، ص ٢٧٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢٧٦؛ طوق الحمامة، ص ٦١.

الصغر حجمها<sup>(١)</sup>، وكذلك كانت البطاقة تعلق في ذنب - ذيل - الحمام الزاجل<sup>(٢)</sup>، لأنها في هذا الوضع أصبحت آمنة<sup>(٣)</sup>.

وكان لهذا الحمام مطارات منتظمة هي: أوكارها، والمسافة بين مطار وآخر كانت أربعة فراسخ، وعين لها برارجون أو حراس، برعوا في الاعتناء بشئونهم وإطعامهم وراحته<sup>(٤)</sup>.

وقد ظهر دوره أثناء محاصرة الصليبيين لعكا عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م عندما استخدم في نقل أخبار المحاصرين في عكا إلى السلطان صلاح الدين<sup>(٥)</sup>.

وعندما هجم أسطول صقلية على مدينة الإسكندرية في عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م قام الوالي بتسيير الكتب إلى صلاح الدين ليعلمه بالأمر ويستدعونه للدفاع عن المدينة<sup>(٦)</sup>، وقد واصل الحمام الزاجل نشاطه في عهد خلفاء صلاح الدين، حيث لعب دوراً مهماً في القضاء على المؤامرات الشخصية التي وقعت بين الأمراء، ففي سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م كان الملك الصالح نجم الدين أيوب يعرف أخبار الصالح إسماعيل أولاً بأول عن طريق أجنحة الحمام الزاجل<sup>(٧)</sup>.

كما وصلت الأخبار من داخل حصن الأكراد على أجنحة الحمام الزاجل إلى الملك المنصور قلاوون بأن المغول قرروا إرسال فرقة من جيشهم المهزوم إلى داخل طرابلس للتقضاء على مؤخرة الجيش المملوكي<sup>(٨)</sup>.

وفي عام ٧١٢هـ/١٣١٢م عندما حاصر المغول الرحبة كانت أخبارهم تصل إلى مصر على أجنحة الحمام الزاجل، ويخبرون بما هم فيه من شدة الحصار وعظيم القتال<sup>(٩)</sup>، وعندما حدثت فتنة في الإسكندرية عام ٧٢٧هـ/١٣٢٦م نقلت أخبار هذه الفتنة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون<sup>(١٠)</sup>.

وقد علم الأعداء خطورة هذه الوسائل وما تسببه لهم من خسائر لأنها كانت تساعد في نقل أخبارهم إلى معسكرات المسلمين في سهولة ويسر؛ فبدأوا في إعاقة هذه الوسائل وحاولوا تعطيلها،

(١) نعمان أنطون: الطائر الغريد، ص ٩٩؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٩٧.

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ٣، ص ٣٧٦؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٩٧.

(٣) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٧٩؛ طوق الحمامة، ص ٦٥؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٩٧.

(٤) حسن فرحات: الدواوين في العصر الأيوبي، ص ٩٦.

(٥) ابن شداد: النواذر السلطانية، ص ٢٣٩؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٢٠.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٦٥؛ عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين ص ٣٨٧.

(٧) ابن أبيك الدوادار: الدر المطلوب، ج ٧، ص ٣٣٦.

(٨) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٧٣.

(٩) ابن أبيك الدوادار: الدر الفاخر، ج ٩، ص ٢٥٧.

(١٠) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص ٤٣؛ اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص ٤٣٥.

وهو ما حدث عام ٧١٢هـ/١٣١٢م عندما قام الفرنج بنصب سبع حلقات، فإذا طار الحمام صدوه ورمى بالنشاب، ما سلم من الحلقة الأولى ما يسلم من غيرها<sup>(١)</sup>.

وبالتالي دفع ذلك سلاطين الأيوبيين والمماليك إلى البحث عن طرق وأساليب يخفون بها عملهم نقل الأخبار فلجأوا إلى طريق الاحتيال في إرسال المعلومات أو ما نسميه في عصرنا بالشفرة السرية.

وقد أورد لنا المعاصرون بعض طرق الاحتيال التي كان السلاطين يقومون بها لتوصيل رسائلهم، فكان من أبرزها استخدام الملطفات: والملطفات هي كتب سرية تكتب على كاغد (ورق) لطيف تلف وتختتم ثم توضع في مكان خفي كنصاب سكين، أو سواك، أو عصا ونحو ذلك، يجوف داخلها، وتوضع فيه وتسلم إلى من أرسلت إليه سرّاً<sup>(٢)</sup>.

ونظراً لتتبع العدو لهذه الملطفات ومعرفة سرها لجأ الأيوبيون والمماليك إلى طرق أخرى لإخفاء كتبهم بها، ولهذا وضع القلقشندي بعض الطرق للتعمية وكلها تتعلق بالكتابة، وقد سلك الأقدمون فيها مسالك متعددة للتعمية بها على من لا يريدون الإطلاع على فحواها من الأعداء وغيرهم، وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلاً يكون مقررأ بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة، أو مسحه بشيء، أو عرضه على النار ونحو ذلك<sup>(٣)</sup>، وهو ما يشبه في العصر الحديث الحبر السري الذي كانت تستخدمه المخابرات العسكرية في البلاد المختلفة (في بعض الحقب الزمنية) للتبادل من خلاله الرسائل السرية<sup>(٤)</sup>.

ومن الطرق التي ذكرها القلقشندي للتعمية — أيضاً — التعمية بتبادل بعض الحروف مكان بعض أو عكس حروف الكلمة أو الكتابة بأقلام مختلفة لا يألّفها الناس<sup>(٥)</sup>.

ولقد اعتمد الأيوبيون والمماليك في حل بعض الرسائل على الترجمة وهو ما حدث عام ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م "حيث وردت رسالة ذو شفرة سرية من مملكة المغول، يذكر فيها أن

(١) ابن أبيك الدوادار: الدر الفلخر، ج٩، ص٢٥٨.

(٢) الصفدي: تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، تحقيق إحسان بنيت سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٢م، ص٢٦٨.

(٣) صبح الأعشى، ج٩، ص٢٢٩.

(٤) للتعرف على أنواع الحبر السري انظر القلقشندي: صبح الأعشى ج٩، ص٢٢٩ — ٢٣٠.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٩، ص٢٣٠ — ٢٣١.

ذلك خلافاً قد وقع بين المغول أنفسهم، وقد أكد المترجم مراراً على صحة هذه الأخبار<sup>(١)</sup>.

وقد ظهر دور الترجمة في كشف المعمي الموجود في ملطف ملك البرشوني الذي أرسل إلى السلطان عام ١٢٠٤/٥٧٠٣م وكان الغرض منه فك أحد الأسرى الموجودين عنده ولكن استطاع الترجمة من خلال قراءة الملطف أكثر من مرة إلى التوصل إلى أن هذا الملك إنما هو ابن ملك عظيم عندهم، واستطاعوا أن يكشفوا طرق الاحتيال التي اتبعها ذلك الملك<sup>(٢)</sup>.

ومن طرق التعمية - أيضاً - أن يعبر عن الأحداث من خلال رموز وإشارات لا يستطيع القارئ فك طلاسمها إلا من خلال كاتبها، وذلك بأ يرمز عن الإنسان بالطير والحيوان، أو أن يرمز عن الأحداث من خلال وضع أرقام معينة في أول كل حرف<sup>(٣)</sup>، وهو ما حدث في عهد السلطان صلاح الدين أثناء ثورة مؤتمن الخلافة ضد السلطان صلاح الدين حيث نجد أن الثوار قاموا بكتابة رسالة فيها تفاصيل الخطة وكيف يقضون على السلطان وقاموا بوضع هذه الرسالة في نعل حذاء جديد ولكن نجد أنه تم اكتشافها بسبب ملاحظة المراقبين للطريق أن النعلين جديدين ولم يتم لبسهما وأن حاملهم لم يلبسهم فأثار ذلك انتباه المراقب فقبض عليه واكتشف ذلك<sup>(٤)</sup>.

وفي عام ١٢٠٢/٥٩٩م وصلت رسالة تقول: إن الكواكب والنجوم ماجت في السماء شرقاً وغرباً، وتطارت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً، ولم يعهد بمثل ذلك من قبل، وأغلب الظن أن المقصود منها وصول الفرنج إلى عكا في عالم عظيم، لا يحصى عدتهم إلا الله عز وجل، وأنهم طالبين الديار المصرية، وسيروا أصطولهم إلى ثغر الإسكندرية هكذا جاءت الأخبار<sup>(٥)</sup>.

وقد كان الملك المعظم عيسى يعلم أخبار الفرنج وكم عدد المتوجهين نحوه عن طريق هذه الشفرات السرية التي كان متفق عليها مع الجواسيس، فنجد أنه إذا علموا بعزم الفرنج على الإغارة فتحو طاقاتهم، فإن كان يخرج مائة فارس، أوقدت شمعة واحدة، وإن كانوا مائتين أوقدت شمعتين وهكذا، وتشير بالنار إلى الجهة التي يقصد الفرنج الإغارة عليها<sup>(٦)</sup>.

وعندما مات السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٥٠/٥٦٤٧م لم يشيعوا خبر موته وظلت الكتب ترد من المعسكر وعليها علامة السلطان، وكانت بخط خادم يقال له سهيل، لا يشك

(١) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٦٣؛ فايد حماد: التنظيمات العسكرية، ص ٢١١؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٣٣.

(٢) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة في مصر، ص ١٤٣-١٤٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٩، ص ٢٤٩.

(٤) نيكيتا أليسيف: السلطان نور الدين محمود، ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٥) ابن أبيك الدوادار: الدر المطلب، ج ٧، ص ١٥٤.

(٦) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ١٤٥؛ جمال الدين الشيال: الجاسوسية الأيوبية، ص ٧٦-٧٧.

من رآه أنه خط السلطان، ومشى هذا على الأمير حسام الدين نائب السلطنة مده، إلى أن أوقفه بعض أصحابه على اضطراب في العلامة، يخالف علامة السلطان. ففحص عن خبر السلطان من بعض خواصه الذين بالمعسكر، حتى عرف موته<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا حدث في عهد الظاهر بيبرس؛ فقد كان له عين في صفد — التي كانت تحت سيطرة الأفرنج — فأرسل إلى السلطان الملك الظاهر يبلغه قول الله تعالى: "أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون"، ففهم بيبرس ذلك حيث إن زيتون فارس وكان من الإفرنج الموجودين في صفد، وكانت صفد للإفرنج، فكان زيتون يجمع الفرسان الأفرنجية ويلعبون بالرماح وغيرها وبالتالي أرسل الظاهر بيبرس الأمير علم الدين سنجر الحلبي — الشهير بالأعور — وتوجه إلى صفد بعدته وهم مائة فارس، فوجد زيتون يلعب على عادته ضحى فقبض عليهم وقتل من قتل ورجع وصحبته زيتون وجماعة من الذين سلموا من القتل إلى الملك الظاهر وكان يوماً مشهوداً<sup>(٢)</sup>.

وعندما نزل التتار على البيرة عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً، ونصبوا منجنيقاً أفرنجياً والرامي به مسلم، ونصبوا من القلعة عليه منجنيقاً رموا عليه فلم يصبه حجر وكان زائداً عنه فقال الرامي المسلم: لو قطع الله من ساعدك ذراعاً كان أهل البيرة يستريحون منك لقلعة معرفتك، ففهم إشارته وقطع ذراعاً من ساعد المنجنيق ورمى به فأصاب منجنيق التتر فكسره، وخرج أهل البيرة في الليل وكبسوا المعسكر فقتلوا الكثير ونهبوا وأحرقوا المنجنيقات<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك ما أرسله الأذفونش — ملك الفرنج — بطليطلة من بلاد الأندلس؛ كان خبيث النية، سيئ المقاصد لأهل الإسلام، وأنه أرسل مرة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ صاحب الديار المصرية هدية فيها سيف وثوب بندقية وطارقه مستطيلة تشبه النعش كأنه يقول: أقتلك بهذا السيف، وأكفئك في هذا الثوب، وأحمالك على هذا النعش. قال: وكان الجواب أنه أرسل إليه حبلاً أسوداً وحجراً، أي أنه كلب يرمى بهذا الحجر أو يربط في هذا الحبل<sup>(٤)</sup>.

وأثناء الخلاف الذي وقع بين السلطان الناصر محمد بن قلاوون وبين قراسنقر والأفرم نجد بعض الأشخاص الذي اندس داخل معسكر الناصر، وأخذ يكشف له الأخبار بمصر، ويكتب له ملغزاً

(١) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣٤٤.

(٢) ابن منكلي: التمهيد في السلطنة، مخطوط، ورقة ٢٧.

(٣) الكتبي: عيون التواريخ، ج٢١، ص٦٩ - ٧٠.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٩، ص٢٥٠.

ذلك ويرسله له فكتب له شعراً (وجاءت كلماته في ص ٢٤٠ - ٢٤١)، فعندما فهم جمال الدين الأفرم ما فيه من اللغز رحل من وقته والتحق بقرا سنقر<sup>(١)</sup>.

واستخدامات هذه الرموز والإشارات عندما أراد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون القبض على مهنا أمير العربان نجد أن مهنا ترك أحد العيون عند السلطان لكي يبلغه بما يضره له السلطان ولكي يقف على ما يقع من السلطان، وعندما علم هذا الجاسوس أن السلطان يريد التوجه إلى منازل مهنا لكي يقبض عليه أرسل هذا الجاسوس سله إلى مهنا فيها حشكتابك، وعندما فتح مهنا السلة وجد فيها بين الحشكتابك جملاً مصنوعاً من شمع وعليه قتب وخرج محمل، فعلم أنه أشار برحيله، فرحل مهنا<sup>(٢)</sup>.

ونجد هذه الرموز في الكتاب الوارد على السلطان الظاهر فرج بن برقوق عام ٨٠٣هـ/١٤٠٤م من المملكة الحلبية فيه: إنه وقع بتلك البلاد سيل عظيم ساق جملة من الأسود والنمور والحيات، ودفع حية عظيمة، ولما قرئ الكتاب بحضرة السلطان وحملوا ذلك إلى ظاهر، على أن المراد حقيقة السيل، وأنه لقوته ساق تلك الحية والسباع وغيرها، وشاع ذلك بين الكافة من الأمراء وأهل الدولة وسائر الرعية، ومضى الأمر على ذلك، ثم ظهر أن المقصود بذلك السيل وما فيه هو تمرلنك وعساكره؛ وأنه كنى بالحية العظيمة عن نفسه، وبالسباع والحيات عن عساكره<sup>(٣)</sup>.

وورد على السلطان الملك الناصر "فرج بن برقوق" في أواخر دولته كتاب عن صاحب تونس من بلاد المغرب في آخره خطاباً للسلطان (وعلى إحسانكم المعول، وبيت الطغرائي في لاميه العجم لا يتأول) فسألني بعض أعيان ديوان الإنشاء عن المراد من ذلك ولم يكن الكتاب متضمناً لغير الوصية على حجاج المغاربة، وكان ركب المغاربة قبل تلك الحجة قد عرض لهم عارض من عرب درب الحجاز اجتاحوهم فيه، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ونهبوا منهم أموالاً جمة، فعرضت تلك على أبيات اللامية، فلاح لي أنه يشير إلى قوله فيها:

وأنت تخذلني في الحادث الجلل

فقلت أرجوك للجلي لتتصرني

والجلي بضم الجيم : الأمر الجليل العظيم، والجلل بفتح الجيم في اللغة : من الأضداد، يقع على الشئ الجليل وعلى الشئ الحقير، كأنه يقول: أنا كنت أرجوك للأمور العظام لتتصرني فيها فخذلتني في هذا الأمر الخسيس، وهو الأخذ بثأر حجاج بلادي ممن اعتدى عليهم من عرب بلادك: فخاب ظني فيما كنت أرجوه فيك، وأؤمله منك، وأشار بقوله: لا يتأول إلى أنه لا يحمل الجلال في قوله الطغرائي على

(١) الدوادار: الدر الفاخر، ج٩، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٣) مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٢٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٩، ص ٢٥٠.

الشئ الجليل كما قال الصلاح الصفدي في شرح اللامية، بلى على الأمر الخسيس، لأنه هو اللاتى بالمقام وأعلم أن مثل هذه الأمور تحتاج إلى قوة ذكاء واحترام قريحة من الذي يقع منه الرمز، وإلى قوة حدس من الذي يحاول إدراك المقصد من تلك المعامي كما يقع في الألغاز والأحاجي للملغز والمتصدي لحل ألغازه والجواب عنه (١).

وقريباً من ذلك ما ورد في رسالة إلى القاهرة من قبرص عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م تقول: "إن العمارة عند القبرصي"، وهذه الرسالة كان الغرض منها التبليغ بأن ملك قبرص كان يعد حملة للإغارة على الإسكندرية ولكن نجد أن والي الإسكندرية لم يفهم ما في الرسالة إلا بعد قيام الحملة (٢).

ومما سبق يتضح — لنا — أن سلاطين الأيوبيين والمماليك اعتمدوا على بعض الطرق لجمع المعلومات في ميدان المعارك البرية والبحرية، واعتمدوا على وسائل أخرى خارج ميدان المعارك لكي تكفل لهم الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الأعداء كما أنهم استخدموا العديد من الوسائل لنقل هذه المعلومات إلى المختصين في الدولة كما أنهم غلفوها باستخدامهم لطريقة الشفريات السرية في نقل هذه الأخبار ونوعوا فيها.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٩، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج٣، ق ١، ص ٤١٤.

دور التجسس في مواجهة الخطر الصليبي والمغولي والعثماني

كانت المعركة والحروب بين دولها هي مواجهة الأخطار الخارجية<sup>(1)</sup> وذلك عن طريق منهم على الأعداء، وفي أطراف ممالكهم معرفة ما يحدث من أخبارهم، مثل: استعداداتهم الحربية، وخططهم العسكرية، والتجسس من أجل ذلك كان جزءاً من عملهم على التنبؤ، بل إنها كانت تسمى

### الفصل الثالث

الأخبار تدور في القصر على بعض جوانبهم

### التجسس والأخطار الخارجية

كان التعرف على أخبار الصليبيين والمغول والعثمانيين من أهم الأدوار التي قام بها جواسيس الأيوبيين والمماليك والإلاخ السلجوقيين، والتي كانت لهم الدور في كل ما يدور داخل أو خارج مملكتهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

### أولاً: دور التجسس في مواجهة الخطر الصليبي والمغولي والعثماني.

وقد ظهر ذلك عندما قام السلطان قطز بتوجيه نشاط جواسيسه في أغلب الأراضي الصليبية

والتي كانت تحت السيطرة الصليبية، وقد استمر ذلك حتى عام ١٢٥٧م، حيث كان الجواسيس

### ثانياً: دور جواسيس الصليبيين والمغول والعثمانيين في التعرف على

أحوال الأيوبيين والمماليك.

كانت معلومات الجواسيس الصليبيين والمغول والعثمانيين عن أحوال الأيوبيين والمماليك، والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

(١)

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

والتي كانت تدور في القصر على بعض جوانبهم، حيث لم تكن تسمى في بعض الأحيان التجسس، بل كانت تسمى في أغلب المواقف التي كانت تحدث

### الفصل الثالث

#### التجسس والأخطار الخارجية

أولاً: دور التجسس في مواجهة الخطر الصليبي والمغولي والعثماني

لعب العيون والجواسيس دوراً فعالاً في مواجهة الأخطار الخارجية<sup>(١)</sup>؛ وذلك عن طريق بثهم داخل مدن الأعداء ، وفي أطراف ممالكهم لمعرفة ما يتجدد من أخبارهم، مثل : استعداداتهم الحربية، واتصالاتهم السياسية<sup>(٢)</sup>، والتحذير من أية غارات متوقعة من قبلهم على البلاد ، بل إنها كانت في بعض الأحيان تؤدي إلى القبض على بعض جواسيسهم<sup>(٣)</sup>.

#### (١) العيون والجواسيس داخل أراضي الأعداء :

كان التعرف على أخبار الصليبيين والمغول والعثمانيين من أهم الأتوار التي قام بها جواسيس وعيون الأيوبيين والمماليك وإبلاغ السلاطين بها والتي كفلت لهم التعرف على ما يدور داخل أراضيهم من ضعف أو قوة والتي كانت تؤدي إلي تفوق المسلمين عليهم في أغلب المواجهات التي كانت تحدث بينهم.

وقد ظهر ذلك عندما قام السلطان قطز بتوجيه نشاط جواسيسه إلي داخل الأراضي الصليبية لكي يتمكن من مواجهة الخطر المغولي، وقد أمده بمعلومات وأقية عن الأحوال داخل الأراضي الصليبية؛ وهو أنه بعد هزيمة لويس التاسع ورحيله إلي فرنسا كان المجتمع الصليبي منقسماً إلي معسكرات متعادلة؛ فالبنادقة والبيزانة يواجهون الجنوية، والبروفنساليون يخاصمون القطلان، والداوية والتوتون ضد الاسبتارية، وبيت أبلين في أرسوف ويافا ضد بيت مونتفورت في صور، وعلي أساس هذه المعلومات التي أمده بها جواسيسه جعله يتمسك بالهدنة التي عقدها تورنشاه وشجر الدر مع الصليبيين في عام ٦٥٢هـ / ١٢٥٥م والتي كانت مدتها عشر سنوات وذلك حتى يتفرغ لحربه مع المغول<sup>(٤)</sup>

واستمر سلاطين المماليك في مواصلة التجسس على الصليبيين بعد طردهم من بلاد الشام في عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وذلك للوقوف على أحوال الصليبيين الداخلية وقوتهم العسكرية ، وهو ما حدث

(١) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٧؛ حسن فرحات: الدواوين في مصر في العصر الأيوبي، ص ٩٧؛ ستيفن رنسيان: تاريخ الحروب الصليبية ج ٢، ط ٢، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، مطبعة دار الثقافة ؛ ١٩٦٨م، ص ٦٧١.

(٢) شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ١٠.

(٣) Amitai: Mamluk Espionag, P. 176.

(٤) علي السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

في عام ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م عندما قدم الخبر من الأراضي الصليبية بتمزق وحدتهم وانشغالهم بالفكر والاضطرابات ونشوب الحرب بين الفرنج الجنوبية والبنادقة، واستطاع البنادقة أن ينتصروا على الجنوبية، وأخذوا منهم واحداً وثلاثين غريباً بعد قتل من بها (١).

كما أخبر الجواسيس السلطان جقمق بمعلومات مهمة من داخل الأراضي الصليبية في عام ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م تفيد أن دوكات ميلان - يعني صاحب ميلان - وهي طائفة من الفرنج كان ينوي الخروج بحملة لمحاربة المسلمين، ولكنه انشغل بحربه مع البنادقة ولم يتمكن من تجهيز حملته (٢).

كما حرص سلاطين المماليك على بث الجواسيس على الخطر المغولي القادم من الشرق في عام ٦٨٠هـ / ١٢٨١م للتعرف على أحوال المغول وحصل على معلومات هامة منها : أن منكوتش مات بجزيرة ابن عمر، ومات أبغا في همذان، وتولي بعده أخوه أحمد وهو مسلم، وأن التتر قد أطاعوه جميعهم، وأن مراسمه وصلت إلي بغداد بإظهار دين الإسلام، وأن اليهود والنصارى يؤدون الجزية وأمر ببناء المساجد والجوامع والمشاهد وتقوية يد الشرع كل ما كان زمان الخلفاء (٣).

وعلى الرغم من خفت حدة التوتر بين المماليك والمغول نسبياً بعد الهدنة المؤقتة بين المنصور قلاوون وأحمد تكدار ولكن نشاط الجواسيس ظل قائماً يؤدي مهامه في التجسس على العدو وجلب الأخبار عنهم وتوصيلها إلي السلاطين (٤)، وظهر ذلك في الرسالة التي بعثها أحمد تكدار ملك المغول في عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م إلي المنصور قلاوون يخبره فيها بأنه قبض علي بعض جواسيس المماليك متكرين في زى الفقراء والنسائك وأنه أفرج عنهم لتظل علاقة الصداقة بين البلدين موجودة - وكان رد السلطان المنصور قلاوون بأن المماليك قاموا أيضاً بالقبض علي العديد من جواسيس المغول وأنهم لم يريقوا دماءهم بل أطلقوا سراحهم (٥)، وقد قدم الخبر من الجواسيس الموجودين داخل الأراضي

(١) المقريري: السلوك، جـ ٢، ق ٣، ص ٨٦٢.

(٢) المقريري: السلوك، جـ ٤، ق ٣، ص ١١٧٩-١١٨٠.

(٣) الكتبي: عيون التواريخ، جـ ٢١، ص ٢٨١-٣٠٣-٣٠٤.

(٤) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٤.

(٥) الدوادار: زبدة الفكرة، جـ ٩، ص ٢٠٥-٢٠٨؛ الدوادار: مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م، ص ٧٧-٨١؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٩٠؛

Amitai: Mamluk Espionage, p.179.

المغولية يفيد بأن هناك خلاف قد وقع بين أمراء المغول عام ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م<sup>(١)</sup> أدى إلى قتل السلطان أحمد بن هولاكو وتولي مكانه أرغون بن أبغا بن هولاكو .<sup>(٢)</sup>

وعندما اعتلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون عرش السلطنة للمرة الثانية اهتم بالعيون والجواسيس لمعرفة أخبار المغول ويستدل علي ذلك من الرسالة التي أرسلها السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى غازان خان عاهل المغول والتي قال له فيها "... ولا يظن أنه ساعة واحدة عن أعيننا يغيب، وليعلم أنه لو تقلب في مضجعه من جانب إلى جانب، أو خرج من منزلة راجلاً كان أو راكباً، لكن عندنا علم ذلك - ونطلع من جميع أخباره علي ما نحب ونريد، ممن هو إليه أقرب من حبل الوريد، فإنه أقرب بطانته إليه هو العين لنا عليه، وأن كبر ذلك لديه..."<sup>(٣)</sup>

وعندما بدأ الخطر التيموري يطرق حدود البلاد بدأت الدولة المملوكية في الاهتمام بنشاط عيونها وجواسيسها داخل الأراضي المغولية، وذلك لمتابعة تحركات هذا الخطر، فتواترت الكثير من الأخبار إلى سلاطين المماليك في الأعوام الآتية في عام ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م ، ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م<sup>(٤)</sup> ، ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م<sup>(٥)</sup> .

ولما بدأت مطامع العثمانيين تتجه صوب دولة المماليك شعر المماليك بالخطر، وحاولوا التعرف على هذه القوة الجديدة التي بدأت تظهر على مسرح التاريخ السياسي من منطقة أسيا الصغرى، وأرسل سلاطين المماليك العيون والجواسيس إلى الأراضي العثمانية ، فقام السلطان قايتباي بإرسال أحد جواسيسه ويدعى " قاسم " إلى داخل أراضي الدولة العثمانية عام ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م وذلك للتعرف على أحوال العثمانيين الداخلية ، ولكنه فشل في مهمته<sup>(٦)</sup>، الأمر الذي دفع السلطان قايتباي إلى إرسال أحد جواسيسه مرة أخرى عام ٩٠١هـ / ١٤٩٧م للتعرف على نوايا العثمانيين وخططهم العسكرية تجاه الدولة المملوكية وعاد هذا الجاسوس وأخبر أنه كان ينوي ذلك لكنه عدل عن الغزو<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٦٣ ؛ فايد حماد: التنظيمات العسكرية، ص ٢١١ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٣٣.

(٢) ابن أبيك الدوادار: الدرر الزكية، ص ٢٦٣ ؛ المقرئزي: السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٢٢ ؛ العيني: عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٩٥ ؛ الكتبي: عيون التواريخ، ج ٢١، ص ٣٤١-٣٤٢ ؛ شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ١١٦-١١٧ ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٥ .

(٣) الدوادار: كنز الدرر، ج ٩، ص ٦٧ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٤٣ .

(٤) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٥٤٢-٥٦٤ .

(٥) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٨٩٢-٩٣٤ ؛ ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص ١٦٩-١٧٠ .

(٦) أميرة فهمي علي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ١٠٦ .

(٧) أميرة فهمي علي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ١٠٧ .

ومع تزايد شعور سلاطين المماليك بمحاولات العثمانيين لغزو الدولة المملوكية قاموا بتكثيف نشاط جواسيسهم داخل الأضي العثمانية للوقوف على أحوالهم واستعداداتهم؛ فأخبر الجواسيس السلطان الغوري أن سليم الأول يستعد في استيول لغزو الدولة المملوكية إلا أنه لم يستطع التصدي للعثمانيين، ويمنعهم من دخول البلاد<sup>(١)</sup>

ولم يقتصر أمر التجسس لسلاطين المماليك على معرفة أخبار أعدائهم؛ وإنما امتد إلى تنفيذ ضربات موجهة أشبه بتكسير العظام منها سلاح الشائعات بين صفوف الخصم من أجل إضعافه<sup>(٢)</sup>، وزرع الشك بين كبار رجال البلاط الصليبي والمغولي، واتهمهما بالتجسس لصالح المماليك، وهو ما حدث في عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م عندما خرج السلطان الظاهر بيبرس لحصار حصن الشقيف، وفي أثناء توجهه قبض على بعض جواسيس الصليبيين، ووجد معهم رسالة من أهل عكا إلى أهل الشقيف يخبرونهم بزحف بيبرس إليهم، ويأمرهم بتحسين البلد، ففطن بيبرس إلى مفاتيح دخول البلد، وعرف من أين يؤكل الكتف، وكتب رسالة أخرى إلى أهل الشقيف تتضمن تحذير الملك من الوزير، والوزير من الملك، فوقع الخلاف بين رجال البلدة، وانقسموا على أنفسهم، في الوقت الذي اشتد فيه حصار المماليك عليهم حتى تم تسليم الحصن<sup>(٣)</sup>.

ونجحت خطة الظاهر بيبرس في عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م في التخلص من أحد جواسيس المغول وهو "الزين الحافظي" الذي كان أحد الأعوان المقربين من هولاكو، وذلك عن طريق دس معلومات زائفة تهدف زرع بذور الشك في قلب هولاكو اتجاه "الحافظي"، ولما وقعت تلك المكاتبات الزائفة في يد هولاكو اتهم الحافظي بالخيانة والتجسس لصالح المماليك وأمر بإعدامه<sup>(٤)</sup>.

وحرص السلطان الظاهر بيبرس في عام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م على التخلص من الجائليق النصراني - رئيس طائفة النصاري والمشرف عليهم الذي أهان المسلمين ببغداد وأفسد أمورهم -

(١) ابن زنبيل: سيرة السلطان الغوري، مخطوط، ورقة ٢٣؛ آخره المماليك، ص ٩٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٥، ص ١١٦-١١٧؛ أسامة محمد: جان بردي الغزالي، ص ٧؛ عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٥٩.

(٢) Amitai: Mangols and Mamluks, P. P. 147 - 148.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٩٦ - ٢٧٠؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص ٢٩٦ - ٢٧٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٣٠٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٥١؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٨.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ١١٠؛ الكتبي: عيون التواريخ، ج ٢٠، ص ٢٣٧-٢٣٩؛ ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ص ١٢٦-١٢٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٤٤؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٤٠ - ١٥٠.

Amitai: Mangols and Mamluks, P. P. 148

وذلك بتدبير مؤامرة التجسس على المغول لصالح المماليك ، وذلك بالاتفاق مع أحد عيونه لدى المماليك وهو شمس الدين ببغداد ؛ فبعث إليه ببيرس أولاً برسائل واهية يشكره فيها على نقله لأخبار المغول السرية إليه، ثم أرسل تلك المعلومات بصحبة أحد القصاد الأرمنيين، وهناك جاء دور شمس السدين ببندر - قبل أن يقبض عليه من قبل المغول - الذي أمسك بالقاصد الأرمني، وأرسل إلى "أبغا" الذي لم يكد يطلع على تلك المعلومات حتى جن جنونه، وأمر بقتل الجاثليق بتهمة التجسس لصالح المماليك<sup>(١)</sup>.

ومثلما فعل الظاهر ببيرس فعل الناصر محمد بن قلاوون عندما استخدم جواسيس المغول في نقل أخبار استعدادات المماليك إلى خدائدها وذلك لكي يلقي الرعب في قلوب الأعداء، وكذلك لكي يتثي عزيمهم عن الخروج إلى بلاد المماليك، وهو ما حدث عام ١٣١٢/٧١٢م عندما وصلت الأخبار إلى السلطان الناصر محمد بأن التتار عازمين على دخول الشام، فقام السلطان الناصر بعمل عروض كبيرة لعسكره - وكانت هذه العروض على مرأى ومسمع الجميع ، وكانت أيضاً على مرأى ومسمع عيون وجواسيس المغول الذين قاموا بتوصيل أخبار هذه الاستعدادات إليه وأخبروه - بقوة جيش الإسلام مما أدى إلى رجوع خدائدها عما كان يفكر فيه<sup>(٢)</sup>.

#### (٢) دور العيون والجواسيس في الدفاع عن المناطق الإسلامية واسترداد بعض المدن والقلاع :

لعب العيون والجواسيس دوراً كبيراً في الدفاع عن المناطق الإسلامية التي يرغب للصليبيون والمغول والعثمانيون في السيطرة عليها؛ حيث وقع على عاتقهم نقل أخبار إغارتهم المستمرة على هذه المناطق إلى السلاطين، الذين كانوا على أهبة الاستعداد في حالة وصول هذه الأخبار إليهم لمواجهة هذه الأخطار وصددها، فعندما وردت الأخبار من الجواسيس إلى السلطان صلاح الدين عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م بأن ملك الألمان يقوم بإعداد قوات غفيرة لكي يغير بها علي الشرق من أجل نصرة الفرنج المحاصرين في عكا ، فقام السلطان صلاح الدين بالاستعداد لمواجهةهم والهجوم عليهم .<sup>(٣)</sup>

واستعان بهم الملك العادل عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م في رد الفرنجة من خلال الأخبار التي وردت إليه من الجواسيس بأن الفرنجة يتحركون نحو الشام للاستيلاء عليها ،وهو ما جعله يستعد لمواجهةهم<sup>(٤)</sup>، وتكررت المحاولة في عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م<sup>(٥)</sup>

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص ٤٢٢-٤٢٣ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٢٠٨ ؛ Amitai: Mangols and Mamluks, P. P. 148

(٢) اللوداداري، الدر الفاخر، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٣) العماد الأصفهانى: الفتح القسي، ص ٢٠٤ ؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢١٢-٢١٣-٢٢٣.

(٤) ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص ٦٣.

(٥) ابن أبيك النوادر: الدر المطلوب، ج ٧، ص ١٨٧ ؛ ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص ٦٨-٦٩.

وكذلك استعان بهم في رد الفرنجة كلا من الملك الكامل عام ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م<sup>(٣)</sup>، والظاهر بيبرس عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م<sup>(٢)</sup>، ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م<sup>(٣)</sup>.

وعندما كثف المغول من شن غاراتهم على حدود الدولة المملوكية من أجل السيطرة على العديد من المناطق الإسلامية، قام عيون وجواسيس المماليك بأخبار السلاطين بها مما كفل لهم التصدي لهم وإحباط معظم محاولاتهم، وهو ما حدث عندما أخبروا السلطان الظاهر بيبرس بقيام المغول بتجهيز جمع كبير للإغارة على دمشق للاستيلاء عليها عام ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م<sup>(٤)</sup>، وأخبروه أيضاً بعزمهم على الإغارة على قلعة البيرة للسيطرة عليها عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م، وعلى أساس هذه الأخبار تمكن السلطان من طردهم وردهم خائبين إلى بلادهم<sup>(٥)</sup>.

ثم كثف المغول من شن غاراتهم على حدود الدولة المملوكية من ناحية الشرق عام ٦٨٠هـ / ١٢٨١م فقام السلطان المنصور قلاوون ببث جواسيسه وعيونه لإبلاغه بهذه الأخبار وذلك لمنعهم من السيطرة على أي منطقة، وقد حدث ذلك عندما أخبروا أن منكوتر أخي أبغا بن هولاكو يتحرك نحو الشام للإغارة عليها؛ فاستعد السلطان لمواجهةهم<sup>(٦)</sup>.

وقد وصلت الأخبار من الجواسيس تفيد بأن التتار قاموا بالإغارة على قلعة الرحبة للاستيلاء عليها عام ٦٩١هـ / ١٢٩٢م وعلى أساس هذه الأخبار قام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بتجهيز جيش، وخرج لكي يرد هذا الخطر<sup>(٧)</sup>.

(١) إبراهيم خميس: جماعة فرسان الداوية، ص ٢٦٤.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، باكستان، ص ٩٦-٩٧؛

Amitai: Mamluk Espionage, p.p.176- 177.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٨٤؛ العيني: عقد الجمان، ج ٢، ص ٥٧.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٦٣؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص ٥٥-٥٦؛

Amitai: Mamluk and Mongols, p.p.144- 107.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، باكستان، ص ١٢٠-١٢١؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ٨٧؛

المقرئزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٢٣-٥٢٤؛ فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، ص ٨٨؛

على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٦؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص ٢٩؛ النويري: نهاية الأرب،

ج ٣٠، ص ٢٦٣؛ المقرئزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٢٤؛ العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٣٩٥-٣٩٦

Sauvaget: la post, P. 17; thoran: the lion of Egypt, p. 105.

(٦) بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص ١٣١؛ العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ١٢٠.

(٧) النويري: نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٤٣؛ المقرئزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٧٧٧؛ ابن الفرات: تاريخ بن

الفرات، ج ٨، ص ١٣٥

وكان للجواسيس دور كبير في إحباط محاولات العثمانيين الساعية للسيطرة على بعض المناطق الإسلامية وقد حدث في عام ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م عندما أخبر الجواسيس السلطان قايتباي بأخبار فقد بأن العسكر العثماني يتحرك نحو الدولة المملوكية والقصد من هذا التحرك محاربة المماليك والسيطرة على ممتلكاتهم وأنهم وصلوا إلي "أدنه"، وعلى أساس هذه الأخبار أرسل قايتباي ثلاثة أشخاص لكشف أخبار عسكر ابن عثمان علي عجل وأمرهم بإرسال الأخبار بمنتهي السرعة وبالتالي استطاع السلطان قايتباي بفضل هذه المعلومات من تحقيق النصر على العثمانيين ثلاث مرات متتالية<sup>(١)</sup>.

أما الحملات البحرية التي أرسلها الصليبيون للإغارة على المدن البحرية من أجل السيطرة عليها، فكان للجواسيس دور كبير في حمايتها بنقل أخبار هذه الإغارات إلى السلاطين، ففي عام ١١٧٤هـ / ١٥٧٠م وصلت الأخبار من الجواسيس إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي تخبره بقيام الأسطول الصقلي بالإغارة على مدينة الإسكندرية، وبالتالي سار صلاح الدين إلى الإسكندرية لمواجهة العدو والتصدي له<sup>(٢)</sup>.

وأبلغ الجواسيس السلطان بيبرس الجاشنكير عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م أن ملك قبرص هنري الثامن لوزجنان اتفق مع بعض ملوك الفرنجة على بناء ستين قطعة حربية للإغارة على دمياط والقيام بغزوها، وعلى أساس هذا قام السلطان باستدعاء الأمراء وشاورهم في هذا الأمر، فانفقوا على بناء جسر يمتد من القاهرة إلى دمياط خشية نزول الفرنجة وقت فيضان النيل حتى لا يعوق ذلك القوات المملوكية عن الوصول إلى دمياط للدفاع عنها<sup>(٣)</sup>.

وأخبر جواسيس السلطان الأشرف برسباي في عام ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م أن ملوك الفرنج ينسقون للقيام بحملة بحرية على الأراضي المملوكية وبالتالي استعد الأشرف برسباي لمواجهةهم<sup>(٤)</sup>، كما أخبروا السلطان جقمق بأن طائفة القطلان عمرو اثني عشر غراباً، لتسير في البحر نحو سواحل الشام وسواحل الروم فاستعد السلطان لمواجهةهم<sup>(٥)</sup>.

(١) أدنه: هي مدينة تقع على نهر سيحان بناها الرشيد تبعد عن المصيصة اثني عشر ميلاً. ابن شاهنشاه: تقويم البلدان، ص ٢٣٩؛ أميرة فهمي علي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ١١٧؛ عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعمانيين، ص ٢٨٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٦٦؛ عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين، ص ٣٨٧.

(٣) محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م، ص ٢٤٥.

(٤) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص ٦.

(٥) المقرئزي: السلوك، ج ٤، ق ٣، ص ١١١٢.

وكان السلاطين - في بعض الأحيان - يهتمون بالاهتمام بمثل هذه الأخبار ولا يضعونها في موضع الجدية مما يؤدي إلى تعرضهم لخسائر كبيرة وهو ما حدث في عام ١٣٦٥/٥٧٦٧م عندما أخبر الجواسيس بأن الملك بطرس لوزجنان ملك قبرص يجهز حملة بحرية يقصد بها الإغارة على الإسكندرية، وكان الجواسيس على علم بأخبار هذه الحملة ونجد أنهم أرسلوا تقاريرهم إلى المماليك ليحذروهم من ذلك ولكن نجد أن المماليك لم يحملوا الأمر على محمل الجد على الرغم من أن هذه التحذيرات كانت تأتي إليهم من داخل قبرص وهو ما أدى إلى دخول بطرس الإسكندرية والقلاع بنهبها<sup>(١)</sup>.

ولم يجد سلاطين الأيوبيين والمماليك حرجاً في أن يذهبوا إلى عقر دار أعدائهم، وذلك لاستطلاع وتجسس الأخبار بنفسهم ودراسة المسرح الجغرافي والطرق بتلك البلاد لتساعدتهم فيما بعد في حربهم معهم، وهو ما حدث في عام ١١٩١/٥٨٧م عندما أخبر الجواسيس السلطان صلاح الدين الأيوبي أن الصليبيين عازمون على الصعود إلى القدس لمحاصرتها واقتحامها<sup>(٢)</sup>، وهو ما دفع السلطان صلاح الدين إلى الخروج سراً من معسكره للتعرف على أحوال القدس والتعرف على أحوال مبانيها ورجالها وميرتها وعدتها<sup>(٣)</sup>.

ولما بلغ الملك المعظم عيسى صاحب دمشق أن الأنبرو عزم على الخروج من عكا للاستيلاء على دمشق<sup>(٤)</sup> قام بالتخفي والتكر في زي زيات ؛ وذلك ليتمكن من الدخول إلى عكا للاستطلاع عن كثب على تحركات الصليبيين واستعداداتهم والتجسس على أخبارهم، ورهن خاتمة عند صاحب حانوت ثم عاد إلى دمشق، وأرسل إلى صاحب عكا حنا دي برين - يخبره بذهابه إلى عكا وأمره أن يفك خاتمة، فقامت قيامته وكاد يموت غيظاً<sup>(٥)</sup>.

كما تمكن الظاهر بيبرس من التخفي والدخول إلى أراضي الأعداء في مناسبات مختلفة للوقوف على أحوالهم وذلك في عام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م<sup>(٦)</sup>، ٦٦٩هـ/١٢٧٠م<sup>(٧)</sup>.

(١) المقرئزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٤١٤؛ إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٥٦.

(٢) ابن شداد: سيرة صلاح الدين الأيوبي، ص٧.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٨٤.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٥.

(٥) علي محمد علي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٨٦م، ص٢٨٢.

(٦) حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٩٣.

(٧) شافع بن علي: للفضل المأثور، ص١٤٥؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٤١.

٦٧٣هـ/١٢٧٥م<sup>(١)</sup>، وكذلك عندما أراد فتح بلاد الروم<sup>(٢)</sup>.

كما اعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك على الجواسيس والعيون في استرداد المدن والقلاع والحصون التي سيطر عليها الصليبيون والمغول، واستطاع سلاطين الأيوبيين والمماليك - بفضل المعلومات التي أمدهم بها - من السيطرة على بعض الحصون وفتحها؛ وقد حدث ذلك عندما أراد أسد الدين شيركوه السيطرة على مصر في عام ١١٦٧هـ/١١٦٧م و أخبره جواسيسه و عيونه الموجودون في مصر، بكثرة عدد الفرنج، وأبلغوه بأعدادهم واستعداداتهم، فاتخذ أسد الدين شيركوه احتياطاته على الناس هذه الأخبار واستطاع الانتصار في النهاية واستولى على مصر<sup>(٣)</sup>.

وعندما أراد السلطان صلاح الدين السيطرة على ما بيد الصليبيين من القلاع والحصون الإسلامية، وخاصة منطقة الساحل الفلسطيني وجد الفرصة سانحة عندما أخبره جواسيسه أن مشروع التحالف البيزنطي الصليبي قد انهار، وعلى أساس هذه المعلومات قرر السلطان صلاح الدين أن يشن هجوماً على هذه المنطقة للاستيلاء عليها مستغلاً الظروف التي وقعت فيها<sup>(٤)</sup>، ولكن سرعان ما عاد الجواسيس وأخبروا السلطان أن الصليبيين قد علموا بهذا الأمر وأنهم قرروا الخروج لملاقاته فعزل صلاح الدين عن الخروج<sup>(٥)</sup>.

وقد لعب الجواسيس دوراً كبيراً في فتح قلعة سنجار وذلك في عام ١١٨١هـ/١١٨١م عندما نذب السلطان صلاح الدين ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين بن عمران لكي يحاصر سنجار ويقوم بفتحها - وفي أثناء الحصار جاء إليه من أخبره أن حراس المدينة ينامون ليلاً وبالتالي هجموا عليهم في ذلك الوقت وتمكنوا من فتحها<sup>(٦)</sup>. وتكرر ذلك في عام ١١٨٥هـ/١١٨٥م عندما أراد السلطان صلاح الدين فتح خلاط<sup>(٧)</sup>. وفعل مثل ذلك أثناء محاصرته لحصن الشقيف عام ١١٨٩هـ/١١٨٩م<sup>(٨)</sup>.

وقد ساعد العيون والجواسيس على تصفية معظم الوجود الصليبي في عهد كل من الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، بحيث لم يتبق من هذه المعاقل الحصينة سوى عكا وقلعة الروم واللذان تم

(١) Amitai: Mangols and Mamluks, P. P. 146 - 147.

(٢) Amitai: Mangols and Mamluks, P. 147.

(٣) الفيومي: نثر الجمان، مخطوط، ورقة ٨٠ - ٨١؛ حمدي عبد المنعم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م، ص ١٥؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية، ج ١، ص ٢١٥.

(٤) قاسم عبده قاسم، علي السيد علي: الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٩٩٥، ص ٤٣.

(٥) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ١٦٠.

(٦) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٠٨.

(٧) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٥٦؛ ابن شاهنشاه: مضمهر الحقائق، ص ٢٤٨.

(٨) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ١٦١؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ١٧٨ - ١٧٩.

فتحهما في عهد الأشرف خليل بن قلاوون؛ فحينما ولي الظاهر بيبرس وجهه شطر المعقل الصليبي في بلاد الشام لإسقاطها الواحد تلو الأخرى كان لا بد له من معرفة متجددات أخبارهم باستمرار، لذا اتخذ من بعض الأمراء في صيدا وبيروت جواسيساً له يمدونه بالمعلومات الوافية عنهم حتى يأمن طوارقهم على حدود الدولة المملوكية<sup>(١)</sup>.

وقام بذلك السلطان الظاهر بيبرس أثناء محاولته فتح حصن عكا عام ١٢٦٥هـ/١٢٦٦م، قام بوضع عيونه وجواسيسه عليه من أجل معرفة مناطق الضعف به وإخباره بها الأمر الذي مكّنه من الانتصار عليهم<sup>(٢)</sup> واستعان بهم - أيضاً - في عام ١٢٧٣هـ/١٢٧٤م لفتح بلاد "سيس"<sup>(٣)</sup>.

وعندما كثر تعدي صاحب حصن القصير - أقوى حصون أنطاكية - علي الهندنة والعهود الموقعة بينه وبين الظاهر بيبرس في عام ١٢٧٣هـ/١٢٧٤م، أصدر بيبرس أوامره بالقبض عليه تمهيداً لفتح ذلك الحصن، وندب لتلك المهمة الأمير سيف الدين بلبان الدوادار المشرف علي القصاد، فخرج متكرراً في صورة شخص متوجه إلي صاحب القصير لإخباره بقدوم الظاهر بيبرس لزيارته، ففرح لذلك، وقام بتجهيز ما يليق بالسلطان وخرج للقاءه، فلما اقترب منه قام بتقبيل الأرض بين يدي بيبرس، فجثم فوقه بلبان الدوادار، وأركبه علي أحد الخيول وتوجه به إلي دمشق حيث حبس بقلعتها<sup>(٤)</sup>.

ولم يقتصر دورهم على جمع المعلومات للسلطين فقط من أجل فتح القلاع والحصون؛ ولكن نجدهم أيضاً اشتركوا بأنفسهم في فتح بعض الحصون المنيعة، ولعبوا دوراً رئيسياً، فعندما أراد السلطان صلاح الدين فتح قلعة بيروت قام بإرسال جواسيسه والذين تمكنوا من دخول الحصن وقاموا بنشر الأراجيف داخله مما أدى إلي حدوث فوضى وتراخي من الأعداء في الدفاع عنه وسقوطه بسهولة ويسر في يد السلطان صلاح الدين، وهو ما قاله ابن الأثير<sup>(٥)</sup>: "... ففي عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م توجه السلطان صلاح الدين إلي بيروت لكي يفتحها ولكن وجد الفرنج يدافعون عنها بشجاعة ولكن بينما هم على الصور يقاتلون ويدافعون أتاهم من أخبرهم أن البلاد قد دخلها المسلمون من الناحية الأخرى قهراً وغلبة، فأرسلوا ينظرون ما الخبر، فوجدوا الخبر ليس له أساس من الصحة، فأرادوا

(١) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحريين من بني العرب، تحقيق لويس شيخور، بيروت، (د.ن.)، ١٨٩٨م، ص ٩٥-٩٨.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص ٥٥٨ - ٥٥٩؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٨.

(٣) ابن واصل: تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلطين، مج ١، ج٢، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣١٩، ورقة ٤٣٨.

(٤) شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ١٥٦-١٥٧.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ١٥٥.

يمكن من بالحصن فلم يمكنهم ذلك فطلبوا الأمان من السلطان صلاح الدين وتم تسليم البلد لصلاح الدين".

(٢) دور العيون والجواسيس في إحباط محاولات جواسيس الأعداء والكشف عن الخونة والعلاء :

كان للعيون والجواسيس دور في رصد تحركات جواسيس الأعداء الذين وفدوا إلى الأراضي الإسلامية للتعرف على أحوال الدولتين الأيوبية والملوكية، وتم القبض عليهم من داخل معسكرات الجيش أو من علي الحدود في بعض الأحيان، مثلما حدث في عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م حين تمكنت العيون والجواسيس من القبض علي أحد الجواسيس الصليبيين؛ إذ كان يتجسس علي الجيش الأيوبي لصالح الصليبيين . (١).

وفي عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م أحبطت عيون المماليك تحركات جواسيس الفرنج الذين تسللوا إلى صفوف جيش الظاهر بيبرس ومنعت وصول أخبار المعسكر المملوكي واستعداداته إلي الصليبيين وساعدت علي حمايتها (٢).

وشارك الجواسيس في الكشف عن الكثير من جواسيس بطرس لوزجنان في مدينة الإسكندرية والذين كانوا يقومون بجمع معلومات لبطرس عن مدينة الإسكندرية من أجل الهجوم عليها، فقد تم العثور على مجموعة من جواسيس الملك بطرس داخل الإسكندرية وتم القبض عليهم؛ مثال ذلك أنه ضبط شخصاً في داخل خندق سوق الإسكندرية يقيسه ولكنه لم يقر بشيء (٣)، كذلك شوهد شخص آخر علي أعلي سور في الإسكندرية من جهة دار الصناعة يقيس ارتفاع السور بحبل فلما قبض عليه أشهر إسلامه فأخلي سبيله، ولكنه كان ينبغي التحفظ عليه لمنع تسرب هذه المعلومات إلي الأعداء، والسدليل علي ذلك بأن القبارصة نزلوا الإسكندرية من نفس المكان الذي تلى فيه الحبل، وعندما طلب هذا الأسلمي (أي الذي أسلم) فلم يعثروا عليه لأنه كان قد هرب متكرراً بعد خلاصه (٤).

ومثلما كان السلطان الظاهر بيبرس يقظاً ومنتبهاً لجواسيس الصليبيين ، كان متيقظاً ومنتبهاً — أيضاً — لجواسيس المغول عن طريق تنشيط عيونه وجواسيسه، وهو ما حدث في عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م عندما أرسل هولاكو جماعة من جواسيسه إلي الملك المنصور صاحب حماه لاستمالته إلي جانبهم ضد

(١) ابن وصيف شاه: جواهر البحور، ص ٩٥.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٣٣٢-٣٣٣؛ سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص ٥.

(٣) إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٣٩٨.

(٤) إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٣٩٨-٣٩٩.

الظاهر ببيرس الذي وصلت إليه خيوط تلك المؤامرة عن طريق عيونه فأمر بالقبض عليهم في الحال وحرّمهم من تنفيذ مهمتهم<sup>(١)</sup>.

وقد تم القبض على رجل أعجمي بالبيرة عام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م ، واتضح أنه جاسوس للمغول جاء لكي يتعرف أخبار واستعدادات المماليك<sup>(٢)</sup>.

واستطاع جواسيس المماليك عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م الكشف عن خمسة جواسيس للعثمانيين كانوا قد أرسلوا إلى الدولة المملوكية وخاصة الشام ليتعرفوا أحوال المماليك ولكن تم القبض عليهم وكان من بين هؤلاء رجل يدعى " أحمد بن الديوان "<sup>(٣)</sup>.

وكشفت جواسيس المماليك مجموعة من الجواسيس العثمانيين داخل مصر كانوا قد قدموا إلى مصر بعد واقعة غزة بأيام قلائل من طرف سليم إلى طومان باي، وكان الوفد مكونا من خمسة عشر رجلاً بصحبته مصري يدعى ( عبد البر بن محاسن وثلاثة من الأعراب ) دلوهم على طريق الدرب السلطاني غير المطروق مقابل رشوة فوصلوا للقاهرة فعلم بهم السلطان، فأمر طومان باي بقتل الأعراب الثلاثة وسجن ابن محاسن وبجانب الرسالة التي يحملها الوفد لطومان باي<sup>(٤)</sup>، كانت لهم مهام أخرى أهمها:

- الاتصال ببعض الأروام في خان الخليلي للحصول من خلالها على معلومات عن حالة مصر واستعدادها وقد تم القبض على هؤلاء الجواسيس وسجنوا.
  - تسليم أموال لبعض أمراء المماليك والمباشرين وأعيان الديار المصرية لاستمالتهم.
  - توصيل رسائل من خاير بك لبعض الأمراء المقيمين لإغرائهم بالدخول في طاعة سليم وقد حضر بصحبة هذا الوفد حوالي أربعين عثمانياً اختفوا داخل القاهرة للتجسس<sup>(٥)</sup>.
- وقد ساهمت العيون والجواسيس في إنقاذ بعض السلاطين من الوقوع في براثن المكر والخديعة التي قد يتعرضون لها من قبل بعض الملوك الأجانب وإحباطها ، فقد حاول هولاكو توجيه

(١) ببيرس الدوادار: زبده الفكرة، ج٩، ص ٩٢ ؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ٥٠.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص ٢٧٣ ؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ١١٧ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٤-١٣٥ ؛ جيهان فاروق: القلاع والحصون، ص ١٠٢ ؛

Amita: Mongols and Mamluks, p.155.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص ٢٦٥ ؛ عادل عبد الحافظ حمزة: دور خاير بك المملوكي في موقعة مرج دابق، ص ٢٤٣-٢٤٤ ؛ أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ١٠٧.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ٨٣ ؛ السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص ١٥٦ ؛

ععاد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٨٢.

(٥) السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص ١٥٦.

جواسيسه إلى أراضي الدولة المملوكية وخاصة إلى الظاهر بيبرس في عام ١٢٦٢/هـ ١٢٦١م للقيام باغتياله عندما حاول ثلاثة أشخاص القيام باغتيال الظاهر بيبرس، ولكن تمكن الجواسيس للكشف عن هذه الخدعة، ونجحوا في استمالتهم وإقناع هؤلاء الثلاثة بالعمالة المزدوجة واستخدمهم في نفس الغرض الذي أتوا من أجله وهو اغتيال ثلاثة من أمراء المغول فنجحوا في مهمتهم، ولكنهم قتلوا<sup>(١)</sup>.

واستطاع العيون والجواسيس عام ١٢٦٢/هـ ١٢٦٢م إحباط محاولة كان يريد هولاءكو من زرائها زرع بذور الشك في بعض أمراء الظاهر بيبرس ولكن يقظة جواسيس الظاهر بيبرس الذين أخبروه بأن "هولاءكو" يجهز جاسوسين من قبله للتغريب بالأتابك فارس الدين أقطاي، وتروير كتب علي لسانه، ولكن الجواسيس أخبروه بكذب ذلك، وأخذ هذه الأخبار، ونظر إليها بعين الاعتبار، وبدأ في تعقب الجاسوسين وكانت الأخبار ترد عنها بكثرة وعشياً وعرف خط سيرهما بدأ من بلاد سويس ومروراً بعكا ووصولاً إلى ثغر دمياط وتم القبض عليهم وفشلت محاولة هولاءكو<sup>(٢)</sup>.

وتمكنت عيون الظاهر بيبرس من كشف مؤامرة يومئذ السادس صاحب أنطاكية وطرابلس سابقاً للتخلص منه عن طريق أحد أعوانه عام ١٢٦٩/هـ ١٢٧١م<sup>(٣)</sup>.

وشارك الجواسيس في الكشف عن المكائد التي دبرها السلطان سليم العثماني لإحداث الفرقة بين صفوف المماليك، فأتى برجل من عنده له القدرة على تقليد الخطوط على جميع اللغات وكتب على لسان جميع أمراء المماليك رسائل يعربون فيها عن ميلهم للسلطان سليم وتحريضهم له على المجيء إلى مصر. ثم أحضر رجلاً من رجال خيريك أمره بالذهاب إلى معسكر المصريين وإلقاء هذه الرسائل بالقرب من خيمة طومان باي، والانتظار لرؤية ما يحدث ثم العودة بالخبر ووصلت الرسائل ليد طومان باي وعرض الأمر على الأمراء الذين أكدوا أن هذه الرسائل لم تصدر عنهم وبالتالي فشلت هذه المحاولة<sup>(٤)</sup>.

كما اهتم سلاطين الأيوبيين والمماليك بالكشف عن الخونة والعلاء الذين قام الصليبيون والمغول والعثمانيون بتجنيدهم داخل الأراضي الأيوبية والمملوكية، ووجهوا نشاط جواسيسهم للكشف عنهم وحماية البلاد من خطرهم، وقد حدث في عام ١٢٥٩/هـ ١٢٦٠م عندما أخبر جواسيس السلطان الظاهر بيبرس بأن جماعة من العربان من قبيلة "زبيد" تقوم بالتجسس لصالح الصليبيين في الباطن

(١) Amita: Mongols and Mamluks, p.148.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص ٩٩؛ الدوادار: زبد الفكرة، ج ٩، ص ١٠٥؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ٧٥-٧٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٩٨؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥١١؛ العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٣٢-٣٣٣؛ سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص ٥.

(٣) فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ص ٢٥٦.

(٤) السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص ١٦٢.

بإرشادهم إلى مواطن الضعف في الدولة المملوكية، فأرسل إليهم السلطان جزءاً من الجيش المملوكي لتأديبهم<sup>(١)</sup>.

وقد وصلت الأخبار إلى نائب السلطنة بحمص عن قيام صاحب طرابلس بالتحالف مع بعض الملوك الصليبيين للإغارة على حمص عام ١٢٦٤هـ/١٢٦٥م، فوضع بعض "العيون" عليه لموافاته بالأخبار باستمرار، وجعل الجيش المملوكي على أهبة الاستعداد، فألحق بهم خسائر فادحة<sup>(٢)</sup>.

وعندما اعتلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون عرش السلطنة للمرة الثالثة بدأ يهتم بالعيون والجواسيس وذلك من أجل الكشف عن الخونة والعملاء؛ ففي عام ٧١٥هـ/١٣١٦م أخبر الجواسيس السلطان الناصر محمد بأن المسلمين "بملطية" اختلطوا بالصليبيين وقاموا بنقل أخبار المماليك إليهم فقام في الحال وجهز جيش لكي يفتحها<sup>(٣)</sup>.

وكما قام الجواسيس بالكشف عن الخونة والعملاء الذين يعملون لحساب الصليبيين استطاعوا الكشف عن بعض الخونة والعملاء الذين يعملون لحساب المغول في مصر، وقد حدث ذلك في عام ١٢٦١هـ/١٢٦٢م عندما أخبر الجواسيس السلطان الظاهر بيبرس بأن هناك بعض الخونة ينقلون أخبار وتحركات المماليك للمغول، وكان على رأسهم الملك المغيـث صاحب الكرك، وقد عُثر على مجموعة من الكتب المتبادلة بينه وبين المغول، وكانت هذه الكتب أجوبة كتب من الملك المغيـث مضمونها "شكر ملك التتار، واعتداده باعتزازه... " ويعده بوعود حسنة<sup>(٤)</sup>.

وكان الخونة والعملاء الذين يعاونون الأعداء يتمكنون — أحياناً — من الهرب؛ فعندما خرج تيمورلنك من الشام خرج عملاؤه معه، ومن هؤلاء "عبد الملك بن التكريتي" الذي كافأه تيمورلنك وولاه نيابة سيرام، وشخص آخر يدعى "يلبغا المجنون" وكان مقرباً عند تيمورلنك، وسبب ذلك أنه بذل في مناصحته جهداً، وأخبره بأن هناك فداوى كان يريد قتل تيمور فحذره من ذلك، وبالتالي خلص تيمورلنك من المهالك والمهاوي، وحصل له بذلك قربة، وزيادة ملازمة وصحبة فولى ذلك الجاس، نيابة مدينة تدعى "ينكي تلاس"، وراء نهر خجند، والتي تبعد نحو خمسة عشر يوماً من سمرقند<sup>(٥)</sup>.

(١) الدوادار: مختار الأخبار، ص ٢٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٤٨؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٧.

(٢) شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٣) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مج ٢، ج ٧، ص ٨٨ - ٨٩؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٦٠.

(٤) فائق عبد الحليم: تاريخ العقوبات في مصر في عصر سلاطين المماليك، ص ٨٧.

(٥) ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص ٢٩٣.

ولعبت العيون والجواسيس دوراً كبيراً في الكشف عن الخونة والعملاء الذين قام العثمانيون بتجنيدهم من أجل التعرف على أحوال الدولة المملوكية ، وقد حدث ذلك عندما أخبر الجواسيس الأمير قانصوه نائب دوركي عام ٩٠١هـ / ١٤٩٧م بأن قاضي المدينة سيف الدين يوسف الحنفي يكتب بن عثمان ويطلعه على أخبار المماليك وعلى أساس هذه الأخبار تم شنق قاضي المدينة نظراً لخيائته<sup>(١)</sup>.

وقد استطاع السلطان سليم الأول العثماني الحصول على مجموعة من الأعوان والخونة داخل صفوف الدولة المملوكية، وكشف جواسيس المماليك عنهم ، وأخبروا السلطان الغوري بأمرهم وكان من بين هؤلاء الأمير خاير بك الذي أخبروا السلطان الغوري عن خيائته وقالوا له "والذي يعلم به مولانا السلطان أن خاير بك ملاحي علينا" ، وبمواجهة خاير بك بذلك لم يستطع أن يدافع عن نفسه، إلا أن موقف السلطان الغوري كان سلبياً ولم يفعل شيئاً سوى أنه حلف الأمراء قاتلاً لهم : "احلفوا أنكم رجل واحد"<sup>(٢)</sup>.

أما الأمير يونس باشا — والي قلعة عينتاب — فقد أخبر الجواسيس السلطان الغوري بخيائته ، وأنه قام بتسليم مفاتيح القلعة للسلطان سليم<sup>(٣)</sup> ، واتفق معه على أن يكون جاسوساً له عند السلطان الغوري يطلعه على أخبار المماليك وبالتالي قام السلطان بقتله والقضاء عليه<sup>(٤)</sup>.

كما كشف العيون والجواسيس عن عدد من الخونة والعملاء الذين يعملون لحساب العثمانيين في مصر، وكان منهم إبراهيم السمرقندي — أحد أخصاء السلطان الغوري — وكان قريباً منه ، ولكنه راسل السلطان سليم، وحسن له دخول مصر، إلا أن السلطان عندما علم بهذا الأمر أمر بقتله<sup>(٥)</sup>، ومنهم أيضاً يونس العادلي الذي كان يكتب السلطان سليم في الباطن ويطلعه على أخبار المماليك وأحوالهم، وبالتالي تخلص السلطان منه<sup>(٦)</sup>.

(١) أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ١٠٧.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٢؛ ابن زنبيل: سيرة السلطان قانصوه الغوري مع السلطان سليم، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٤٤ تاريخ، ميكروفيلم ١٠٧٠٠، ج ١، ورقة ٢٥؛ محمد مصطفى زيادة: السلاطين المماليك، المجلة التاريخية، ع ٤، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٢١٧؛ عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٨٩ - ٢٩٠، أسامة محمد: جان بردي الغزالي والدولة العثمانية، ص ٤.

(٣) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مج ١، ترجمة عدنان محمود سلمان، استنبول، مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٨٨م، ص ٢٢١.

(٤) عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٩١.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٩٥ - ٩٦.

(٦) طه عبد العزيز محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٦م، ص ٢٨٠.

وأخبر الجواسيس السلطان الغوري عام ٩٢١هـ/١٥١٥م أن العجمي الشنقي الذي كان مقرباً من السلطان وكان قد أرسله السلطان في مهمة سرية إلى الشاه إسماعيل الصفوي ، قد خان وأطلع السلطان سليم على مهمته السرية وأعلمه بمراسلات الغوري والشاه إسماعيل الصفوي لبعضهم البعض وبالتالي قام السلطان بالتخلص منه<sup>(١)</sup>.

و كشف الجواسيس عن خيانة الأمير جان بردي الغزالي ، وأبلغوا السلطان بذلك ، ولكن عندما همَّ السلطان بقتله منعه الأمراء؛ وذلك لأن العثمانيين كانوا قد وصلوا إلى الريدانية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) طه عبد العزيز محمد : العلاقات المملوكية العثمانية ، ص ٢٨٠.

(٢) ابن زنبيل : آخرة المماليك ، ص ٣٠؛ عماد محمد : العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٩٥.

ثانياً : دور عيون وجواسيس الأعداء في التعرف على أحوال الأيوبيين والمماليك :

اعتمد الصليبيون والمغول والعثمانيون على العيون والجواسيس في حربهم مع الأيوبيين والمماليك والذين استطاعوا عن طريقهم تحقيق بعض الانتصارات عليهم، واحتلال بعض المناطق منهم، وكان نشاطهم لا يظهر ولا يحقق المكاسب إلا في الفترات التي يضعف فيها نشاط عيون وجواسيس الأيوبيين والمماليك والذي كان يرتبط بضعف الدولتين أيضاً، وقد ظهر ذلك بعد وفاة الملك العادل؛ حيث إن جواسيس الفرنج الموجودين داخل المعسكر الأيوبي أخبروا الفرنج بالحالة المتردية التي عليها المعسكر الأيوبي وتأمر الأمراء الأيوبيون على الملك الكامل لخلعه وتولية الفائز بن العادل مكانه، وهو ما أدى إلى هروب الملك الكامل من المعسكر خوفاً من المؤامرة ، وأتاح الفرصة أمام الفرنجة لدخول دمياط وامتلاكها دون عناء<sup>(١)</sup>.

وقد تمكن الجواسيس من تبليغ المعسكر الصليبي بأن الأيوبيين يستعدون للهجوم عليهم ، وذلك في عام ٦٤٧هـ/١٢٥٠م ، ولهذا استعد الصليبيون لهم ، وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بالمعسكر الإسلامي، واستطاعوا أن يستميلوا أحد الخونة المصريين ؛فدلهم على مخاضة في بحر أشمون لكي يعبروا منها<sup>(٢)</sup>.

وكان لطرد الصليبيين من آخر معقل لهم في بلاد الشام رد فعل عنيف في الغرب الأوربي، فنادى المتحمسون للحروب الصليبية - وعلى رأسهم الباباوية - بأن دولة للمماليك هي السبب، وأنه لا سبيل لاستعادة بلاد الشام إلا بإضعاف دولة المماليك أولاً، والتعرف على كل أخبارها في فترة ساد فيها الضعف في الدولة وذلك بسبب نزاع الأمراء والسلاطين مع بعضهم البعض وكذلك صغر سن السلاطين الذين يتولون عرش السلطنة ،فقام هؤلاء الصليبيون بتوجيه جواسيسهم إلى أراضي الدولة المملوكية لجمع المعلومات والأخبار عنهم، وهو ما حدث في عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م عندما تخفى الملك بطرس لوزجنان ملك قبرص في زي تاجر وأتى إلى الإسكندرية ، وأخذ يطلع على أحوالها وأحوال الناس بها، وحصونها وكل شيء تمهيداً للاستيلاء عليها<sup>(٣)</sup>.

كما قام هذا الملك بإرسال بعض الجواسيس إلى الإسكندرية لكي يحيطوه علماً بأحوالها ونقاط الضعف والقوة فيها ولتحديد الوقت المناسب للقيام بحملتهم - وهو وقت فيضان النيل - وأخبروه بأن

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج-١٠ ، ص ٣٨١.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج-١، ق٢، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩؛ إبراهيم عبد المتعم : جوانب من تاريخ الأيوبيين

والمماليك، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (د.ت)، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج-٣، ق١، ص ٤٢٥.

الشجعان لم يكونوا موجودين في المدينة وأن واليها - صلاح الدين بن عرام - غائب عنها؛ ونائبه - "جنغرا أوجنغرا" - ضعيف لا يصلح لمثل هذه المواقف الحاسمة للدفاع عن المدينة<sup>(١)</sup>.

وعندما بدأ الخطر المغولي يتجه إلى الشرق اعتمدوا على العيون والجواسيس بشكل كبير. فإذا أرادوا مهاجمة بلد ما كانوا يطلقون جواسيسهم في هذه البلد، يجمعون الأخبار من هنا وهناك ويستقصون حالة الجيش، ويختبرون حصون المدن، ويحاولون استمالة بعض الأعوان والخونة، ثم يعودون بهذه المعلومات إلى بلادهم، ويطلعون قادة الجيش عليها؛ ففي عام ٦٥٣هـ/١٢٥٦م وصلت جواسيس هولاكو إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ببغداد، وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد بعودة وعود للوقوف إلى جانبهم، وجعلوهم أعواناً لهم ينقلون لهم الأخبار وتحركات الجيش العباسي، وبالتالي كان الجواسيس سبباً من الأسباب التي ساعدت المغول على دخول بغداد<sup>(٢)</sup>، وعندما عزموا على التوجه إلى مصر للاستيلاء عليها قاموا بتوجيه جواسيسهم إلى مصر فاستطاعوا أن يجمعوا الكثير من المعلومات عن أحوالها، واستمالوا مجموعة من الخونة والعملاء كان على رأسهم الملك السعيد حسن بن عبد العزيز صاحب "الصبيبية وبانياس" الذي تخفى ولبس "سرجوق التتار" أي لبس ثوبهم وأخبرهم بأخبار المماليك واستعداداتهم<sup>(٣)</sup>.

وبعد دخول المغول إلى أراضي الدولة المملوكية استطاعوا أن يحققوا العديد من الانتصارات عليهم بفضل نشاط عيونهم وجواسيسهم الذين كانوا يخبرونهم بالتجهيزات التي يقوم بها سلاطين المماليك لمواجهتهم، والتي ساعدت المغول إما في غزو بعض المناطق أو تحقيق الانتصارات على جيوش المماليك، أو الهروب من هزائم محققة كانوا سيتعرضون لها لولا هذه التحذيرات، وقد حدث ذلك في عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م عندما أخبر جواسيس هولاكو أن الملك الصالح - صاحب الموصل - قد تحالف مع الظاهر بيبرس ضد هولاكو فقام الأخير بتجهيز جيش وأراد أن يحاصر الموصل ولم يدخلها حتى يسبقهم إليها الصالح، فعلم بيبرس بذلك وقام بإرسال نجدة من الجنود إلى الموصل، ولكن أخبار هذه النجدة وصلت إلى المغول قبل وصولها بواسطة جواسيس هولاكو الموجودين في الشام وفي مصر، فكمنوا لهم في الطريق بعيداً عن الموصل، وحينما قدمت النجدة المصرية انقض على المغول فجأة فأبادوهم عن آخرهم، ثم لبسوا ملابسهم وتزيوا بزيهم ورفعوا أعلامهم، وقرروا استعمال الخديعة

(١) المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٤١٨؛ إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٥٦؛ إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٤٠٠.

(٢) علي السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص٢٢٣ - ٢٢٤؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٢٤.

Amitai: the mongol Empire and its Legacy, Cambridge, 1992, p. 92; Mamluks and Mongols, p. 139; Mamluk Espionage, p.173.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٥٣.

الحيلة لأهالي الموصل لكي يخرجوا إليهم على اعتبار أنهم جنود مصريون، وبالفعل تحققت هذه الحيلة على أهالي الموصل، واعتقدوا أنهم مصريون عندما شاهدوهم من أعلى السوار فخرج البعض لاستقبالهم<sup>(١)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على ما سبق بل نجد ملوك المغول يستعينون بالجواسيس لمعرفة خبر تجهيز السلطان بيبرس جيش لمواجهة عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، واستطاع المغول بمعونة عيونهم أن يفضوا عليه، وعاد المغول إلى بلادهم<sup>(٢)</sup>، وتمكن المغول من معرفة تفرق صفوف المماليك، واختلاف كلمتهم، واندلاع الفتنة بين صفوفهم من خلال جواسيسهم الذين أخبروهم بقتال المماليك بعضهم بعضاً، وانشقاق سنقر الأشقر عن الملك المنصور قلاوون، فقاموا بمراسلته فلجأ إليهم، وقام بكشف أسرار سلطنة المماليك الداخلية أمام هؤلاء الأعداء، ثم تحريضه لهم على القدوم إلى بلاد الشام وامتلاكها وهو ما جعل أبغا يعتبرها فرصة سانحة فسارع بتعبئة جيش كبير لقتال المسلمين مستغلاً في ذلك نشاط جواسيسه الذين ينقلون له كل الأخبار بالتفاصيل ونزاع المماليك مع بعضهم البعض وانشغالهم بأطماعهم<sup>(٣)</sup>.

كما كان للعيون والجواسيس دور كبير في الانتصار الذي حققه للمغول على المماليك عند " وادي الخزاندار " عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، فقد قاموا بعملية تسمية لتحركات غازان بقواته، واستغلوا فرصة عدم معرفة المماليك بهذه التحركات وأخذوا يبثون الأخبار الكاذبة عن هروبهم ورحيلهم إلى بلادهم، وغيرها من تلك الحيل التي دخلت على الجيش المملوكي فمني بهزيمة منكرة<sup>(٤)</sup>، وبعد انهزام المماليك عند وادي الخزاندار نجد أن قازان أرسل جواسيسه لكي يكشفوا له خير السلطان الناصر محمد هل هو أقام بدمشق أم راح إلى مصر؟ فخرج الجاسوس وغاب يوماً وليلة، ثم جاء وأخبر أن دمشق خالية ليس فيها لا سلطان ولا عسكر، ولما سمع قازان بذلك أمر بالمسير إلى الشام<sup>(٥)</sup>.

وقد أخبر جواسيس قازان خان — ملك المغول الموجودين في الشام — أن فقجق التحق بخدمة السلطان بمن معه من الأمراء، وسلم إليه دمشق، وخطب للسلطان صاحب مصر، وأبطل اسمه،

(١) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٣٢١؛ نعمان الطيب: جهود المماليك ، ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) شافع بن علي : حسن المناقب السرية، ص ١٥٠.

(٣) نعمان الطيب : جهود المماليك، ص ٨٣ - ٨٤؛ لبنيه إبراهيم: الفتن والقلقل في دولة المماليك، ص ٢٢٠.

(٤) الدودار : كنز الدرر ج ٩، ص ١٦؛ ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ص ٤٧٠؛ سعد أحمد : البريد المملوكي ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٥) العيني: عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٧.

وذلك في عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م؛ فعزَّ عليه ذلك، وقام بتجميع جيش للعبور به إلى بلاد الشام للإغارة عليها<sup>(١)</sup>.

وقد قام جواسيس المغول القابعين داخل المعسكر المملوكي بجهود مضنية في نقل الأخبار المتعلقة بحالة الجيوش، وقادتهم وسلاطينهم، وقد استغلوا حالة التفرقة التي كانت عليها العساكر المملوكية عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤م حيث تفرقت في البلاد؛ ليربعوا خيولهم، وكان السلطان في الصدد ولا يكثر بجموعكم هذه وعلى أساس هذه الأخبار عزم خدابنده على غزو الرحبة<sup>(٢)</sup>.

ولم يقف دور الجواسيس على إمداد المغول بالمعلومات والأخبار عن الجيوش الإسلامية في عهد هولاكو وغازان فحسب، بل امتد هذا الأمر في عهد تيمورلنك الذي اعتمد عليهم اعتماداً كبيراً فكان لا يتحرك إلى أى مكان إلا وهو على بصيرة بدقائقها، وخبير بتفاصيلها، وبلغ من دهائه أنه كان إذا أراد قصد جهة جمع أكابر الدولة وتشاور إلى أن يجتمع الرأي على التوجه في مكان محدد في وقت محدد، فكان يكتأب جواسيس تلك الجهات فتأخذ الجهة المعنية حذرهما، ويأمن غيرها، فإذا اضرب النفير وأصبحوا سائرين ذات الشمال عرج بهم ذات اليمين، فإلى أن يصل الخبر الثاني داهم هو الجهة التي يريد وأهلها غافلون<sup>(٣)</sup>، ولقد بدأ اهتمام تيمورلنك بجواسيسه يؤتي ثماره في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م عندما أخبروه أن برقوق توفى وعلم أيضاً أن البلاد في حالة اضطراب بسبب انشقاق الأمراء وطمعهم في السلطنة نظراً لصغر سن فرج بن برقوق فعزم تيمورلنك على المسير بسرعة نحو دولة المماليك<sup>(٤)</sup>.

وعندما عبر تيمورلنك إلى أراضي الدولة المملوكية أرسل من يتجسس له الأخبار ويتعرف على أحوال البلد " فجعلوا يتجسسون الأخبار ويتتبعون الآثار " <sup>(٥)</sup>، وعلى أساس الأخبار التي وصلت إليه من جواسيس بضعف السلطان الناصر فرج بن برقوق وانشقاق الأمراء عزم على أخذ دمشق<sup>(٦)</sup>.

واعتمد — أيضاً — على جواسيسه الموجودين داخل الأراضي المملوكية في إثارة الفتنة بين الأمراء وذلك تمهيداً للاستيلاء على الشام، وذلك عام ٨٠٣هـ/١٤٠١م عندما أرسل أحد رجاله إلى دمرداش نائب حلب يعده باستمرار في نيابة حلب ويأمره بالقبض على الأمير سودون نائب الشام،

(١) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ١٢٢ - ١٢٣؛ الدودار: كنز الدرر، ج٩، ص ٤٥ - ٤٧؛ مجهول: تاريخ

سلاطين المماليك، ص ٨٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٣١.

(٢) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص ٢٣٥.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج٤، ج٧، ص ٦٦؛ ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص ٥٤٧.

(٤) ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص ٢٤٣.

(٥) ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص ٥١.

(٦) مأمون فریز جرار: الغزو المغولي لبلاد الشام، ص ١٨٩.

فجاء دمرداش بهذا الرجل أما مجموعة من الأمراء ورفض أن يقبض علي الأمير سودون، فقال هذا الرجل أمام الحاضرين إن تيمورلنك لم يأت إلا بمكاتبتك إليه، وأنت تستدعيه أن ينزل على حلب، وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدافع عنها فحنق عليه دمرداش وقام بقتله، وكان هذا الكلام من تميم تيمورلنك ومكره ليغرق بذلك بين العساكر المملوكية<sup>(١)</sup>.

كما اهتم سلاطين العثمانيين بالعيون والجواسيس للقضاء على الدولة المملوكية، وإقامة الدولة العثمانية وتمكنوا من ذلك، وكان علي رأسهم السلطان بايزيد الثاني الذي أخبره أحد جواسيسه ويدعى "إياس" بأحوال الدولة المملوكية ووصف له الوضع المتردي الذي وصلت إليه حالة السلطنة المملوكية فأصحأ إياه بانتهاز الفرصة والانقضاض على السلطنة إذا أراد الاستيلاء عليها، وبالفعل أرسل السلطان العثماني أسطوله إلى شواطئ الإسكندرية في نحو ستين مركباً مشحونة بالمقاتلين، ومن ناحية أخرى حاول الحصول على موافقة البندقية لتموين هذا الأسطول من ميناء الماغوصة بقرص ولكنه فشل في ذلك، وقبل بالصلح مع الدولة المملوكية<sup>(٢)</sup>.

وعندما تنازل السلطان بايزيد الثاني عن العرش لابنه سليم الأول تظنر إلى الأخطاء التي وقع فيها أبوه في حربه مع المماليك فكان منها أنهم حاربوا دون أن تكون لديهم المعلومات الكافية عن المماليك وعن استعداداتهم وعن أسلحتهم ومعداتهم وعن أماكن القوة، ورأي أنه لا يستطيع أن يعرف ذلك إلا عن طريق التجسس، فقد عرف عن العثمانيين من خلال غزواتهم في أوروبا أنهم يملكون أكبر شبكة تجسس في العالم وقتئذٍ إلا أن نشاط جواسيس العثمانيين كان منصباً على جمع المعلومات عن القوات الصليبية. ومنذ تعمس الموقف العثماني في فتوحات أوروبا وتوجه العثمانيين إلى الشرق لمواصلة فتوحاتهم بدأ جواسيس العثمانيين يركزون نشاطهم في منطقة العمليات العسكرية تجاه المماليك<sup>(٣)</sup>.

ولهذا كان السلطان سليم لا يتحرك إلى أي مكان إلا بعد أن يعرف أخبار الجهة التي يتحرك إليها عن طريق جواسيسه<sup>(٤)</sup>، كما قام بتجنيد بعض العناصر المملوكية لإمداده بالمعلومات والأسرار العسكرية المملوكية وكسب تعاون هؤلاء معه في الحروب مع المماليك<sup>(٥)</sup>.

(١) المقريري: السلوك، جـ ٣، ق ٣، ص ١٠٣١ - ١٠٣٢.

(٢) أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ١١٨ - ١٢٣.

(٣) عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٨٨.

(٤) ابن زنبيل: سيرة السلطان قانصوه الغوري، جـ ١، ورقة ٨.

(٥) عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٨٩.

وقد لعب خاير بك دوراً خطيراً في سقوط دولة المماليك البرجية بتعاونه مع العثمانيين، والذي كان بدايته في عهد السلطان الناصر محمد بن السلطان قايتباي (٩٠١ - ٩٠٤ هـ / ١٤٩٦ م - ١٤٩٨ م) عندما عينه رسولاً إلى السلطان بايزيد عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٨ م لإخباره بنبأ اعتلائه العرش<sup>(١)</sup>، واستطاع السلطان العثماني التأثير على خاير بك، ومنه بوعود ومكافآت ليكون عيناً له على السلطنة وأحوالها، ثم توطدت عرى الصداقة بين خاير بك، والعثمانيين في عهد السلطان سليم عندما راسل خاير بك وجان بردي السلطان سليم، واتفقا معه أن يعاوناه علي أخذ مصر والشام<sup>(٢)</sup>.

وبالتالي بدأت الرسائل السرية تتبادل بينهم عندما أرسل السلطان سليم العثماني رسالة إلى خاير بك مع بهرام سلحدار باشا، فرد عليه خاير بك برسالة في ٢٢ ذي الحجة ٩١٨ هـ / فبراير ١٥١٣ م، ويبدو لي أن أهم ما ورد بهذه الرسالة تأكيد خاير بك للسلطان سليم أنه واقف علي أثبت قسم لما يرد عليه من المراسيم والخدم ليفوزوا بقضاياها وامتثالها بالسمع والطاعة<sup>(٣)</sup>.

وأرسل السلطان سليم إلى خاير بك عام ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ليتأكد من خبر إرسال الصفويين رسلاً إلى الغوري طالبين منه المساعدة<sup>(٤)</sup>.

وقد بدأ خاير بك بتنفيذ إتفاقه، وذلك عندما أرسل رسالة إلى السلطان الغوري قبل أن يرحل بجنوده من الريدانية متوجهاً إلى حلب لمقاتلة ابن عثمان يخبره فيها أن السلطان سليم يقصد الصلح فما كان ذلك سوي خديعة دبرها سليم العثماني، وعملية الخائن<sup>(٥)</sup> بهدف ثني عزم الغوري عن الاستعدادات الجادة لمحاربة العثمانيين، وكان يهدف - أيضاً - إثارة نوع من الانقسام بين صفوف المماليك ما بين مؤيد، ومعارض، وينشغلوا في هذا الخلاف فضلاً عن كسب مزيد من الوقت ليستطيع السلطان سليم من إعداد قواته الإعداد الجيد وتسليحه بالأسلحة الحديثة، ووصول الإمدادات إليه بقيادة سنان باشا<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص ٦٢٥-٦٣٢؛ عماد محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص ٢٩٠.

(٢) عادل عبد الحافظ: دور خاير بك في موقعة مرج دابق، ص ٢٤٤؛ لبيب إبراهيم: الفتن والقلل الداخلية في عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢٦.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ٥٨؛ عماد محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص ٢٩٠.

(٤) عادل عبد الحافظ: دور خاير بك في موقعه مرج دابق، ص ٢٤٦.

(٥) عادل عبد الحافظ: دور خاير بك في معركة مرج دابق، ص ٢٤٦.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص ٣٠؛ عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٩٠.

(٧) إبراهيم علي طرخان: مصر في عصر المماليك الجراكسة، القاهرة، (د. ن)، ١٩٦٠ م، ص ١٧٨؛ عماد محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص ٢٩٠.

واستطاع خاير بك أن يقتنع الأمير أينال باي دودار سكين بأن ابن عثمان يريد الصلح وطلب منه خاير بك أن يبلغ ذلك للسلطان الغوري، وعندما أرسل السلطان الغوري الأمير أينال باي إلي حلب لتتفأ أخبار ابن عثمان وأسباب تجهيزه للعسكر، هل يريد الحرب مع المماليك أم الصفويين " فعاد وخبر بذلك" (١).

أما السلطان سليم الأول فقد أرسل أحد جواسيسه إلي الدولة المملوكية ويدعي الشيخ أحمد الكردي إذ أراد السلطان سليم أثناء توجهه إلي الشام أن يتعرف تحركات الغوري ومدى استعداداته للتائه، ونواياه السابقة للصدام المنتظر، ومدى احتمال قيامه بالعدوان علي القلاع المجاورة للدولة الحركسية. لنقل ميدان المعركة خارج حدود الدولة المملوكية ومباغطة السلطان سليم قبل استكمال استعداداته، وكان يريد — أيضاً — معرفة حقيقة الأوضاع في بلاد الشام (٢).

وعندما فرَّ الأمير خشقدم شاد الشون من مصر عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م ووصل إلي السلطان سليم الأول بسبب جور وقع عليه من السلطان الغوري فرحب السلطان سليم به، واتخذة عيناً له علي السلطان الغوري في مصر وقام خشقدم بتحريض السلطان سليم علي السير إلي بلاد السلطنة، وأخبره بأماكن الضعف فيها، وحسَّن له غزوها واحتلالها، ومما يبرهن علي أن خشقدم كشف أحوال السلطنة الداخلية للسلطان سليم أنه بعد هزيمة السلطان الغوري في معركة مرج دابق عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، وبذل قضاء القضاة علي السلطان سليم وبخهم بالكلام وقال لهم "أنتم تأخذون الرشوة علي الأحكام الشرعية، وتسعون بالمال حتى تتولوا القضاء، لماذا لم تمنعوا سلطانكم عن المظالم التي كان يفعلها بالناس" (٣).

كما أرسل السلطان سليم إلي بييري بن بلطة حاكم "أورفه" - وهي قرية من الرها - يستفسر منه عن مصير الجواسيس الذين أمرهم ابن بلطة بالتجسس علي المماليك لحساب السلطان سليم، إذ سأل السلطان سليم حاكم "أورفه" عن أخبار المماليك، وأمر السلطان سليم ذلك الحاكم بإرسال أحد هؤلاء الجواسيس إلي نيابة حلب لجمع معلومات عن الأوضاع السياسية بها (٤)، وكان هذا استخدام السلطان سليم للجواسيس والخونة قبل المعركة لمعرفة أخبار المماليك، أما دور هؤلاء أثناء المعركة فظهر من خلال قيام خاير بك وجان بردي الغزالي بمساعدتهم.

(١) عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٩٠.

(٢) عماد محمد: العلاقة السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٦٨-٢٩١.

(٣) لبييه إبراهيم: الفتن والقتال الداخلية في عصر المماليك، ص ٢٢٥.

(٤) عادل عبد الحافظ: دور خاير بك في موقعه مرج دابق، ص ٢٥.

وفيما يتعلق بالأميرين خاير بك وجان بردي الغزالي فأنهما قد قاما بدور خطير أثناء معركة مرج دابق؛ حيث كان من المقرر أثناء المعركة أن يحيط الجناحان في الجيش المملوكي بالجيش العثماني فنفذ الأمير سيباي شطراً من الخطة الموضوعية وأحاط بأخبار الخيالة الأسبوية الإقليميين فأجبرت تلك القوات علي الانسحاب من مواقعها ولقد أصيبت القوات الانكشارية بسبب ذلك بخسائر فادحة، ولو التزم خاير بك بتنفيذ الخطة الموضوعية لانهزم العثمانيون في هذه الموقعة<sup>(١)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على ما سبق بل أشاع خاير بك بين صفوف الجند أثناء القتال أن السلطان الغوري أمر جلبانه بعدم القتال حتى يصدر أوامره إليهم، وحتى يقاتل القراصنة وحدهم، وبسبب هذه الإشاعة المغرضة فترت همّة القرائض، إذ رأوا فيها خطة دنيئة من جانب السلطان الغوري فقد أراها بها أن يكون القراصنة أول من يتلقى نيران العثمانيين انتقاماً منهم لما ارتكبه في حقه في السابق فقال الجنود القراصنة للسلطان: "نحن نقاتل بأنفسنا مع النار وأنت واقف تنتظر إلينا بالعين الشامتة ما تأمر أحداً من مماليكك يخرج إلى الميدان"<sup>(٢)</sup>، ففترت عزيمة الجنود القراصنة بسبب ذلك وحصل الخلاف بين الجنود والمماليك وكان مخاير بك وراء هذا الخلاف، وكان ذلك ضمن المخطط المتفق عليه من قبل مع السلطان سليم والغرض منها إشاعة الفرقة بين الجنود أثناء القتال، وكان له الأثر الكبير في هزيمة المماليك.

ولقد اتضح لنا — من رواية ابن زنبيل لأحداث المعركة — دور جان بردي الغزالي بالاشتراك مع خاير بك لإتمام الشرط الثاني والأهم من مخطط الخيانة، وقد تم الاتفاق على أن يتوغل الأميران الخائنات في الجيش العثماني حتى يصلان إلى خيمة السلطان سليم وينهبانها ويأتیان بما سلبوه أمام السلطان حتى يأمر بقية الجند بالهجوم، فقال ابن زنبيل: فلما أن كسر السلطان سليم وولى عسكره هاربين وإلى النجاة طالبين دخل عسكر الجراكسة إلى "وطاقي"<sup>(٣)</sup> فنهبوا وغنموا وأخذوا الزردخانه جميعاً وجاءوا بها إلى السلطان<sup>(٤)</sup>، وانتشل المماليك بالنهب والسلب، وعندما لاحظ بعض الأمراء ذلك صاحوا فيهم قائلين: "اصبروا، ربما يكون العدو فعل هذه الفعلة حيلة عليكم"<sup>(٥)</sup>.

ويتظاهر السلطان سليم بالفرار والهرب ويتبعه المماليك، وفي تلك اللحظة يعود العثمانيون ويلتفون حول الجنود المملوكية فيعملون فيهم القتل؛ قال ابن زنبيل: "ومن الاتفاق العجيب أنه في

(١) عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٩١.

(٢) ابن زنبيل، آخره المماليك، ص ١٦.

(٣) "الوطاق": "لفظ تركي بمعنى الخيمة الكبيرة أو المخيم الذي يستقر به السلطان"، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ

التاريخية في العصر المملوكي، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٠م، ص ١٥٥.

(٤) ابن زنبيل: سيرة السلطان قانصوة الغوري، مخطوط، ج ١، ورقة ٤٥.

(٥) ابن زنبيل: سيرة السلطان قانصوة الغوري، مخطوط، ج ١، ورقة ٤٥.

جوع السلطان سليم بالإنكشارية كان خروج الجراكسة من وطاقه بعدما حرقوه فصارت ظهورهم في جوه الروم... وعملوا في ظهور الجراكسة<sup>(١)</sup>، ثم ينسحب الأميران خاير بك وجان بردي الغزالي بناء وجود العسكر المملوكي داخل الطوق الذي فرضه العثمانيون ثم يشيع جان بردي وخاير بك بين الجنود بأن السلطان الغوري قد قتل وبذلك تقترب عزيمة الجند عن القتال وينهزم المماليك في هذه الموقعة، وقد عبر عن ذلك ابن زنبيل بقوله: "وإن خاير بك والغزالي تموا هاربيين منهزمين حتى سخطوا وطاقهم فأطلقوا النار في الوطاق وزعقوا على مماليكهما وغلماهما بالفرار فإن السلطان الغوري قتل... وكان ذلك منهما كذباً وبهتاناً"<sup>(٢)</sup>، أما ابن إياس فذكر قائلاً: "ومن كان موالساً على السلطان في الباطن خاير بك نائب حلب فإنه أول من كسر عسكر السلطان، وانهزم عن ميسرته، وتوجه إلى حماة"<sup>(٣)</sup>.

هكذا استطاع العثمانيون تحقيق انتصار سريع وحاسم في معركة مرج دابق عن طريق امتلاكهم لمجموعة من الجواسيس والخونة<sup>(٤)</sup>.

ويعد انتهاء معركة مرج دابق واصل الأميران دورهما في الخيانة؛ فقد سلم الأمير خاير بك حلب إلى السلطان سليم دون قتال، وذلك عندما أشاع قتل السلطان الغوري فقام بتحريض محمد بن فانسوة الغوري على سرعة مغادرة حلب، والعودة إلى مصر ليبياعه المماليك بالسلطنة مكان أبيه، وبالفعل خرج الأمير محمد بن السلطان من حلب وبخروجه خلت حلب من كل عنصر من عناصر المقاومة المملوكية، ولما أراد السلطان سليم أن يكافئ خاير بك على تلك الخدمات العظيمة التي قدمها للدولة العثمانية عندما دخل حلب، طلب مقابلة خاير بك " فلما حضر خلع عليه وصار من جملة أمرائه ولبس زي التراكمة العمامة المدورة والدلامة، وقص نقه، وسماه السلطان خاين بك لكونه قد خان السلطان"<sup>(٥)</sup>.

ويتلخص دور جان بردي الغزالي في منع الجنود المملوكية من الوصول إلى مصر عقب مرج دابق وأبقاهم في الشام<sup>(٦)</sup>، فقد اتفق جان بردي الغزالي مع خاير بك على أن يبقى خاير بك مع السلطان

(١) ابن زنبيل: سيرة السلطان الغوري، مخطوط، جـ ١، ورقة ٤٦-٤٧.

(٢) ابن زنبيل: سيرة السلطان الغوري، مخطوط، جـ ١، ورقة ٤٧.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٥١.

(٤) نظير حسان سعداوي: دولة البرين والبحرين، المجلة التاريخية المصرية، ع ١٣، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٦٢.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٥١.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٥٥.

سليم، ويذهب جان بردي الغزالي إلى مصر ليكون جاسوساً لهم هناك<sup>(١)</sup>، وعاد جان بردي الغزالي إلى مصر ليتولى نيابة الشام ويواصل مهامه كعميل وجاسوس للعثمانيين<sup>(٢)</sup>.

وبالتالي فقد واصل جان بردي الغزالي سلسلة تخايره وخيانتته للدولة المملوكية، فعندما أسند إليه السلطان طومان باي قيادة الحملة المملوكية المتوجهة إلى غزة خرج بعدد قليل وتبعه باقي الجنود بعد ذلك، فقد خرج الغزالي قبل العسكر بأيام، وصار الأمراء والعسكر يخرجون بعده متفرقين بتكاسل زائد<sup>(٣)</sup> فانهزم أمام العثمانيين، وقتل عدد كبير من جنوده، وفر هارباً إلى مصر بعد أن دمر جزءاً كبيراً من الجيش المملوكي في غزة.

وقام الغزالي بدور آخر تمثل في قيامه بقطع الاتصال بين الشام ومصر حتى لا تصل أخبار العثمانيين إلى مصر وتعويق العسكر المصري بالشام<sup>(٤)</sup>.

وفي معركة الريدانية لم تؤد الأسلحة النارية الحديثة التي أعدها السلطان طومان باي الآمال المعقودة عليها؛ لأن الأمير جان بردي الغزالي أصدر أوامره بأن تثبت المدافع على قواعد ثابتة بدلاً من تحميلها على العربات، وبذلك تكون غير قابلة للتوجيه والمراوغة هنا وهناك، ولم يكن ذلك فحسب بل أمر أن تدفن هذه المدافع في الرمال عمداً زيادة في إخفائها وهي معمرة<sup>(٥)</sup>، وكان حيلة جان بردي الغزالي في ذلك حتى لا يراها جواسيس العثمانيين ويخبرونهم بذلك<sup>(٦)</sup>.

وعندما تفقد السلطان طومان باي المعدات الحربية للاطمئنان على استعدادات الجيش وجد المدافع التي تعب كثيراً في إعدادها فضلاً عما كلفته من أموال قد دفنت في الرمال، وعندما سأل عن وراء هذه الكارثة أخبروه أنه جان بردي الغزالي، فتأكد لديه خيانتته فهم بقتله إلا أن الأمراء منعه من ذلك نظراً لوصول العثمانيين إلى الريدانية<sup>(٧)</sup>.

(١) أنور زقلمة: المماليك في مصر، ص ١٠٦؛ محمد عبد المنعم الرافد: الغزو العثماني على مصر ونتائجه على

الوطن العربي، القاهرة، مطبعة مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٧٢م، ص ١٧١.

(٢) عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٩٤.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٢٩؛ أسامة محمد: جان بردي الغزالي، ص ٧.

(٤) أسامة محمد: جان بردي الغزالي، ص ٥.

(٥) الأشبيلي: الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٦٥١، ورقة ٢٨ -

٢٩.

(٦) ابن زنيل: أخرة المماليك، ص ٤٨ - ٤٩؛ السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص ١٦٣.

(٧) ابن زنيل: أخرة المماليك، ص ٣٠.

وبعد نجاح جان بردي الغزالي في مهمته أرسل خطاباً سرياً إلى خاير بك أخبره بأمر الأسلحة واستعداد المصريين، وأشار عليه بأن يدور ويأتي من جانب الجبل، وبذلك يصبح في أمان من مرمى مدفعية المماليك<sup>(١)</sup>.

وعقب هزيمة المماليك في الريدانية انضم جان بردي إلى صفوف العثمانيين كحليف لخاير بك، وكافأه السلطان سليم بعد ذلك لخيانته بأنه جعله نائباً على الشام<sup>(٢)</sup>.

وبعد انكشاف أمر جان بردي الغزالي كان على السلطان سليم البحث عن عناصر جديدة وأعان جدد لمساعدتهم في التخلص من المماليك وخصوصاً طومان باي، فوجد جانم السيفي كاشف القيوم، الذي تخلى عن طومان باي بعد واقعة الريدانية، وانضم إلى سليم الذي صار يستشيريه كما كان يستشير خاير بك وزميله من قبل<sup>(٣)</sup>.

ولما ذهب السلطان طومان باي إلى الجزيرة اجتمع حوله نحو ألفين من الفرسان الجراكسة وحوالي سبعة آلاف من العربان، وكان هدفهم الهجوم فجأة على العثمانيين إلا أن جانم السيفي كاشف القيوم انسحب من جيش طومان باي وذهب إلى السلطان سليم في الخفاء وأخبره بخطة طومان باي، فطلب السلطان سليم منه أن يساعده للقضاء على هذه المقاومة تماماً، ودارت رحى الحرب فانتصر طومان باي وفر الأمير جانم السيفي وقائد الانكشارية إياس أغا وأبو حمزة أحد الأمراء الخائنين الذين انضموا إلى السلطان سليم لينقلوا إليه أخبار هذه الهزيمة<sup>(٤)</sup>.

ووقعت أعظم خيانة في سلسلة الخيانات من الشيخ حسن بن مرعي شيخ عرب محارب عندما التجأ إليه طومان باي، ومعه أعوانه فحدثته نفسه بتسليم طومان باي للفوز بالمكافأة التي رصدها السلطان سليم وشجعه على ذلك ابن عمه الشيخ شكري بقوله: "وهل عاقل يبيع عاجله بأجله لا تمل إلى الكفة الخاسرة فيحصل لك الخسران"<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٩٤-٩٥-٩٦؛ ابن زنبيل: أخرة المماليك، ص ٤٩؛ السيد عبد الحليم:

العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص ١٦٣؛ عماد محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص ٢٩٥.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٢٤٩؛ عماد محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص ٢٩٥.

(٣) إبراهيم طرخان: مصر في عصر دولة المماليك، ص ٢٠٤؛ عماد محمد: العلاقات العثمانية المملوكية، ص ٢٩٥.

(٤) ابن زنبيل: أخرة المماليك، ص ٦٤-٦٨؛ عماد محمد: العلاقات العثمانية المملوكية، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٥) ابن زنبيل: أخرة المماليك، ص ٩٦-٩٨.

فأرسل حسن بن مرعي إلى السلطان سليم يخبره بوجود طومان باي لديه فأرسل فرقة من جيشه قبضت على طومان باي وقيدته في الحديد وعادت به إلى السلطان سليم ثم أمر بعد ذلك بإعدامه على باب زويلة<sup>(١)</sup>.

ومما سبق يتضح — لنا — مدى خطورة الدور الذي قام به العيون والجواسيس الذين شكلوا سلاحاً فتاكاً تمكنت من خلاله الدول التغلغل داخل حشاي أعدائها، ومعرفة كل صغيرة وكبيرة في أمورها ؛ فكانوا سبباً رئيسياً في إسقاط دول ، وقيام دول أخرى، فكما كانوا عوناً للدولة المملوكية ضد قوات المغول والصليبيين والعثمانيين كانوا — كذلك — السلاح القاتل الذي عُمد في صدر دولة المماليك، وسقطت على أيديهم دولتهم الفتية، وقامت بمعونتهم الدولة العثمانية في مصر .

---

(١) ابن زنبيل: أخرة المماليك، ص ١١١.

## الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها.

اتخذت سلطات الأيوبيين والمماليك بعض الإجراءات الوقائية لحماية أمنها من جهة ومن جهة أخرى كانوا يحاولون تجنب أن يصبح للاطلاع على أسرارهم وأمنهم خطر من جهة أخرى. ومن أجل ذلك كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

### الفصل الرابع

من الدولة لديهم، وكانوا يهتمون الدولة مثل الدولة من جهة أخرى. ومن جهة أخرى كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

### دور التجسس في تحقيق الأمن الداخلي

من الجانبين. وفي هذا المجال، كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

### أولاً: الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها.

#### (أ) حفظ الطرق وحماية القصور.

#### ثانياً: دور التجسس في مواجهة الفتن والثورات الداخلية.

بعد الفتن التي انطلقت في الأندلس والمماليك في السطوح الأخيرة، استمرهم بقدر كبير على نظامهم الداخلي. ومن أجل ذلك، كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

#### ثالثاً: دور التجسس في التخلص من بقايا الشيعة.

في هذا المجال، كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

في هذا المجال، كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

#### خامساً: دور المرأة في التجسس.

في هذا المجال، كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

#### سادساً: العقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة.

في هذا المجال، كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

في هذا المجال، كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

في هذا المجال، كان التجسس من قبل الدولة من قبل الدولة.

## الفصل الرابع

### دور التجسس في تحقيق الأمن الداخلي

أولاً: الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها:

اتخذ سلاطين الأيوبيين والمماليك بعض الإجراءات الوقائية لحماية أمن بلادهم من جواسيس الأعداء الذين كانوا يحاولون عبور أرضهم للاطلاع على أحوالهم وأخبارهم، وبالتالي كان السلاطين يدركون جيداً حتمية أن تكون الدولة بغير مسام تتسرب منها أية معلومات قد تعيد الأعداء وكان هذا مفهوم أمن الدولة لديهم ، وكانوا يعدون الدولة مثل البستان عليه سياج، فمن هو خارج السياج يهاب الدخول، فإذا خرج منها من يدل علي عورتها ويطمع العدو فيها زالت الهيبة وتطرق الخصوم إليها<sup>(١)</sup>.

ونطلق عليه في عصرنا الحالي الأمن الوقائي ؛ وهو عبارة عن جميع الإجراءات والترتيبات التي تتخذها الدولة للحفاظ علي أسرارها وحماية منشأتها، وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية فقد لجأ الأيوبيون والمماليك إلى اتخاذ بعض التدابير الوقائية لحماية أمنها<sup>(٢)</sup>.

#### (١) حفظ الطرق وحماية الثغور:

بقدر النشاط الذي انطلق فيه الأيوبيون والمماليك في استطلاع الأخبار عن عدوهم بقدر حرصهم علي اتقاء نشاط جواسيس العدو في بلادهم وذلك من خلال الاستعانة ببعض قبائل العربان التي تعيش في المناطق الحدودية؛ إذ كانت السلطة الحاكمة في مصر تلزمهم بحفظ الطرق وحماية الثغور فكانوا يقومون بمسح الرمال أثناء الليل بحيث لا يبقو به أدنى أثر، ثم يأتي أمير العربان في الصباح، فإن وجد به أثر طالب العربان بإحضار صاحبه، فلا يزالون به حتى يحضروه إلى الوالي<sup>(٣)</sup>. إلى جانب ذلك كان هؤلاء العربان يقومون بترتيب مجموعة من الخفراء في البلاد ، وينزل هؤلاء الخفراء في أماكن معدة لهم علي الطرقات بين البلاد وكانوا لا يسمحون لأحد بالعبور قبل عرضه علي الوالي الذي يقوم بمنحه براءة للعبور إذا تأكد أنه لم يكن جاسوساً للأعداء<sup>(٤)</sup>.

(١) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ١٨-١٩-٢٠.

(٢) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٢٨.

(٣) ابن بطوطة: رحله بن بطوطة، ص ٥٤ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٧٧-٣٧٨ ؛ محمد فتحي: إقليم الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٢٠ ؛ رزق محمد نسيم: الثغور المصرية في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب طنطا، ٢٠٠١م، ص ١٠٣.

(٤) ابن بطوطة: رحله بن بطوطة، ص ٧٢ ؛ سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عهد السلطان برسباي، ص ٢٠٩-٢١٠؛ رزق محمد نسيم: الثغور المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص ١٠٢-١٠٣.

كما نجد أن قبيلة العايد التزمت بتأمين الطريق البري بين مصر والشام، والتي كانت بمثابة بوابة الشام إلى مصر ومسلكاً لقصاد وجواسيس الصليبيين يدخلون منها إلى مصر ويخرجون دون أن يعلم بهم أحد، وهذا ما دعى سلاطين بني أيوب - من قبل - إلى إلغائها رغم أنها كانت طريقاً مهماً للتجار القادمين من قطيا، وتكمن صعوبة هذا الطريق في استحالة عبور أي شخص منه إلا "بدليل" من قبيلة العايد لمعرفته بدروبه، حيث كانوا يهتدون برؤوس الأكام نهائراً وبالنجوم ليلاً، كما كانوا على دراية واسعة بعيون الماء وأسماؤها في هذا الطريق، فيردون واحداً ويصدرون عن آخر، لكثرة عيون الماء به والتي وصلت إلى أربعين عيناً، وكان على عرب العايد مطالعة السلطان بكل صغيرة وكبيرة من الأخبار التي تحدث داخل دركهم<sup>(١)</sup>.

وقد قامت السلطة الحاكمة بالتأكيد على حماية المناطق الحدودية التي يمكن للأعداء أن يدخلوا مصر منها، وأصدرت تعليماتها لولاة كل من الشرقية والجيزية وأطفيح<sup>(٢)</sup> ودمياط والغربية ونسترو<sup>(٣)</sup> ورشيد والطينة<sup>(٤)</sup> وتنيس<sup>(٥)</sup> وقطيا<sup>(٦)</sup> بضبط مناطقهم، واستخدام النوبات بها فلا يفارق صاحب النوبة مكان نوبته حتى يحضر صاحب النوبة الأخرى ويستلمها، كما حددت السلطة الحاكمة ضوابط وعقوبات لمن يخالف ذلك .

هذا يؤكد شارك التراجمة غيرهم من المسؤولين في حماية البلاد، واستتباب الأمن فيها وحماية أمن الدولة من تسرب الجواسيس إليها فقد وضعت السلطات المملوكية بعضهم لرصد تحركات الرحالة الأجانب الذين يفنون على السلطنة وذلك خوفاً من أن يكونوا جواسيس على البلاد<sup>(٧)</sup>.

كما كانوا يقومون أيضاً بمراقبة حجاج بيت المقدس فكانوا يقومون بجمع هؤلاء الحجاج وتسجيل أسمائهم وأعمارهم وأوصافهم الشخصية، ويرسلون منها نسخة إلى كبير التراجمة بالقاهرة ونجد أن هذه الاحتياطات كانت تتخذ عند القدس وكانت تتخذ أيضاً عند ميناء يافا<sup>(٨)</sup>.

(١) الداودار : الدر الفاخر، ص ١١٥ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٤٨.

(٢) أطفيح : بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل من الشرق ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص ١٢١

(٣) نسترو: جزيرة بين دمياط والإسكندرية ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص ١٢٢

(٤) الطينة : بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص ١٢٢

(٥) تنيس : جزيرة في البحر بين الفرما ودمياط ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص ١٢٢

(٦) قطيا :- قرية في طريق مصر قرب الفرما ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص ١٢٢

(٧) فائق عبد الحلیم: تاريخ التراجمة في مصر المملوكية، ص ١٤١.

(٨) علي السيد: للقدس في العصر المملوكي، ص ٢١٤-٢١٥ ؛ فائق عبد الحلیم: تاريخ التراجمة، ص ١٤١.

ففي عام ٨٣٩هـ/٤٣٥م نجد أن الترجمان أخذ يسأل بعض الحجاج المسيحيين الذين نزلوا إلى الإسكندرية بغرض الزيارة وأخذ يسألهم عن كثير من الأشياء عن عاداتهم وتقاليدهم ومصادر ثرواتهم، وعن البابوية والباطرة، وأحوال بلادهم السياسية وكل هذه أسئلة لها مدلولها السياسي علي أمن البلاد. وإن دل ذلك علي شيء فإنما يدل علي عدة أمور هي:

- فطنة كبير الترجمة بالقاهرة وتحسبه من أن يحدث بعض أنواع التلاعب وتبصير نوابه في الأقاليم التابعة لمصر والعمل بدأ واحدة للحفاظ علي أمن البلاد.
- إحكام الضبط والربط والمراقبة الشديدة علي الداخلين إلى مصر والخارجين منها، ومعرفة هويتهم والتفتيش عليها تفتيشاً دقيقاً<sup>(١)</sup>.

وإمعاناً من السلاطين في حماية حدود الدولة والمحافظة عليها وحفظ الطرق نجد أنهم قاموا بتكليف بعض الفرق العسكرية بالوقوف علي حدود الدولة مع الأعداء، وذلك لحفظ الطرق، والكشف عن جواسيس الأعداء والقبض عليهم بمجرد عبورهم حدود الدولة، والتحقق من هوية من يصادفهم في الطريق<sup>(٢)</sup>، وفي الغالب أن هذه الفرق كانت تقيم فيما يعرف بالمسالح<sup>(٣)</sup>، وهي نقاط المراقبة المتقدمة، وكانت مهمة المسالح مراقبة العدو<sup>(٤)</sup> وقائد المسلحة هو المسئول عن جمع المعلومات<sup>(٥)</sup>، وتكون المسالح غالباً بعيدة عن مقرات الجيوش<sup>(٦)</sup>.

وفي ذلك يقول أبو يوسف صاحب كتاب الخراج<sup>(٧)</sup>: "وينبغي للإمام أن تكون له مسالح علي المواضع التي تتخذ إلى بلاد أهل الشرك فيفتشون من مر بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد، ومن كان معه رقيق رد، ومن كانت معه كتب قرئت كتبه، فما كان من خير من أخبار المسلمين قد كتب به أخذ أصيب معه الكتاب ويبحث به إلى الإمام ليري فيه رأيه"، ومن هنا نستنتج أن انتشار الجند علي الحدود مع العدو يمكن المسلمين من إلقاء القبض علي جواسيس العدو ويحمي الدولة، وقد حدث ذلك في عام ٥٨٣هـ/١١٨٨م عندما استطاع هؤلاء الجنود من القبض علي بعض الأشخاص

(١) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة، ص ١٤٢.

(٢) فائق عبد الحليم: تاريخ الترجمة، ص ٢٧-٥٨.

(٣) المسالح: مواضع المخافة، والمسلحة كالنغر والمرقب فيها أقوام العدو لئلا يطرقهم علي غره، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له، والمسلحة الجيش أصحاب السلاح الذين يحفظون المواضع. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٨٥؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص ٤٨٧.

(٤) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي، ج١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م، ص ٤٧-٢٢٤.

(٥) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي، ج١، ص ٤٣.

(٦) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٥٢.

(٧) كتاب الخراج، ص ١٩٠؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٥٣.

الصلبيين كانوا يحملون رسائل كانت قد أرسلت من القدس، تتضمن أخبار البلد، وما تحتاجه من الغلة والعدة والرجال، وبالتالي تم منع وصول هذه الأخبار إلى العدو<sup>(١)</sup>.

كما استطاع هؤلاء الجنود القبض على مجموعة من التتر عام ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م كانوا يريدون عبور الأراضي الإسلامية لتجسس الأخبار ولكنهم تمكنوا من منعهم<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٦٨٠هـ / ١٢٨١م تمكنوا من القبض على بعض جواسيس التتر كانوا يريدون العبور إلى أراضي الدولة المملوكية<sup>(٣)</sup>.

هذا؛ ونظراً لكثرة تواتر الرسل في عهد الدولتين الأيوبية والمملوكية، ونظراً للدور الخفي الذي كان يقوم به هؤلاء الرسل في تحسس أخبار البلاد فكان يجب علي الدولتين اتخاذ العديد من الإجراءات الأمنية مع هؤلاء الرسل الواردين علي البلاد منذ تواجدهم علي الحدود حتى رحيلهم إلي بلادهم مرة أخرى، وبالتالي قامت الدولة بتخصيص بعض الأفراد الذين يقومون باستقبال هؤلاء الرسل الواردين علي السلطان، والقيام بمراقبتهم وتضليلهم في المسالك والدروب المبعدة<sup>(٤)</sup>، ومنعهم من الاجتماع بأحد ووضع العيون عليهم ومراقبتهم والعمل علي منعهم من الحصول علي أي معلومات تتعلق بالطرق والحصون وقوة الدولة وقوة حصونها وأسلحتها<sup>(٥)</sup>، وهو ما حدث عندما قام السلطان صلاح الدين بإحاطة مبعوث عموري الأول الملك الصليبي بمن قام بمراقبته ومنعه من الاتصال بالمتمررين وعلم منهم كل شيء عن تفاصيل المؤامرة<sup>(٦)</sup>، وفي عام ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م أخبر صاحب سبب السلطان الظاهر بيبرس بحضور رسول من عند أبغا بن هولاكو لمقابلة السلطان، فبعث إليه الأمير ناصر الدين بن صيرم مشد حلب ليتسلمه من سبب ويحترز عليه بحيث لا يمكنه أن يتحدث مع أحد<sup>(٧)</sup> وتكرر نفس الأمر في عام ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م<sup>(٨)</sup>.

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٨٤؛ مصطفى علي: أمراء الطواشية، ص ٩٤.

(٢) المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٧٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٦٢-٦٣؛ بيومي الشريبي: الوفود السياسي في عصر المماليك، ص ١٥٤؛ Amatai, Mamluks and Mongols, P. 107؛

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٣١؛ نعمان الطيب: جهود المماليك في تصفية المغول، القاهرة، مطبعة الحسين، ١٩٨٨م، ص ٨٦.

(٤) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص ٢٠٥.

(٥) نظام الملك: سياست نامه، ص ١٣٣؛ محمد التابعي: السفارات في الإسلام، ص ١٥٨.

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١، ص ٢٤٥؛ سعيد عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٣٤؛

صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٣٦؛ جميل جمول: مصر والحروب الصليبية، ص ١١٠.

(٧) فائق عبد الحلیم: تاريخ الترجمة، ص ٥٨.

(٨) ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٤٧-١٤٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٧، ص ٣١٦؛ منى عبد الرحمن:

السفارات الأجنبية، ص ٣٦؛ محمد التابعي: السفارات في الإسلام، ص ١٥٨.

ولتحقيق أمن الدولة وحفظ الطرق اهتم سلاطين الأيوبيين والمماليك بعمارة سلسلة من المناور " أو "المناثر" التي تربط أطراف الدولة بالعاصمة وهي عبارة عن أبراج للمراقبة<sup>(١)</sup>. هذا وقد رضي الأقصري السلاطين بأن يكونوا حارسين للأمور وقيموا الكثير من المراقب ويقصد بها أماكن المراقبة أو الرصد<sup>(٢)</sup>.

وكانت أهم هذه المناثر تلك التي أقيمت علي الجبهة الشرقية المواجهة للمغول، والتي كانت في قلعتي البيرة والرحبة - الحدوديتين من النقاط المهمة بها - وكانت تتصل هذه المناور بقلعه الجبل بالقاهرة<sup>(٣)</sup>، كما قام السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م ببناء برج في قارا<sup>(٤)</sup>، وأمر ببناء برج أكبر منه في قارا أيضا وذلك لحفظ الطرقات وصون الرعية<sup>(٥)</sup>.

ومن الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها باتخاذ بعض المراكز الحربية علي الحدود وسميت هذه المراكز الحربية باسم "الثغور"<sup>(٦)</sup>، وكان الهدف من إقامتها إخماد أي حركة تقوم بها طلائع العدو فتكون نقطة البداية لمراقبة العدو وجواسيسه<sup>(٧)</sup>، وقد اهتم بها الأيوبيون والمماليك وأولوها عناية فائقة لأنهم اعتقدوا أن في إهمالها خلا في أمن الدولة وحمايتها<sup>(٨)</sup>.

ولهذا نجد أنهم قاموا بوضع نظام دقيق في هذه الثغور لمنع تسرب الجواسيس إلى داخل حدود الدولة؛ وذلك عن طريق القيام بإعداد شباب وتدريبهم علي حماية الثغور الإسلامية<sup>(٩)</sup> بوضع الحفظة والمتحسسون والخفر خارج الثغر أو المدينة وحولها حتى يأتون بأخبار من يوجد خارج المدينة<sup>(١٠)</sup>.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٩٩ ؛ جيهان فاروق: القلاع والحصون، ص٩٣.

(٢) نهاية السؤال والأمنية، ص٥٣١.

(٣) جيهان فاروق: القلاع والحصون، ص٩٣.

(٤) قارا: وهي قرية تقع على بعد ٢٦ ميلاً من حمص فيما بينها وبين دمشق. انظر النويري: نهايات الأرب، ج٣٠، ص٩٨.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٩٨ ؛ المقرئ: السلوك، ج١، ق٢، ص٥١١.

(٦) الثغور: جمع ثغر، والثغر بالفتح ثم السكون محل موضع من أرض العدو ويسمى ثغراً لأنه مأخوذ من الثغره وهي الفجوة في الحائط، وهو في مواضع كثيرة، منها ثغور الشام. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٧٩.

(٧) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٥٤.

(٨) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٢ ؛ عثمان عبد المجيد: الأسطول والبحرية علي عصر سلاطين المماليك، ص٨٣.

(٩) عبد الجواد خلف: القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وأثاره، كراتشي - باكستان، سلسلة منشورات جامعه الدراسات الإسلامية، ١٩٨٨م، ص٢٧٠.

(١٠) نظام الملك: سياست نامه، ص٣٩ ؛ ابن منكلي: الحيل في الحروب وفتح المدن وحفظ الدروب، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠م، ص٣٩٦.

وهو ما حدث في ثغر الإسكندرية؛ إذ كان هناك خفراء خارج باب ثغر الإسكندرية عند إغلاق باب للقيام بهذه المهمة، ونجد أنه كان يصرف لهم مرتبات ثابتة لضمان قيامهم بهذه المهمة<sup>(١)</sup>، وكان هؤلاء الخفراء عبارة عن عيون لرصد أي شيء يحدث خارج أبواب الثغر وذلك حتى لا يباغت الثغر أحدا فجأة وهم غافلون<sup>(٢)</sup>، وكان يوجد مع هؤلاء الخفراء مجموعة من المخبرين وذلك لكي يسرعوا بتبليغ الأخبار إلى داخل الثغر إذا حدث أي شيء خارجة<sup>(٣)</sup>؛ ولهذا نجد أن هؤلاء الخفراء كان منهم من يقوم بحفظ الأمن، ومنهم من كان يقوم بالتجسس.

وكان أيضاً بثغر الطينة خفراء بأعداد وفيرة لدرجة أن أحد الأمراء قد استعان بهم في عام ٩١٤هـ/١٥٠٩م للتصدي لأحد مراكب الفرنج التي هاجمت ثغر الطينة، وكانوا يرغبون في تجسس أخبار الثغر إلا أن هؤلاء الخفراء منعوهم من ذلك وأسروا منهم جماعة واستولوا على المركب<sup>(٤)</sup>.

وللحذر من تسرب جواسيس العدو وعيونه إلى داخل الثغر أو المدينة كان يتم تعيين بوابين من أهل المدينة لهم سمات أهل البلد، وذلك حتى إذا أتاهم غريب أو دخل عليهم عرفوه؛ ولا يدخلها إلا بعد معرفة حالة والتأكد منه ومن القصد الذي جاء من أجله، ويجب أن يكون معهم امرأتان أو أكثر ممن يوثق بهن، يتصفحن وجوه النساء إذا دخلن؛ حتى لا يدخل الرجال بجلاليب النساء<sup>(٥)</sup>.

وكان البوابون يقومون بالتدقيق في وجوه الداخلين إلى المدينة والخارجين منها لمعرفة هويتهم وعدم السماح بالخروج من هذه المنافذ إلا لمن يحمل موافقة والي المدينة، فحين زار ابن بطوطة دمياط لاحظ أنه إذا دخلها أحد لم يكن له سبيل إلى الخروج منها إلا بطابع الوالي فمن كان من الناس معتبرا طبع له في قطعة كاغد يستظهر به لحرس بابها وكان يطبع في بعض الحالات على ذراع الشخص نفسه فيستظهره عند الحاجة<sup>(٦)</sup>. وقد تمكن هؤلاء البوابون من القبض على جاسوسين للتتار عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م كانوا يريدون التسلل إلى ثغر دمياط للتعرف على أخبار المماليك<sup>(٧)</sup>.

(١) رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص ١٠٥.

(٢) عثمان عبد الحميد: الأسطول والبحرية في عصر سلاطين المماليك في مصر، ص ٨٣.

(٣) نظام الملك: سياست نامه، ص ٣٩.

(٤) ابن منكلي: التدبيرات السلطانية، مخطوط، ج ١، ورقة ٨٦.

(٥) قدامه بن جعفر: كتاب الخراج، ص ٤٩-٥٠ ؛ ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص ٣٨٩ ؛ حسن محمد

وأخر: صاحب الخبر، ص ٣٣.

(٦) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٣١ ؛ عثمان عبد الحميد: الأسطول والبحرية، ص ٨٦ ؛ رزق محمد:

الثغور المصرية، ص ١٠٦.

(٧) رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص ٢٤٩.

وكانوا يكثر من الحفظة والحراس والأعصاب علي سور المدينة ولا يتركوا أي مكان بدون وضع الحراس عليه<sup>(١)</sup>، والاحتراز من عدم تسلق الأسوار وعدم السهو أو الغفلة وخاصة وقت الليل وذلك لأن العدو وجواسيسه لا ينشطون إلا في وقت الليل وذلك لأن هذه الفترة يكثر فيها الغفلة والنعاس وكذلك الظلمة وكذلك ينشطون في أوقات تراكم السحاب وأوقات الأمطار<sup>(٢)</sup>.

وكان هؤلاء الحراس يقومون بتفتيش الأحمال والأثقال التي تدخل إلى المدينة والتأكد من عدم اختباء أحد فيها وكانوا يفتشونها عن طريق الطعن فيها بالمناخس، وذلك حتى لا يدخل الرجال فيها سر<sup>(٣)</sup>.

ونظراً لخطورة الدور الذي كان يقوم به هؤلاء الحراس والخفر والبوليون اهتم السلاطين بهم، فوضعوا عليهم بعض المباشرين يعرفونهم معرفة جيدة، ويقومون بالاستفسار عن أحوالهم سرّاً وعلانية لأنهم أفقر وأطمع وأسرع انخداعاً بالمال والإغراء، وإذا شاهدوا غريباً بينهم كانوا يسألون عنه ويتأكدون منه، وكانوا يقومون بمراقبتهم والتأكد منهم ووضعهم تحت الإشراف المباشر كل ليلة عندما يتسلمون واجباتهم، وكانوا لا يغفلون ذلك ليلاً ونهاراً<sup>(٤)</sup>.

أما بالنسبة للمواني فكان الموظفون يقومون بالتحقق من اسم وجنسية كل من قائد المفينية ومن معه من التجار والمسافرين ونوعيات وكميات ما تحمله سفينته من سلع وخلافه وهذا بطبيعة الأحوال بسبب الحروب الموجودة في ذلك الوقت<sup>(٥)</sup>، وبالتالي نجد أن هؤلاء المسافرين كان يتم تعريضهم لاستجوابات من موظفي الميناء إلى جانب ذلك فإنهم لا يستطيعون الدخول أو الخروج من الميناء إلا بتصريح من ناظر الميناء<sup>(٦)</sup>، كما كان يتم تفتيشهم تفتيشاً ذاتياً خشية أن يكونوا جواسيس للأعداء.

وكان يتم نصب المراسي علي الأمكنة العالية في الثغور لرؤية البلاد التي تقابلها من جزائر البحر وما يصنع فيها من عمارة المراكب وغيرها فيقع التأهب لهم إلى غير ذلك من أمور الملوك الماضية التي يقع بها الاحتراس<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص ٤٠٠.

(٢) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص ٣٩٩.

(٣) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص ٣٩٠.

(٤) نظام الملك: سياست نامه، ص ١٦٨.

(٥) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٢.

(٦) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢١-٢٢.

(٧) الرشدي: تفرج الكروب، مخطوط، ورقة ١٨-١٩.

ولأهمية الثغور في تحقيق الأمن الوقائي للدولة نجد أن السلطان الظاهر بيبرس قام ببناء ثغور رشيد عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م ليكون مرقباً لكشف البحر مع الأعداء<sup>(١)</sup>.

ولكن علي الرغم من ذلك ومن كل هذه الاحتياطات فإنه لا يمكن أن يمنع السلاطين جواسيس العدو من دخول بلاده، لذلك قام السلاطين باتخاذ إجراء آخر وهو الاحتراز من هؤلاء الجواسيس بكتمان السر وستر عورة جيشه وبلاده ما أمكنه ذلك عن طريق الحرص والحذر من تسرب الأخبار<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الحرص والحذر من تسرب الأخبار:

حدث الإسلام على اتخاذ الحيطة والحذر عند ملاقة الأعداء، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاتَفَرُّوا نَجَاتٍ أَوْ تَنْفَرُوا جَمِيعاً"<sup>(٣)</sup>، وفي آية أخرى، " هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"<sup>(٤)</sup>، ومن هذا المنطلق اتخذ سلاطين الأيوبيين والمماليك بعض الإجراءات الوقائية<sup>(٥)</sup>، ومما هو جدير بالملاحظة أن كتب التراث تذخر بالأقوال والأمثال والأشعار التي تدعو إلى كتمان الأسرار وحفظ اللسان<sup>(٦)</sup>، خشية تسرب الأخبار إلى الأعداء مثل قول الهرثمي: "أول العمل في الحرب ورأس التدبير فيها ألا يظهر عدوك علي عورتك، ولا تستر عنك عورته، ولن تحكم ذلك في نفسك إلا مع شدة الحذر وكتمان السر...."<sup>(٧)</sup>.

وكذلك الأمر في سبيل الحرص والحذر من تسرب الأخبار، لم يقتصروا في حذرهم من جواسيس العدو فحسب، بل حذروا أيضاً من جواسيسهم خشية أن يكون الجاسوس المسلم جاسوساً

(١) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٤٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص١٢٦.

(٣) النساء: آية ٧١.

(٤) المنافقون: آية ٤.

(٥) محمد الشافعي: التجسس علي عصر الرسول، القاهرة، دار الشباب العربي، ١٩٩٦م، ص١٥٩.

(٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣م، ص٣٨-١١٣؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ص١٢-١٣-٦٢؛ الهروي: التذكرة الهروية، ص٣٩٦؛ الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، ص١٩-٢٢؛ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، تحقيق محمد عبد القادر محمد مايو، حلب، دار القلم العربي، ١٩٩٧م، ص٦٤؛ ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٣٩٢.

(٧) مختصر سياسة الحروب، ص١٩.

ودجاً وفي ذلك قيل: "واعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك، وربما غشوك، وربما كانوا لك عليك"<sup>(١)</sup>.

وهو ما حدث في عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م عندما أرسل هولاكو ثلاثة جواسيس إلى أراضي الدولة المملوكية لمعرفة أخبار الظاهر بيبرس والقيام بقتله، ولكن تم الكشف عنهم واستطاع الظاهر بيبرس أن يستميلهم ويقتنعهم "بالعمالة المزروعة" واستخدمهم في نفس الغرض، إلا أنه كان حذر منهم حتى لا يستغلوا ذلك ويقوموا بنقل أخباره إلى هولاكو فيضروا بمصالح الدولة المملوكية<sup>(٢)</sup>.

ومن الحرص والحذر من تسرب الأخبار أيضاً أنهم كانوا يبالبغون في كتمان أمر الجواسيس بحيث لا يعرف بعضهم بعضاً، فكان القائد يلقاهم فرادي في سرية تامة، فإن شغله شاغل جعل لكل جاسوس رجلاً خاصاً يتصل به من أوثق خاصته وفي ذلك يقول الهرثمي: "لا تعرفن أحداً من الجواسيس صاحبه، فإنه لا تؤمن مما لأتكم للعدو وتواطؤهم علي الغش، أو أن يورط بعضهم بعضاً"<sup>(٣)</sup>.

فقد قام الظاهر بيبرس في عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م بتلقي جواسيسه في سرية تامة دون أن يعلم أحد من أفراد جيشه حتى المقربين له، وذلك محافظة منه على سرية المعلومات التي أخبروه بها والتي يعلم أنها لو تسربت لأحد لكان لها ضرر على باقي أفراد الجيش<sup>(٤)</sup>.

كما حرص السلاطين عند التوجه لحرب العدو على سرية تحركاتهم حتى لا تصل عن طريق جواسيسهم الموجودين داخل المعسكر، لذلك كانوا يكتمون أخبار التحرك عن الجيش حتي يصلوا إلى مكان ما ثم يعرفون الجند والقواد بالمكان، إلى جانب ذلك فإنهم كانوا يحافظون على سرية تحركات الجيوش من طلائع العدو<sup>(٥)</sup>.

فكان الظاهر بيبرس كثيراً ما يطلب من كبار أمرائه الخروج مستعدين للحرب، ولا يعلمهم بالمكان الذي سيتوجهون إليه كنوع من التعمية على الأعداء وجواسيسهم، ثم يرسل خطاباً إلى من يختاره على رأس جماعة الأمراء يطلب منه ألا يفتحه إلا بعد أن يخرج هو والعساكر متوجهين<sup>(٦)</sup>، ففي عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م طلب الظاهر بيبرس من أمراء الجيش بالزحف ناحية "سيواس" فأسرع

(١) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٥٠.

(٢) Amitai: Mangols and Mamluks, P. 148.

(٣) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، ص ١٩.

(٤) بيبرس الدودار: مختار الأخبار، ص ٢٩؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٢٤؛ العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٣٠٠؛ وفيق الدقوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص ١٧٨.

(٦) قاسم عبده قاسم: أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، مجلة موكب النور، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

جواسيس المغول داخل معسكره بنقل أخبار هذه التحركات إلى " أبغا " خان المغول الذي سارع على الفور بالوصول إلى سيواس لمباغطة الجيش المملوكي، إلا أن الظاهر بيبرس أصدر أوامره إلى أمرائه بالرجوع إلى دمشق ، وبالتالي كانت هذه حيلة مأكرة لكي يتمكن الظاهر بيبرس من الرجوع بجيشه إلى دمشق<sup>(١)</sup>.

وقد حدث ذلك مع التاجر علي التبريزي الذي كان يتجسس لصالح الفرنج فقبض عليه وتـ<sup>ش</sup>هـير به على جمل بالقاهرة ومصر وبولاق ونودي عليه : هذا جزاء الخيانة وكان ذلك في عام ٨٣٢هـ/٤٢٩م<sup>(٢)</sup>.

ونظرا لأن العدو كان يقوم بإنفاذ جواسيسه إلى داخل المدن والحصون والقلاع للقيام بنشر الشائعات والأراجيف التي تساعد على إحراق المدينة أو فتح الأبواب أو غير ذلك من الأشياء<sup>(٣)</sup>، أدى ذلك إلى إدراك السلاطين لمدي تأثير الشائعات<sup>(٤)</sup> وبخاصة تلك التي كان يطلقها الأعداء عن طريق عملائهم وبخاصة من التجار، والذين كانوا يستغلون فرصة تعاملهم مع التجار المحليين والمطمئنين إليهم في نشر كثير من الشائعات والأكاذيب، بهدف زعزعة الثقة والأمن والتشكك في الجهد الحربي لدولتهم، ولكن نجد أن السلطات قامت بتعويد الناس على عدم قبول تلك الشائعات<sup>(٥)</sup>، وذلك عن طريق نشر الطمأنينة بين أفراد الشعب بإعلامهم بالأحداث - أولاً بأول - لكيلا يسبق الخصم بتشويه المعلومات<sup>(٦)</sup>.

فضلا عن استخدام الدولة لجواسيسها في التأكد من صدق تلك الشائعات أم كذبها ،وذلك عن طريق إرسال بعض العيون أو القصاد الذين يخصصون لذلك العمل وطمأنة السلاطين والشعب<sup>(٧)</sup>.

(١) الدودار :الدرة الزكية ، جـ٨، ص٢٠٢؛

Amitai: Mangols and Mamluks, P. 155.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ٣٢٤؛ علي السيد : الجاسوسية المملوكية ، ص ١٣٤؛ سليمان عطية : سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص ٣٠٦.

(٣) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٢٢٣.

(٤) الشائعة: هي خبر ينشر كي يصدقه السامع، وينتقل، غالبا، من شخص إلى آخر شفاهة، ولا يعرف - عادة - مصدر الشائعة ، وهي تحوي أحيانا جزءاً يسيراً من الحقيقة، مضافاً إليه كثيرا من الكذب: علي النميري: الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، الخرطوم ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، ١٩٩٧م، ص١٦٨.

(٥) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٢٩-١٣٠ ؛ علي السيد: الإسهام العسكري، ص٣٧٧.

(٦) علي النميري: الأمن والمخابرات، ص١٧١.

(٧) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٠؛ الإسهام العسكري، ص٣٧٧.

وعندما أطلق الفرنج أعوانهم للترويج لإشاعة قيامهم بغزو بلاد الشام عام ١٢٨٤/٥٦٨٥م نجد أن السلطان المنصور قلاوون أرسل من يتأكد له من الأخبار ، فعادوا وأخبروا أن تلك الأخبار كانت شائعة من الشائعات التي اعتادوا إطلاقها<sup>(١)</sup>.

و أشاع "المرجفون"<sup>(٢)</sup> عام ١٣٠٠/٥٧٠٠م بأن التتر قد وصلوا إلى حلب، وأن نائب حلب يهجر إلى حماه، ولكن قامت السلطات بالنداء في البلد بتطبيب قلوب الناس وإقبالهم علي معاشهم<sup>(٣)</sup>.

وعندما أراد تيمورلنك دخول دمشق أرسل بعض أعوانه لكي يقوموا بنشر الإشاعات والأراجيف داخل البلاد تثبط عزيمتهم وقدرتهم علي المقاومة وطلبوا من سكان المدينة مبارخة المدينة، وبالفعل أخذ بعض سكان المدينة في مغادرتها خفيه ولكن نجد أن السلطان فرج بن برقوق أرسل إلى سكان المدينة لكي يعلمهم بخبر قدومه إليهم مما أدى إلى سريان الطمأنينة بين الناس<sup>(٤)</sup>.

ومن الأساليب التي اتخذتها الدولة في الحرص والحذر لمنع تسرب الأخبار إلى الأعداء هو عدم تقريب اللاجئين، وذلك بناء علي تعليمات كبار رجال المخابرات في عدم تقريب كل من أتاهم هارباً من عند ملك من الملوك، أو أمير من الأمراء وبخاصة من المعادين للدولة، والحذر كل الحذر من إفشاء الأسرار أمامهم ومراقبتهم، وعدم السماح لهم بالاختلاط بالجند، مع فرض نوع من العزلة شبه التامة عليهم، وإنزالهم في أماكن مخصصة تختلف باختلاف مكانتهم ومراتبهم وأهمية الجهة الواقفين منها إلى السلطنة، بحيث يجعلون عليهم الكثير من العيون الذين لا ينقطعون عن زيارتهم، والتودد إليهم والتحدث معهم بشتي السبل التي تمكنهم من التعرف علي هويتهم، ثم يخبرون السلطان بحقيقة أمرهم، فقد جاء في النصائح التي وجهها كبار رجال المخابرات أن علي السلطان "ألا يقرب من أتاه هارباً من عند ملك نظيره ولا يقشي له سره بل يكرمه ويبعده عنه، فإن كان هارباً ممن بينه وبين الملك عداوة فلا يشك إما أن يكون قليل الخير ما حفظ خير مخدومة، أو لمكر ما ليطلع علي أحوال الملك ليراسل من هو هارب منه، وربما ينفر خواطر الجند بكلامه"<sup>(٥)</sup>.

ومن الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة للحفاظ علي عدم تسرب الأخبار إلى الأعداء، القيام بمنع رعاياها من المسيحيين — بوجه خاص — من الاتصال بالقوي المسيحية التي كانت لا تزال

(١) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ١٩٤-١٩٧؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٠.

(٢) المرجفون: وهم مثيرو الإشاعات والبلية، ويذكر أيضا أنه صاحب الخبر، الرازي: مختار الصحاح، ج١، ص ٢٣٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦.

(٤) ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشي، ج ٤، ص ٥٨-٥٩؛ ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ١٦؛ ابن شاهين

الظاهر: زبدة كشف الممالك، ص ٥٨-٦٤؛ علي السيد: الإسهام العسكري في معركة عين جالوت، ص ٣٧٧-

٣٧٨-٣٧٩.

مشتبكة في صراع ضدها، ويظهر هذا الإجراء بوضوح في الوصية الصادرة إلى بطريك طائفة الملكانية، وتحذيره بشكل صارم من "أن يأوي إليه من الغرباء القادمين عليه من يريب أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكل أمر ورد عليه من بعيد أو قريب ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد إليه من أحد من الملوك ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي علي مثل هذا السلوك..."<sup>(١)</sup>، وفي وثيقة أخرى جاء تحذير بطريك هذه الطائفة ونقصد طائفة الملكانية صريحاً وواضحاً بأن يمنع جماعته من "الميل إلى غريب من جنسهم" ويتضح من تعدد الوثائق الصادرة إلى هذه الطائفة بشكل خاص وهم سكان الثغور، والذين كان يخشي من اتصالاتهم بأبناء مذهبهم من البيزنطيين ما يدل علي مدي تخوف الدولة من أن يكونوا جواسيس الصليبيين في البلاد.<sup>(٢)</sup>

ويلاحظ أن سلاطين المماليك أصدروا تحذيراتهم المشددة إلى بطريك اليعاقبة، والذين عرفوا بعدائهم الشديد لمسيحي الغرب الأوربي بسبب مذهبهم المنوفيزيتي، بالرغم من كونهم منفصلين عن طائفة الملكانية بسبب هذا المذهب، ذلك بالألا يحاولوا الاتصال سراً بالحبشة، وأن "يتجنب البحر وإياه من اقتحامه فإنه يغرق... وليتوق ما يأتيه سراً من تلقاء الحبشة حتي إذا قدر لا يشم أنفاس الجنوب..."<sup>(٣)</sup>، ومن المؤكد أن السلاطين لم يشكوا يوماً في أن يكون أقباط مصر - وهم اليعاقبة - جواسيس للصليبيين، ولكن كان الهدف من هذا التحذير هو منع الاتصال بينهم وبين الأحباش، وبخاصة إذا عرفنا أن من بين هؤلاء الأحباش كانت هناك مجموعة تعيش في مدينة بيت المقدس، ولها علاقة وثيقة بالصليبيين، وبخاصة طائفة الفرنسيسكان التي لعبت دوراً سياسياً مهماً في تاريخ العلاقات بين سلطنة المماليك والغرب الأوربي في تلك الفترة، ومن هنا أدرك سلاطين المماليك مدي خطورة اتصال اليعاقبة بالأحباش، واحتمال قيام هؤلاء الأحباش بالتجسس علي مصر مستغلين الروابط الدينية التي تجمع بينهم وبين أقباط مصر لخدمة المصالح الصليبية<sup>(٤)</sup>.

أما بالنسبة لليهود فلم يرد في المصادر أي تحذيرات إلى رؤسائهم، وكان السبب في ذلك راجع إلى ضالة أعداد هؤلاء اليهود بالنسبة لغيرهم من أبناء الطوائف الدينية المختلفة وكما أثبتت الدراسات المعتمدة علي وثائق الجينزا اليهودية ذلك<sup>(٥)</sup>، بجانب أنه لم يكن لهؤلاء اليهود دولة تقف خلفهم أو

(١) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٤٥؛ قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر، ص ٨٩؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٢٨.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشي، ج ١١، ص ٣٩٢-٣٩٣؛ قاسم عبده: أهل الذمة، ص ٨٩.

(٣) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٤٦؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٢٨.

(٤) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٢٨.

(٥) قاسم عبده: أهل الذمة في مصر، ص ٨٨؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٢٨.

ساندهم ويخشي منها، مثلما كانت هناك بعض القوي المسيحية التي ساندت بعض الطوائف المسيحية في تلك الفترة<sup>(١)</sup>.

ولحرص السلاطين على منع تسرب الأخبار أصدروا تحذيرات للمسلمين بعدم إيواء الغرباء ولهذا قرر طومانباي شنق كل من يأوي غريباً<sup>(٢)</sup>.

لآتياً: دور التجسس في مواجهه الفتن والثورات الداخلية:

أدى نظام التوريث في الحكم في العصر الأيوبي إلى تقسيم المملكة بين أبناء الأسرة الأيوبية، فأعطى صلاح الدين الأقاليم المهمة لأولاده والأقاليم الأقل أهمية لأخواته، وهذا غرس بذرة النزاع بينهما، وكذلك كان الأمر في العصر المملوكي الذي لم يكن له نظام ثابت متفق عليه لولاية العرش، سواء أكان هذا النظام وراثياً أم غير وراثي. فالمماليك جميعاً سواء، وكبار الأمراء كلهم سواسية، نشأوا نشأة واحدة، لا فضل لأحدهم على آخر، فجميعهم اختطفوا أو أسروا صغاراً، بيعوا واشتروا في أسواق الرقيق، ونشأوا في كنف أساتذتهم الذين أنشأوهم نشأة واحدة أو متقاربة، اعتنقوا وتحرروا في مرحلة معينة من أعمارهم، كل منهم شق طريقة بعد ذلك وأدرك نصيباً من الحياة يتفق وإمكاناته الذهنية والبدنية وغيرها. وبناء على ذلك ظهر منهم من وصل إلى درجة أمير كبير، وهي درجة تؤهله للوثوب إلى منصب السلطنة، ومنهم من ظل أميراً صغيراً. أما كبار الأمراء فلا فضل لأحدهم على آخر إلا بالقوة والشجاعة والدهاء، فإذا مات السلطان القائم أو قتل، فالباب مفتوح أمام كبار الأمراء - جميعاً دون استثناء - ليحاول كل منهم الفوز بمنصب السلطان، مستخدماً طرقه وأساليبه الخاصة، شريفة كانت أم غير شريفة. وهذا هو السر في كثرة الاضطرابات والثورات التي تعرضت لها الدولتين بين حين وآخر، والتي يكمن سببها الحقيقي في إحساس كل واحد بأن له الحق في ملك من قبله، مما يحرك فيه عوامل الخروج عليه، وبالتالي أدى كل ذلك إلى حدوث الكثير من الفتن والثورات والمؤامرات الداخلية.

وقد لعب الجواسيس دوراً كبيراً في القضاء على الفتن والثورات الداخلية، وذلك من خلال نقل أخبارها إلى مقر السلطنة بالقاهرة، وكانت هذه الفتن والمؤامرات تستهدف إما القضاء على الدولة الناشئة، أو الخروج على طاعة الدولة والتحالف مع أعدائها لاسيما الصليبيين والمغول طمعاً في الاستقلال بإحدى الولايات، في حين استهدف البعض الآخر من هذه الفتن حياة السلاطين أنفسهم والأمراء، إلا أن الجواسيس حالوا دون استفحال حركات هؤلاء، وكما اهتم السلاطين بالتجسس على

(١) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٢٩.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ٨٣؛ عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٨٢.

الأمراء وغيرهم من مثيري الفتن نجد أن الأمراء والوزراء استخدموا التجسس أيضاً لإحباط المؤامرات المحاكاة ضدهم، أو رصد تحركات من لا يرغبون فيهم لقتلهم<sup>(١)</sup>.

ومرجع ذلك إلى اهتمام السلاطين بالأخبار والمعلومات، وحرصهم على تواترها إليهم باستمرار فكان الظاهر ببيرس كثير الاهتمام بالاطلاع على أخبار أمرائه وأعيان دولته؛ حتي إنه لم يخف عليه منها صغيرة ولا كبيرة<sup>(٢)</sup>.

وكان للسلاطين في كل بلد صاحب خبر يخبره بحال البلاد وما يقع فيها سواء من مؤيدين له أو معارضين له ويعلم من يثيرون الفتن لكي يتمكن من القضاء عليهم ويكون عنده كل أخبار دولته وما يجري فيها من أحوال، وكان للسلاطين أيضاً عيون على أمرائهم وذلك ليخبروهم بكل تحركاتهم ويعرفونهم بجميع أحوالهم<sup>(٣)</sup>.

وعن طريق عمال البريد الذين كان من واجباتهم ومهامهم مراقبة عمال الدولة والتجسس عليهم، فكانوا بمثابة عين السلطان علي عماله وسائر رجال بطانته<sup>(٤)</sup>.

وكانوا جميعاً يقومون بمراقبة الولاة والمستقطعين والعمال والأمراء الذين كانوا كثيراً ما كانوا يضمرون للملك خلافاً وعصياناً ويتربصون به الدوائر سراً، لكنهم كانوا يكشفون ذلك ويخبرون الملك به، فيركب من وقته وينقض عليهم بغته، فيحقيق بهم ويحيط بأربهم، كما أنهم كانوا يقومون بنقل أخبار الرعية خيرها وشرها، إلى السلطان، فيتولاها السلطان<sup>(٥)</sup>.

ولما قضى علي شاور وضرغام استولي صلاح الدين علي قصر الخلافة وأحكم سيطرته عليه ثم بعد ذلك بدأ يعد العدة من أجل الإنفراد بمصر وجعلها مركزاً للدولة الأيوبية ليكون سلطانها وهو ما دفع كثيراً أنصار الفاطميين في مصر إلى تدبير الكثير من المؤامرات والفتن من أجل القضاء علي الدولة التي يريد صلاح الدين إقامتها في مصر، ولكن صلاح الدين — الذي نشأ في كنف البيت السلجوقي — كان على دراية بمثل هذه الأشياء وكان يعلم جيداً كيف يتعامل معها، وكان تعامله معها عن طريق تنشيط وتفعيل دور العيون والجواسيس، الذين أبلغوه بأن هناك شخص يدعي "مؤمن الخلافة" يقوم بإحكاة مؤامرة الغرض منها التخلص منه، كما أنهم أمدوه بتفاصيل لهذه المؤامرة وهي

(١) مني محمد: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي، ج١، ص ٢١٧.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٣١١؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٢٦٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٧٧-١٨٢.

(٣) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص ٣٩٢-٥٠٢.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشي، ج ١٤، ص ٣٧٢-٣٨٣؛ نظير حسان سعداوي: البريد الإسلامي، ص ٦٨.

(٥) نظام الملك: سياسة نامه، ص ٤٠-٩٤؛ انجيلو كود فيلا: المخابرات وفن الحكم، ص ٦٤.

أنه قام بالاتصال بالفرنجة ليعاونوه في تنفيذ هذه المؤامرة واستطاع صلاح الدين عن طريق هذه الأخبار القضاء علي هذه المؤامرة تماماً<sup>(١)</sup>.

وما كادت ثورة "مؤتمن الخلافة" تنتهي حتي أخبره جواسيسه الذي قام بتفعيل دورهم ونشاطهم بأبلغوه بأن هناك مؤامرة يديرها "الشاعر عماره اليمني" للإطاحة ، به وأنه قام بالاتصال بالصليبيين مثل سابقه من أجل مساعدته علي إتمام هذه المؤامرة ، وبالتالي أدت هذه الأخبار إلى قيام صلاح الدين بالقضاء علي هذه الثورة<sup>(٢)</sup>.

وأتيحت الفرصة أمام صلاح الدين — بعد قضائه علي المؤامرات — لينفذ ما كان يحلم به وكان علي موعد مع عيون نور الدين محمود ؛ فأبلغوه بما فعله صلاح الدين ، ولكن صلاح الدين الحالم بتأسيس الدولة الأيوبية في مصر كان يضع عيونه علي نور الدين محمود وذلك ليبلغوه بما كان يديره له ، وقد علم منهم أنه يقوم بتجهيز جيش في السر ليسير إليه ليحرمه من تحقيق حلمه ، ويأخذ مصر منه ؛ فاستعد له صلاح الدين ، ولكن وفاة نور الدين محمود أنهت الأمر وانفرد صلاح الدين بالحكم<sup>(٣)</sup>.

والملاحظ في العصرين الأيوبي والملوكي أن السلطان لا يكاد يعتلي العرش حتي يظهر له مجموعة من الأمراء المناوئين فيحيكون ضده المؤامرات والدسائس من أجل إقصائه وتوليده أحد الأمراء الكبار منهم أو أحد السلاطين السابقين، وما يكاد الآخر يعتلي العرش حتي تظهر مجموعة أخرى

(١) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٤٣ ؛ نيكتا إلي سيف: السلطان نور الدين محمود، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٩ ؛ المرتضى الزبيدي: ترويح القلوب، ص ١١-١٢ ؛ جميل جمول: مصر

والحروب الصليبية، ص ١١٠ ؛ نيكتا إلي سيف: السلطان نور الدين محمود، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٣) ابن أبي السرور: عيون الأخبار ونزهة الأبصار، مخطوط، ورقة ١٦٠؛ الفيومي: نشر الجمان، مخطوط، ورقة ٨٨

؛ ابن أبي جرادة: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج ٢، ص ٥٠٦.

وظهر ذلك عندما اعتلى الملك الكامل ابن الملك العادل العرش فقام كان مجموعة من الأمراء المناوئين له طوال فترة حكمه بإحاطة المؤامرات ضده من أجل خلع، وتولية بعض الأمراء مكانه إلا أن الملك الكامل اهتم بالعيون والجواسيس ليتمكن من خلالها كشف هذه المؤامرات والقضاء عليها، وقد تمكن من ذلك في الأعوام التالية : ٦١٤هـ/١٢١٧م<sup>(١)</sup>، ٦٢٤هـ/١٢٢٦م<sup>(٢)</sup>، ٦٣١هـ/١٢٣٣م<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م وصلت الأخبار إلى الملك الكامل أن جماعة من الأمراء من مماليك والده يكتبون الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبحرضونه علي أخذ مصر، فأصدر أوامره بالقبض عليهم واعتقلهم وأخذ أموالهم وموجودهم<sup>(٤)</sup>.

كما أخبر عيون وجواسيس الملك الكامل في عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م أن مجموعة من أمراء الأيوبيين يدبرون له مؤامرة مع علاء الدين سلطان سلاجقة الروم من أجل القضاء عليه وجاءوا له بالكتب التي أرسلها هؤلاء الأمراء إلى علاء الدين والتي يتفقون فيها معه علي التخلص من الكامل، وبالتالي احتاط الكامل من ذلك وعاد إلى مصر<sup>(٥)</sup>.

ومع سقوط الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية لم تهدأ عمليات الفتن والمؤامرات التي كان يحكيها الأمراء ضد السلاطين بلد زادت أكثر مما كانت عليه أيام الأيوبيين، ولعبت فيها العيون والجواسيس دوراً كبيراً سواء في تنفيذها أو في الكشف عنها للسلاطين، فعندما اعتلي عز الدين أيبك عرش السلطنة قام بوضع العيون علي مجالس الأمراء لكي يطالعوه بما يقال وبما يدبر له، وكان من بين هؤلاء "القاضي زين الدين يعقوب بن الزبير" الذي كان يعرف اللسان التركي<sup>(٦)</sup>. وقد ظهر دورهم جلياً عندما أخبروه أن الأمير فارس الدين أقطاي يدبر مؤامرة لقتله، وذلك في عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م فاتخذ عز الدين أيبك احتياطاته وعمل الحيلة علي فارس الدين أقطاي وتمكن من قتله، وفر مماليكه إلى الشام<sup>(٧)</sup>.

وبعد انتصار المماليك علي التتار في معركة عين جالوت كان قطز يعلم جيداً أن كثيراً من الأمراء تراودهم فكرة السيطرة علي حكم البلاد، لأنه في ذلك الوقت لم يكن هناك نظام متبع لولاية العرش سوي للأقوي من الأمراء، وهو ما جعل السلطان قطز يقوم بوضع عيونه علي هؤلاء الأمراء

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٨١؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١١.

(٢) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٥.

(٣) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٩؛ سعيد عاشور: مصر والشام، ص ١٣٠.

(٤) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٥.

(٥) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٩؛ سعيد عاشور: مصر والشام، ص ١٣٠.

(٦) المقرئزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٠٤.

(٧) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ٤٢؛ العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٨٥.

يعلم منهم ما يدبرونه له، وبعد سيطرة السلطان قطز على دمشق، كان عازماً على التوجه إلى حلب ليكشف أحوالها ويزيح أعدائها من خراب التتار، وصل إليه من أخبره أن الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري مع جماعة من الأمراء البحرية متكررين له ومتغيرين عليه ويريدون قتله، فضرب وجهه إلى الديار المصرية كإجراء احترازي منهم<sup>(١)</sup> إلا أن ذلك لم يمنع قتله.

وباعتلاء السلطان الظاهر بيبرس عرش السلطنة اهتم كثيراً بالتجسس وقام بتوجيه جزء من نشاطه إلى الداخل، وذلك لأن علاقته بقواده كانت تتسم بعدم الثقة، فكان الجواسيس يقومون بمراقبتهم، ويرفعون التقارير عن تصرفاتهم إلى السلطان، فيعلم منها ما يدبره هؤلاء القواد والأمراء من مؤامرات وقتن له فيواجهها<sup>(٢)</sup>.

وقد دبر مجموعة من الأمراء مؤامرة لاختيال السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م وكان سبب ذلك هو طمع بعضهم في الوصول إلى السلطنة على حساب السلطان بيبرس، ولكن السلطان كشف أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة بفضل أحد جنوده الأمير عز الدين الصفلي الذي نقل تفاصيل هذه المؤامرة، فقام السلطان على الفور بتتبع هؤلاء الأمراء واعتقالهم فترة طويلة داخل السجن وظل أحد هؤلاء الأمراء معتقلاً بأحد السجون حتى مات<sup>(٣)</sup>.

وقد واصلت العيون والجواسيس نشاطهم داخلها في عهد المنصور قلاوون؛ فكانوا يقومون برصد كل المعلومات التي قد تؤدي إلى إحداث فتن أو قلاقل في الدولة للمملوكية، ويطلع السلطان بها في وقتها، فحينما وصلت، الأخبار إلى المنصور قلاوون بازدياد نفوذ الأمير علاء الدين الحراني أحد كبار الأمراء بالكرك، واستبداده بالبلاد المجاورة لها، ورغبته في السيطرة على مصر - قام السلطان برصد تحركاته عن طريق الجواسيس ومعرفة كل شيء عنه حتي تم القضاء عليه<sup>(٤)</sup>. وقد تعرض السلطان المنصور قلاوون لمثل هذه المحاولات في عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م<sup>(٥)</sup>، ٦٨٥هـ/١٢٨٤م<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن أبيك الدوادار: الدرة الزكية، ج٨، ص ٦٠.

(٢) عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ص ٥٥.

(٣) المقرئ: السلوك، ج١، ق٢، ص ٤٩٢؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ١٢٦.

(٤) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ١٣٧؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٦٣.

(٥) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٨٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص ٧٧؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٦٣-٢٦٤؛ المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص ٦٨٥-٦٨٦؛ الكتبي: عيون التواريخ، ج٢١، ص ٢٧٨-٢٧٩؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٢٤؛ محمد عبد الله: الاغتيالات السياسية في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، ص ٢٦٧؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر، ص ١٢٦-١٢٧.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ٣٤٢؛ الكتبي: عيون التواريخ، ج٢١، ص ٣٧٤؛ بيبرس المنصورى: مختار الأخبار، ص ٨٥؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٦٣-٢٦٤.

وعقب وفاة المنصور قلاوون هدأت حدة الفتن والمؤامرة التي قادها الأمراء ضد السلاطين هذوءاً نسبياً عدا المحاولة التي قام بها الأمير حسام الدين طرنتاي<sup>(١)</sup> عام ١٢٩٠هـ/١٢٩٠م ضد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، والتي أعلمه بها "عيون" السلطان الذي وضعهم علي الأمراء فاتخذ السلطان احتياطاته وقبض علي مدبري هذه المؤامرة<sup>(٢)</sup>.

وعندما استولي العادل كتبغا علي عرش السلطنة اهتم كثيرا بالعيون والجواسيس وذلك لأنه كان مغتصباً للعرش، وكان يعلم جيداً أنه سوف يحاك ضده العديد من المؤامرات، وقد حدث ذلك في عام ١٢٩٣هـ/١٢٩٤م عندما أخبرت "عيون" السلطان العادل كتبغا أن هناك مجموعة من الأمراء يديرون مؤامرة من أجل قتلك أثناء الخروج في الموكب، وبالتالي احترز السلطان من ذلك، وأبطل الركوب<sup>(٣)</sup>، وتكررت محاولة أخرى في نفس العام، ولكن الجواسيس كشفوا عنها<sup>(٤)</sup>.

وقد تمكنت عيون السلطان العادل كتبغا من كشف مؤامرة كان يديرها مجموعة من الأمراء، وأبلغوه بها عندما خرج من دمشق متجهاً إلى مصر عام ١٢٩٥هـ/١٢٩٦م، ولكن السلطان كتبغا لم يعبأ بهذا الخبر<sup>(٥)</sup> وهو ما أدى إلى خلع كتبغا من السلطنة.

وقام الأمير بدر الدين البيسري<sup>(٦)</sup> عام ١٢٩٧هـ/١٢٩٨م بالاتفاق مع بعض الأمراء علي تدبير مؤامرة للسلطان لاجين للتخلص منه والانفراد بالسلطنة لنفسه، ولكن أحد خواص البيسري أخبر السلطان، فاحتاط لذلك<sup>(٧)</sup>.

وقد أخبرت مجموعة من الجواسيس السلطان ببيرس الجاشنكير أن مجموعة من الأمراء يكاتبون الناصر محمد ويستحثونه علي العودة إلى مصر لكي ينصبوه الحكم وذلك في عام

---

(١) حسام الدين طرنتاي : هو الأمير حسام الدين طرنتاي المنصوري، كان من جملة مماليك الأمير سيف الدين قلاوون قبل سلطنته، وبعد سلطنته ولاه النيابة عنه بمصر، وعندما تسلط الأشرف خليل بن قلاوون عام ٦٨٩هـ قبض عليه وكان آخر العهد به . شافع بن علي : الفضل المأثور ص ١٣٩ .

(٢) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٥٧.

(٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٤١.

(٤) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩.

(٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣١٣ - ٣١٤.

(٦) بدر الدين البيسري الشمسي : الأمير بدر الدين الصالحي النجمي أحد المماليك البحرية الصالحية أصله كان مملوكاً للأمير شمس الدين قراسنقر الكامل، وعندما آل ملك مصر إلى السلطان لاجين، اعتقله، وظل في الاعتقال حتى توفي عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م .

(٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٠٦.

١٣١٠/هـ ٧٠٩م فقام السلطان بالقبض علي هؤلاء الأمراء وضربهم بالمقارع واحتياط لنفسه<sup>(١)</sup>، وتكررت محاولة أخرى في العام نفسه ، ولكن الجواسيس كشفوا عنها<sup>(٢)</sup>.

وبعد وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٤١/هـ ١٣٤١م شهدت الدولة فترة عارمة من الفوضى وكثرت داخل الدولة المؤامرات والفتن ضد السلاطين، وكان مرجع ذلك إلى ضعف أولاد السلطان الناصر وأحفاده وهو ما دفع هؤلاء الأمراء إلى القيام بالمؤامرات، إلا أن عيون وجواسيس السلاطين وقفوا حائلاً أمام هذه المؤامرات ومكنوا السلاطين من القضاء عليها، وحدث ذلك عام ٧٤٢/هـ ١٣٤١م عندما دبر مجموعة من الأمراء مؤامرة لاغتيال أحمد بن السلطان الناصر محمد الملقب "بالناصر" ولكن أحد "عيونه" الموجودين في مصر وهو يحيى بن ظهر بغا المغلي<sup>(٣)</sup> أرسل إليه رسالة مع بدوي ليحذره من هذه المؤامرة وينصحه بعدم الدخول إلى مصر<sup>(٤)</sup>، وحدث ذلك في الأعوام الآتية أيضاً في عام ٧٤٣/هـ ١٣٤٢م<sup>(٥)</sup> ، ٧٦٢/هـ ١٣٦٠م<sup>(٦)</sup>.

ولم تكن دولة المماليك الجراكسة بأحسن حال من الدولة الأيوبية والدولة المملوكية البحرية؛ إذ قام الأمراء بالفتن والمؤامرات ضد السلاطين بصورة أشد سوءاً مما كانت عليه الدولتان، ومن هنا فقد تعرض سلاطين دولة المماليك الجراكسة للعديد من المؤامرات والفتن في الأعوام التالية : في عام ٧٨٦/هـ ١٣٨٤م<sup>(٧)</sup> ، ٨٠١/هـ ١٣٩٨م<sup>(٨)</sup> ، ٨١٢/هـ ١٤٠٩م<sup>(٩)</sup> ، ٨١٢/هـ ١٤٠٩م<sup>(١٠)</sup>،

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص ٥٥-٥٦؛ ابن الملقن: نزهة النظر في قضاء الأمصار، ص ٤٦.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٢٥١.

(٣) يحيى بن ظهر بغا المغلي : أحد الأمراء بالديار المصرية حضر إلى القاهرة مع ولده ظهر بغا المغلي ، وكان يقرأ على السلطان كتب بوسعيد التي ترد باللغة المغولية ، ويكتب الأجوبة وكان يرد عليه الكثير من أقاربه إلى مصر.؛ ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢ ، وحققه وقدم له ووضع فهرسه محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، أم القرى للطباعة ، ١٩٦٦م ، ص ٣٣٧ .

(٤) المقرئ: السلوك، ج٢، ق٣، ص ٥٧٤.

(٥) المقرئ: السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٣٠.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٣١٢ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٦٠؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٥٠.

(٧) المقرئ: السلوك، ج٣، ق٢، ص ٤٩٣؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٨٧ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية في عهد المماليك، ص ١٣٣-١٣٤.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ٩٢؛ المقرئ: السلوك، ج٣، ق٢، ص ٩١٩ - ٩٢٠؛ سمير حامد: الاغتيالات، ص ١٣٩-١٤٠.

(٩) المقرئ: السلوك، ج٤، ق١، ص ١٢١.

(١٠) المقرئ: السلوك، ج٤، ق١، ص ١٢١.

٨١٤/هـ ٤١١م<sup>(١)</sup>، ٨٣١/هـ ٤٢٨م<sup>(٢)</sup>، ٨٤٢/هـ ٤٣٨م<sup>(٣)</sup>، ٨٦٧/هـ ٤٦٢م<sup>(٤)</sup>، ٨٦٨/هـ ٤٦٣م<sup>(٥)</sup>، ٩١٢/هـ ٥٠٦م<sup>(٦)</sup>. إلا أن جواسيس وعيون السلاطين تمكنوا من الكشف عنها ومساعدة السلاطين في إحباطها والقضاء عليها.

وقد نجح عيون وجواسيس السلاطين في الكشف عن العديد من المؤامرات التي حكت من قبل الأمراء ضدهم، نجد أنهم فشلوا في الكشف عن بعض هذه المؤامرات واستطاع الأمراء تنفيذ والقضاء علي بعض السلاطين؛ فعلي الرغم من اهتمام الظاهر بيبرس بجواسيسه وتوجيه نشاطهم لمراقبة تحركات الأمراء وما يدبرونه له، فإنهم فشلوا في الكشف عن المؤامرة التي دبرها بعض المماليك للتخلص منه حيث إنهم قاموا بدس أحد أتباعهم ليدس السم للسلطان في لبن الخيل ففعل ذلك وشرب السلطان اللبن فمات<sup>(٧)</sup>.

وعندما أراد الناصر محمد بن قلاوون أن يسترد عرش السلطنة مرة أخرى من يد السلطان بيبرس الجاشنكير، نجد أنه قد اعتمد علي الجواسيس لتحقيق ذلك عن طريق وضع بعض الجواسيس علي السلطان بيبرس الجاشنكير لكي يبلغوه بأخباره لحظة بلحظة، وكان من هؤلاء الجواسيس "ابن أيبك الدواداري" - المؤرخ الشهير - ووالده، والذي استطاع الناصر محمد بن قلاوون عن طريقهم استرداد عرشه مرة أخرى<sup>(٨)</sup> علي الرغم من تنشيط السلطان الجاشنكير لجواسيسه الذين فشلوا في الكشف عن ذلك الأمر.

وظهر ذلك أيضا في النزاع الذي كان بين السلطان الناصر فرج بن برقوق والأميرين شيخ، ونوروز والذين تمكنوا عن طريق الجواسيس في التخلص من السلطان الناصر فرج بن برقوق عندما دس عليه أحد الفداويه فقام بقتله بالخنجر، وذلك في عام ٨١٥/هـ ٤١٢م<sup>(٩)</sup>.

(١) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٢١٤؛ المقرئ: السلوك، ج٤، ق ١، ص ١٨٦؛ عبد الغنى عبد السلام: نظام السجون في العصر المملوكي، ص ٧٩؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) المقرئ: السلوك، ج٤، ق ٢، ص ٧٨٣-٧٨٤.

(٣) المقرئ: السلوك، ج٤، ق ٣، ص ١١٢١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص ٢٠٧.

(٤) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٧٩؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر، ص ١٤٤-١٤٥.

(٥) ابن تغري بردى: حوادث الدهور، ج٣، ص ٤٧٩؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر، ص ١٤٥.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص ٩٧؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية في مصر، ص ١٤٥.

(٧) نعمان الطيب: جهود المماليك في مواجهة المغول، ص ٨٠.

(٨) الدوادار: الدر الفاخر، ج٩، ص ١٨٧-١٧٩؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٩) المقرئ: السلوك، ج٤، ق ١، ص ٢٢٤.

ولم تكن المؤامرات العديدة التي حيكت ضد سلاطين الأيوبيين والمماليك من قبل الأمراء الموجودين في مصر فحسب، بل شاركهم فيها نواب السلطنة التابعين للدولتين الأيوبية والمملوكية كانوا يقومون بإحاطة العديد من المؤامرات والفتن من أجل الاستقلال بهذه النيابات والانفراد بحكمها، وقد وصل الحد بهم في بعض الأحيان إلى الاتصال بالأعداء من أجل مساعدتهم علي تنفيذ ما يرغبون فيه، إلا أن عيون وجواسيس الدولتين الأيوبية والمملوكية الذين وقفوا حائلاً من قبل في وجه مؤامرات الأمراء الأيوبيين والمماليك للقضاء عليها وإفشالها، وقفوا أيضاً حائلاً في وجه مؤامرات وتمردات هؤلاء النواب واستطاعوا أن يحافظوا علي تبعية هذه الولايات والنيابات للدولتين الأيوبية والمملوكية، وهو ما حدث بعد وفاة نور الدين محمود، فما كاد صلاح الدين ينفرد بالحكم، حتي قام صاحب حلب بالخروج عليه عام ٥٧١هـ/١١٧٥م، وقام بتدبير مؤامرة للتخلص منه وقتله إلا أن أحد العيون الموجودين لدي صاحب حلب جاء إلى السلطان صلاح الدين وأخبره بهذا الأمر فاتخذ السلطان صلاح الدين احتياطاته فشلت المحاولة ، وتوجه صوب حلب لتأديب صاحبها<sup>(١)</sup>.

وتجددت محاولة التخلص من السلطان صلاح الدين مرة أخرى عام ٥٨١هـ/١١٨٥م عندما قام ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي صاحب حمص وابن عم السلطان صلاح الدين بمراسلة جماعة من الدمشقيين وتآمر معهم علي السلطان صلاح الدين ولكن نجد أن العيون والجواسيس أعلموا السلطان بأخبار هذه المؤامرة، فقام بوضع أحد عيونه ويدعي "الناصر بن عميد" وطلب منه أن يتخلص منه، فاستطاع أن يدس السم له فمات ناصر الدين محمد وتخلص السلطان منه<sup>(٢)</sup>، وتكررت مثل هذه المحاولات في عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م<sup>(٣)</sup>، ٧٥٩هـ/١٣٥٨م<sup>(٤)</sup>.

وبلغ من اهتمام السلاطين بنواب السلطنة أنهم كانوا يضعون عليهم وعلي أبنائهم العيون والجواسيس لمراقبة تحركاتهم للمحافظة علي سلامة العرش من أي مؤامرات، فعندما ذهب الملك الكامل إلى دمشق لمواجهة الناصر داود عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م ولي مكانه ابنه للملك الصالح نجم الدين أيوب نائباً علي مصر ووضع عليه العيون ليبلغوه بالأخبار فجاءته الأخبار أن ولده متوثب علي ملك الديار المصرية وأنه اشترى ألف مملوك لكي يدعم نفسه فعاد الكامل مسرعاً<sup>(٥)</sup> لإحباط هذه المؤامرات التي قام بها نواب السلطنة الذين تحالفوا مع الأعداء من أجل إنجاح هذه المؤامرات والاستقلال بهذه

(١) ابن أبيك الدوادار: الدر المطلوب، ج٧، ص ٦٠؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٧٥.

(٢) تاج الدين شاهنشاه: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حمص، القاهرة، دار المنار للنشر، ٢٠٠٠م، ص ٢٣١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١٣٤؛ محمد أحمد دهمان: ولاية دمشق في عهد المماليك، دمشق، (د.ن)، ١٩٨٤م، ص ١٨٩-١٩٠.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٧٨-٢٧٩؛ المقريزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٤٠.

(٥) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٧.

الولايات وهو ما حدث عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م عندما أخبرت عيون وجواسيس السلطان الظاهر بيبرس أن هناك مجموعة من الأمراء يكتبون التتار ويدبرون معهم مؤامرة للتخلص من السلطان فتم القبض عليهم<sup>(١)</sup>.

واستطاعت "عيون وجواسيس" السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإخباره بخروج نائب سيسى عن طاعة الدولة وإعلان التمرد والعصيان، وانضمامه إلى ملك المغول غازان خان، فأصدر الناصر مراسيمه بخروج الجيش المملوكي لمحاربته والقضاء عليه ، وكان ذلك فى عام ٧٠١هـ/١٣٠٢م<sup>(٢)</sup>.

ولتفوق العيون والجواسيس في الكشف عن معظم المحاولات التي قام بها نواب السلطنة من قبل حاولوا تعطيل عمال التجسس من أجل إنجاح محاولاتهم ففي عام ٧٦٢هـ/١٣٦٠م قام الأمير بيدمر - نائب دمشق -<sup>(٣)</sup> بمساعدة مجموعة من الأمراء ببلاد الشام بالخروج عن الطاعة، وإداراكها منهم بأن هذه الأخبار سوف تصل إلى السلطان عن طريق عيونه الموجودين ببلاد الشام قاموا بقطع وسائل الاتصال البريدي بين دمشق والقاهرة، لعزل الأخبار عن السلطان حتي يتسنى لهم تجهيز الجيش، وهو ما يبين أن هؤلاء المتمردين كانوا علي دراية تامة بما سببه الجواسيس من فشل حركات أسلافهم وعلي الرغم من كل هذه الاحتياطات فقد وصلت أخبارهم إلى السلطان واستطاع القضاء علي تمردهم<sup>(٤)</sup>.

ولكثرة المؤامرات التي تعرض لها السلاطين من قبل الأمراء جعل السلاطين يقومون هم بإحكاكة المؤامرات ضد الأمراء من أجل القضاء عليهم، ولكن احتراف الأمراء في استخدام التجسس جعلهم يكتشفون أغلب هذه المحاولات ويفرون منها عدا بعض المحاولات التي نجح جواسيس السلاطين في تنفيذها ، وذلك في عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م عندما حاول الملك الناصر داود صاحب الكرك، التخلص من أحد أمرائه ويدعي "بكتمر السيفي" ولكن بكتمر السيفي كان له "عيون" لدي الناصر داود فجاءوا إليه وأطلعوه علي ما دبره له ؛ فاتخذ بكتمر خيطة ونجي من هذه المؤامرة<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٦٨؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٣٠؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص٥٩.

(٢) المقرئى: السلوك، ج١، ق٣، ص٩٢٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٦٤.

(٣) الأمير بيدمر : هو بيدمر الخوارزمي أول من ولى نيابة حلب عام ٧٦٠هـ / ثم ولى نيابة دمشق فى أواخر دولة الناصر حسن ، وأراد الانفراد بدمشق إلا أنه تم القبض عليه ، وكان أخر العهد به - ابن حجر : الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٦ - ٤٧ .

(٤) المقرئى: السلوك، ج٣، ق١، ص٦٦.

(٥) يحيى بن الحسن: غاية الأمانى فى أخبار القطر اليماني، ص٣٩٦؛ جمعه جمال عبد العال: الثورات الشعبية فى الدولة الأيوبية، ص١٩٦.

وعندما اعتلى السلطان الملك السعيد بركه خان بن السلطان الظاهر بيبرس عرش السلطنة، قام بتدبير مؤامرة من أجل التخلص من الأمير بدر الدين بيسري الشمس والأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي، ولكن أحد "عيون" الأميرين - وهو سيف الدين كوندك - أرسل إليهما، وأعملهما بالأمر سراً، فاحتاطا لذلك وفرا من هذه المؤامرة<sup>(١)</sup>، وتكررت مثل هذه المحاولات في الأعوام الآتية في عام ١٢٩٣هـ/١٢٩٤م<sup>(٢)</sup>، ١٢٩٨هـ/١٢٩٩م<sup>(٣)</sup>، ١٣٠٧هـ/١٣٠٨م<sup>(٤)</sup>.

كما حاول الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية التخلص من العديد من الأمراء الطامعين في العرش والمنائين له، ولكن عيونهم التي كانت تتدسّ بين حاشيته ورجاله، نقلت ما يدبره إليهم؛ فاحتاط البعض منه، وفرّ البعض الآخر إلى أعدائه وتحالفوا معهم وعندما علم الأمير قراستقر أن الناصر محمد بن قلاوون جرّد له خمسة آلاف فارس للقبض عليه وأعدائه تحالف مع المغول فوصل بعض القصاد من عند السلطان الناصر يبلغوهم بأن السلطان قد أخرج تجريدة وراءهم لكي يأتوا بهم قبل أن يعبروا الحدود مما أدى إلى احترازهم من ذلك<sup>(٥)</sup>، وعندما استقر الحال بقراستقر عند الأعداء نجد أن عيونه أخبرته بأحوال أبنائه وحاشيته وأخبروه أن السلطان لكرم أبنائه وأولاده<sup>(٦)</sup>.

ولقد قام الناصر أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمثل هذه المحاولات في عام ١٣٤٢هـ/١٣٤٣م<sup>(٧)</sup>، ١٣٥٠هـ/١٣٥١م<sup>(٨)</sup>.

ولكثره المؤامرات التي تعرض لها السلاطين من قبل نواب السلطنة جعلهم يقومون بتدبير المؤامرات لأي نائب سلطنة يشعرون نحوه أنه يدبر مؤامرة من أجل الخروج عن طاعة السلطان، وهو ما حدث عام ١٣٨٦هـ/١٣٨٧م عندما دبر السلطان برقوق مؤامرة لاعتقال يليغا الناصري<sup>(٩)</sup> نائب

(١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٠١-٢٠٢-٢٠٣-٢٢٢.

(٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ المقرئ: السلوك، ج١، ق٣، ص ٧٩٠.

(٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٤) محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٤٢؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي، ج١، ص ٢١٧.

(٥) الدوادار: الدر الفاخر، ج٩، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٦) الدوادار: الدر الفاخر، ج٩، ص ٢٥١.

(٧) المقرئ: السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٢٥.

(٨) المقرئ: السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧٤٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٥٠؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٦٠؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٥٠.

(٩) يليغا الناصري: هو يليغا الناصري البلغاري الأتابكي، وهو مملوك بيغا العمري وصاحب الواقعة مع الملك

الظاهر برقوق، ولكن السلطان الظاهر برقوق قبض عليه، وقتله بقلعة حلب؛ عام ٧٩٣هـ/١٣٩٧م؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج٢، ص ٧٩٣-٧٩٤.

حلب وذلك عندما أرسل الأمير تكتمر الدوادر في مهمة تبدو في ظاهرها أنها من أجل إتمام الصلح بين الأمير يلبغا وسودون المظفري أتابك حلب، إلا أنها في حقيقتها بهدف اعتقال الأمير يلبغا الناصر، ولكن نجد أن الأمير يلبغا أخبر بما يدبره السلطان له من أحد عيونه الموجودين في مصر الذي أسرع علي الفور وأبلغه بذلك فاحتاط منهم<sup>(١)</sup>.

وفي أثناء النزاع الذي كان بين السلطان الناصر فرج بن برقوق والأمير شيخ المحمودي قام السلطان الناصر فرج عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م بتدبير مؤامرة مع الأمير بكتمر من أجل التخلص من الأمير شيخ المحمودي، ولكن عيون الأمير شيخ أبلغوه بهذه المؤامرة فاحتاط لنفسه ونجى من هذه المؤامرة<sup>(٢)</sup>.

كما استطاع الأمراء عن طريق العيون والجواسيس أن ينجو من المؤامرات التي دبرها لهم السلاطين نجدهم فشلوا في كشف بعض هذه المؤامرات في الوقت الذي نجح فيه عيون وجواسيس السلاطين في مراقبه هؤلاء الأمراء وإعلام السلاطين بأخبارهم وتمكنهم من القضاء عليهم في بعض الأحيان وهو ما حدث في فترة النزاع التي كانت بين السلطان الناصر محمد بن قلاوون وقراسنقر، حيث نجد أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قام بوضع أحد الجواسيس في العراق وهو "سعد الدين علي جكبين"، لكي يطلعه علي تحركات قراسنقر<sup>(٣)</sup> وأتباعه لحظة بلحظة، حتي أخبره بأن قراسنقر قد عبر إلى بلاد المغول، وعندها اعتمد السلطان الناصر محمد علي الفداويه الذين أرسلهم إلى داخل الأراضي المغولية من أجل قتل قراسنقر<sup>(٤)</sup>، حتي يقال إنه قد هلك بسببه حوالي مائة وأربعة وعشرين فداويا<sup>(٥)</sup>.

وقد قام السلطان الناصر فرج بن برقوق بالاعتماد علي بعض عيونه من أجل التخلص من بعض المناوئين له، وهو ما حدث عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م؛ فكلف بعض عيونه لدي أخوته الأمير إبراهيم

(١) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢١٢-٢٥٦-٢٥٨؛ المقرئى: السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩١-٥٩٢؛ سمر حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٥٤-١٥٥-١٥٦.

(٢) المقرئى: السلوك، ج٤، ق١، ص١٠٩.

(٣) فرهاد دفتري: الاسماعيليون في العصر الوسيط، ص٢٥٩.

(٤) المقرئى: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٥٤؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٥.

(٥) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٩٥-٩٦؛ المقرئى: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٥٤؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٣٢٦-١٧٦؛ الصفدى: تحفة ذوى الألباب، ق٢، ص٢٢١؛ فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ص٢٥٧.

والأمير المنصور والأمير عبد العزيز بدس السم لهم أثناء وجودهم بسجن الإسكندرية وعلي أساسها استطاع الناصر أن ينفرد بالحكم<sup>(١)</sup>.

واعتمد عليهم السلطان المؤيد شيخ المحمودي في جلب المؤيدين إلى صفه للوقوف ضد الأمير نوروز، وهو ما حدث في عام ٨١٦هـ/٤١٣م عندما استطاع السلطان الملك المؤيد شيخ عن طريق أحد دسائسه (الذي دسهم علي الأمير دمرداش ويدعي ألق بلاط وكان يعمل بمنصب نوا دار دمرداش) أن يستميل دمرداش إلى صف السلطان وأقنعه بالذهاب إلى القاهرة بدلا من انضمامه إلى نوروز<sup>(٢)</sup>.

أما السلطان المؤيد شيخ المحمودي فقد اعتمد عليهم في التخلص من ابنه صارم الدين إبراهيم، وذلك في عام ٨٢٣هـ/٤٢٠م عندما جاء أحد عيون السلطان الملك المؤيد شيخ وأبلغه أن ابنه قد اتفق مع بعض الأمراء ووعدهم بأشياء كثيرة مقابل القيام بالقضاء علي أبيه وقتله فقام السلطان بدس أحد عيونه عليه وتمكن من قتله<sup>(٣)</sup>.

كما نجد أن طبيعة الحكم الأيوبي والمملوكي جعلت الأمراء يتطلعون إلى الحكم مستغلين في ذلك ضعف السلاطين، وقد حدث ذلك في النزاع الذي دار بين العادل أخو السلطان صلاح الدين والأفضل والظاهر أبناء السلطان صلاح الدين، والذي استطاع العادل عن طريق عيونه وجواسيسه أن يحسم الأمر لصالحه ويعتلي العرش ويقضي علي الأفضل والظاهر وظهر ذلك عندما دس العادل إلى جماعة ممن في صحبه الأفضل عام ٥٩٥هـ/١١٩٩م بكلام منه "أني أريد الرجوع إلى الشرق، واترك الشام ومصر لأولاد أخي، ففترو الأفضل عن الحرب" وبذل العادل لهم مالا، فمشي ذلك من مكره عليهم وخذلوا الأفضل بأن أشاروا عليه بترك القتال مع العادل حتي يقدم أخوه للظاهر من حلب. فأمسك الأفضل عن الحرب مده، والعادل يكاتب الأمراء ويستميلهم شيئا بعد شيء<sup>(٤)</sup>، ثم واصل العادل استخدامه للجواسيس ليثبت الفرة بين الأفضل والظاهر لكي يحقق النصر عليهم "فدس العادل مكيدة بين الأخوين الأفضل والظاهر، فقد علم عن طريق عيونه في معسكر الظاهر أنه كان له مملوك يقال له: "أبيك" وقد شغفه حبا، ففقدته وظن أنه دخل دمشق فعلق، فأرسل العادل إلى الظاهر وقال له: "إن محمود بن الشكري أفسد مملوكك، وحمله إلى الأفضل" فقبض الظاهر حيثن علي ابن الشكري، وظهر المملوك عنده، فما شك في صدق ما قاله عمه، ونفر منه أخيه وامتنع من لقائه<sup>(٥)</sup> ثم قام العادل بتكثيف

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٤٧؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص٢٩.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٤.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج٤، ج٧، ص١٥٩؛ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي لدولة سلاطين

المماليك، ص١٠٢؛ هشام محمد: الاغتيالات والمؤامرات السياسية، ص٨٣-٨٤.

(٤) المقرئ: السلوك، ج١، ق٢، ص١٤٩.

(٥) المقرئ: السلوك، ج١، ق٢، ص١٥٠.

نشاط جواسيسه لدي الظاهر والأفضل لكي يبلغوه بما يحدث داخل معسكرهم فأبلغوه أن الأفضل قاض بمكاتبة الصلاحية ورغبتهم، وكاتب ميمون القصري، وقام الأفضل أيضاً بمكاتبتهم وانضم إليهم أيضاً الأمير عز الدين أسامه، صاحب عجلون وكوكب، وحلف له، فبلغ كل ذلك للعادل<sup>(١)</sup>، فقام العادل بتبديل مكيدة لكل من الأفضل والظاهر، فقام بمكاتبة كلاهما سراً بأن: "أخاك لا يريد دمشق إلا لنفسه، وقد اتفق معه العسكر في الباطن علي ذلك" فانفعلا لهذا الخبر، وطلب كل منهما من الآخر أن تكون دمشق له فامتنع. فبعث العادل في السر إلى الأفضل يعده بالبلاد التي عينت له بالشرق، وهي رأس عين، والخابور، وميفارقين، وغير ذلك فانخدع الأفضل بذلك وصرف الأمراء الصلاحية والأجناد عندما قدموا إليه<sup>(٢)</sup> وبالتالي استطاع العادل عن طريق ذلك أن يعتلي العرش.

وعندما اشتدت وطأة الصراع الداخلي المبرير بين الأمراء الأيوبيين في عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م لعبت العيون والجواسيس دوراً كبيراً بين هؤلاء الأمراء، خاصة بين الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك الصالح عماد الدين إسماعيل، عندما قام الأخير بإرسال الطبيب سعد الدين الدمشقي من مدينته نابلس ومعه الحمام الزاجل ليُعرفه بكل متجددات الأخبار عن أحوال الصالح نجم الدين أيوب أولاً بأول، وعندما وصل سعد الدين إلى قلعه بعلبك، فأنزله بإحدى دورها، وقام بتبديل الحمام في قفص "سعد الدين" بحمام آخر من حمام قلعة بعلبك، ثم شرع في التخطيط لانتزاع دمشق من سيادة الصالح عماد الدين إسماعيل فأرسل جواسيسه إلى ابن أخيه الملك العادل يعرفه بما عزم عليه، وأنه تحت طاعته، وفي حالة تملكه دمشق سوف يخطب له علي منابرها، ويضرب السكة باسمه، ولما تبين "سعد الدين" حقيقة تلك المؤامرة، كتب البطائق علي أجنحة الحمام بهذا الأمر إلى الصالح عماد الدين إسماعيل ولكنه كلما سرح طائراً وقع في برجه بقلعة بعلبك، فأتى به البراج إلى الصالح نجم الدين أيوب الذي كان يقوم بتزوير تلك البطائق موضحاً فيها أنه جاد في المسير إلى المعسكر الأيوبي وأنه علي الطاعة، ثم يسرح الحمام بتلك البطائق المزورة إلى الصالح عماد الدين إسماعيل فيطمئن قلبه لما فيه، ظناً منه أنها من عند "سعد الدين" وهكذا توالي إرسال العديد من تلك البطائق المزورة حتى حدث ما لا يحمد عقباه، وسقطت دمشق في يد الصالح نجم الدين أيوب وحلت الهزيمة بالصالح عماد الدين إسماعيل<sup>(٣)</sup>.

(١) المقرئزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٥٥.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٥٥-١٥٦.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، ص٢٢٠-٢٢١؛ الدوادار: الدر المطلوب، ج٧، ص٣٣٦-

٣٣٧؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مج٢، ج٣، ص١٦٤؛ ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٥٢٧؛

المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٢٨٥؛ ابن بهادر: فتوح النصر، مخطوط، ورقة ٥٩؛ نبيل محمد عبد العزيز:

الحمام الزاجل، ص٤٧-٤٨؛

Gaudefroy \_ demom byeus: las yriéal, epoqued, p.253.

ولم يكن العصر المملوكي بمنأى عن الفتن و المؤامرات التي قامت بين الأمراء بل اتسعت دأثرتها وتوعدت وتشعبت فمنها ما يقوم بينهم من أجل السيطرة علي بعض الولايات والنيابات الصغيرة وكان يسعى عن طريق المؤامرات للإطاحة بالمناوئين له، ومنها ما يقع من أجل السيطرة علي عرش السلطنة، وقد لعبت فيها الجواسيس دورا حاسما ، وحدث ذلك عام ١٢٩٠هـ/١٢٩١م عندما اشتد النزاع بين أقوش الفارس، و قراقوش الظاهري، فكان أقوش الفارس يريد خلع قراقوش الظاهري من الوجه القبلي، ولكن قراقوش الظاهري علم بذلك الأمر، فقرر القبض علي أقوش واتفق مع مماليكه علي ذلك إلا أن أقوش علم بذلك من قاصده الذي كان موجوداً عند قراقوش فاحتاط أقوش وأحكم السيطرة علي قراقوش وتم القبض عليه<sup>(١)</sup>.

واستطاع الوزير مغلطاي<sup>(٢)</sup> عن طريق جواسيسه تدبير مؤامرة استطاع من خلالها التخلص من أحد المناوئين له وهو الأمير كريم الدين أكرم الصغير، وذلك عندما أخبرت عيون مغلطاي بمكان الأمير كريم الذي كان يوجد نزاع بينهم وذلك في عام ١٣٢٥هـ/١٣٢٦م<sup>(٣)</sup>.

وقد ظهر ذلك واضحاً في عهد أولاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فقد شهدت الدولة فترة عارمة من الفوضى وكثرت داخل الدولة حركات التمرد والعصيان والنزاع بين الأمراء بعضهم البعض، مستغلين في ذلك عيونهم وجواسيسهم الموجودين عند الأمراء، و ضعف السلاطين، ففي عام ١٣٤١هـ/١٣٤٢م قام الأمير بشتاك بتدبير مؤامرة للتخلص من الأمير قطلوبغا الفخري فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا، فبعث إليه من عرفه، وبتهيزات بشتاك وأعلمه أنه علي عزم أن يلقاك في طريقك ويقتلك، فكن علي حذر وبالتالي أخذ حذره<sup>(٤)</sup>، كما تم الكشف عن محاولة أخرى في نفس العام<sup>(٥)</sup>.

ولم يكن عهد: أحفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بأحسن حالاً من أولاده، فقد كثرت حدة الفتن والمؤامرات السياسية بين الأمراء، والتي شارك العيون والجواسيس في الكشف عنها، وهو ما حدث في عام ١٣٦٦هـ/١٣٦٨م عندما تأمر الأمير طغيتمر النظامي<sup>(٦)</sup>، وبعض الأمراء علي اغتيال

(١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٧٦-٧٧-٧٨.

(٢) الوزير مغلطاي : وهو مغلطاي الجمالي، ويعرف بالديك، وكان من مماليك الناصر، وأصبح بعد ذلك من أكبر الأمراء الناصرية، ثم تولى الوزارة بعد ذلك بالإضافة إلى الاستدارية، ثم عزل عن الوزارة، وظل في الاستدارية، ومات في الحج عام ٧٣٠هـ / ١٣٢٨م . ابن حجر : الدرر الكامنة، ج٥، ص ١٢٤ .

(٣) منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية، ج١، ص ٢١٧.

(٤) المقرئ: السلوك، ج٢، ق ٣، ص ٥٦١.

(٥) المقرئ: السلوك، ج٢، ق ٣، ص ٥٦٧.

(٦) طغيتمر النظامي : استقر في تدبير المملكة بعد قتل بليغا الخاصكي الكبير ثم أراد إسماعيل اسندمر الناصري، وكان اتفق معه أن يكونا يداً واحدة، فكانت الغلبة لاسندمر، فأمسك طغيتمر، واعتقل بالإسكندرية، ابن حجر : الدرر الكامنة، ج٢، ص ٣٢٤ .

الأمير أسندمر الناصر<sup>(١)</sup>، ولكن نجد أن أخبار هذه المؤامرة وصلت إلى الأمير أسندمر الذي أسرع باتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنب هذه المحاولة<sup>(٢)</sup>، وتكررت مثل هذه المحاولات في الأعوام الآتية ففي عام ١٣٦٦هـ/١٣٦٦م<sup>(٣)</sup>، ٧٧٨هـ/١٣٧٦م<sup>(٤)</sup>، ٧٨٢هـ/١٣٨٠م<sup>(٥)</sup>، ٧٨٣هـ/١٣٨١م<sup>(٦)</sup>، ٨٠٢هـ/١٣٩٩م<sup>(٧)</sup>، ٨٢٤هـ/١٤٢٠م<sup>(٨)</sup>، ٨٤٢هـ/١٤٣٨م<sup>(٩)</sup>.

ونتيجة للدور الخطير الذي لعبته قبائل العربان علي حدود الدولة المملوكية جعل السلاطين يقومون بتدبير مؤامرات لكي يتخلصوا منهم، ولكن كانت للعربان عيون داخل البلاط المملوكي يخبرونهم بما يدبره السلاطين لهم، وهو ما حدث عام ٦٩٢هـ/١٢٩٣م عندما أراد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون القبض علي مهنا أمير العرب والتخلص منه، ولكن عيونه عند السلطان، أخبروه بذلك وأشاروا عليه بالرحيل دون مقابلة السلطان، فرحل ولكنه وضع أحد العيون عند السلطان، لكي يقف علي ما يقع من السلطان في أمره من الخير والشر<sup>(١٠)</sup>.

وقد دفع ذلك كله العربان إلى القيام بإثارة الفتن في سائر نواحي الدولة وهو ما دفع سلاطين المماليك يضعون العيون علي العربان لكي يخبروهم بما يدبره العربان من فتن، ففي عام ١٣٠٢هـ/٧٠١م وردت الأخبار إلى الناصر محمد بخيوط مؤامرة نسجتها قبائل العربان بهدف إثارة الفتنة في سائر نواحي الدولة، فأرسل إليهم الجيش المملوكي في الولحات والطور والقلزم ووسط البلاد حتي تم حصارهم من كل جانب وقضي علي تمردهم<sup>(١١)</sup>.

- 
- (١) أسندمر الناصري : هو الأمير سيف الدين أسندمر، أتابك العسكر بالديار المصرية، وكان من ممالك السلطان الناصر حسن ثم خدم مع الأمير يلغا، وترقى حتى وصل إلى أمير مائة ومقدم ألف، ثم خرج على طاعة السلطان الأشرف، وقتل عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي، ج ١١، ص ٤٨.
- (٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٤٢؛ المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٤٢؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص ١٥٠-١٥١.
- (٣) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٣١.
- (٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٥٣.
- (٥) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٣٨١؛ عبد الغنى عبد السلام: نظام السجون في مصر في العصر المملوكي، ص ٨٧؛ نجوى كمال كيرة: محاضرات في تاريخ مصر في عصر دولتي المماليك، ص ٢٤٠.
- (٦) محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٦٥؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص ١٥٣.
- (٧) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٠٢٣.
- (٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٣٤؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٥٩.
- (٩) المقرئزي: السلوك، ج ٤، ق ٣، ص ١٠٧٦-١٠٧٧؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٣، ص ٤٤٠-٤٤١.
- (١٠) العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ١٦٠-١٦١.
- (١١) بيبيرس الدواداري: مختار الأخبار، ص ١١٩؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٦٤.

واعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك علي العيون والجواسيس لمراقبة الولاة حتي لا يقومون بأعمال تتناقض مع الشرع والدين والأخلاق، وإن قاموا بذلك أبلغوهم بها فيتحرك السلاطين علي وجه السرعة لردعهم، وحدث ذلك عام ٦٢٤هـ/٢٢٦م عندما أخبر العيون والجواسيس أن الناصر داود الذي تولي دمشق مكان أبوه الملك المعظم يظلم الناس ويتعسف معهم ويأخذ الأموال منهم وقد أقبل علي الشرب واللهو والطرب واشتغل عن مصالح دولته، ولهذا أعد الملك الكامل نفسه للخروج إليه<sup>(١)</sup>.

وكان السلطان الظاهر بيبرس يتنكر وينزل في شوارع المدينة لكي يتجسس أحوال المسؤولين هل يقومون بواجباتهم بدقة وعناية أم لا ففي عام ٦٦٣هـ/٢٦٤م نزل السلطان من قلعه الجبل متنكراً، وطاف بالقاهرة ليعرف أحوال الناس، فرأى بعض المقدمين، وقد أمسك امرأة وكشف سرها بيده، ولم يتقدم أحد لينكر عليه ذلك، فلما أصبح السلطان قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين والخبراء وأصحاب الرباع بالقاهرة<sup>(٢)</sup>، وقد حدث ذلك في عام ٦٧٤هـ/٢٧٥م<sup>(٣)</sup>، ٧٣٦هـ/١٣٣٥م<sup>(٤)</sup>.

ومما سبق يتضح — لنا — أن عيون وجواسيس الأيوبيين والمماليك قاموا بدور كبير في الصراعات الداخلية التي كانت بين الأمراء والسلاطين سواء في تنفيذها أو القضاء عليها، كما قاموا بمراقبة العربان والولاة الذين يقومون بأعمال تتنافي مع الشرع وحافظوا علي وحدة البلاد الداخلية التي لولا ذلك لكانت البلاد في حروب داخلية مستمرة وما بقيت صامدة طوال هذه الفترة.

### (جدول ١)

#### المؤامرات التي نجح الجواسيس في الكشف عنها

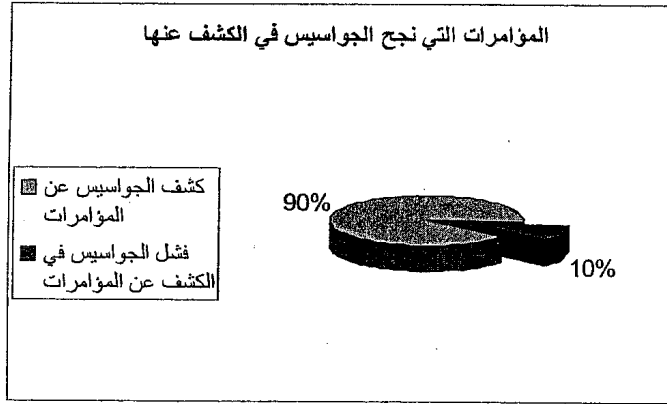
عدد المؤامرات عامة	المؤامرات التي تم الكشف عنها	النسبة النسبة	المؤامرات التي لم يتم الكشف عنها	النسبة النسبة
٧١ مؤامرة	٦٤ مؤامرة	٩٠%	٧ مؤامرات	١٠%

(١) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٥.

(٢) الدوادار: الدرر الزكية، ج ٨، ص ١٠٦ - ١٠٧؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٤٠؛ عبد العزيز الخويطر: الظاهر بيبرس، ص ٥٥.

(٣) الكتبي: عيون التواريخ، ج ٢١، ص ٧٤.

(٤) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص ٣٠٨.

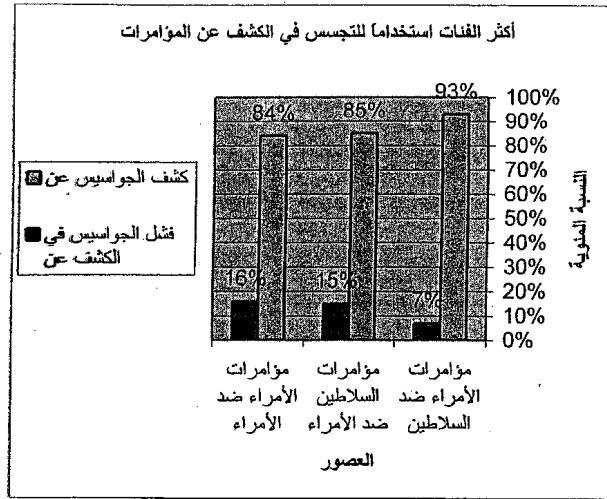


ويتضح من ذلك مدى تفوق الجواسيس في عصر الدراسة في الكشف عن أكبر عدد ممكن من المؤامرات التي حيكّت في ذلك الوقت، والتي وصلت نسبة النجاح فيها إلى ٩٠%.

#### (جدول ٢)

##### العناصر التي حكيّت ضدهم المؤامرات

أنواع المؤامرات	عدد المؤامرات	المؤامرات التي تم الكشف عنها	النسبة المئوية	المؤامرات التي لم يتم الكشف عنها	النسبة المئوية
مؤامرات الأمراء ضد السلاطين	٤٤ مؤامرة	٤١ مؤامرة	٩٣%	٣	٧%
مؤامرات السلاطين ضد الأمراء	١٤ مؤامرة	١٢ مؤامرة	٨٥%	٢	١٥%
مؤامرات الأمراء ضد الأمراء	١٣ مؤامرة	١١ مؤامرة	٨٤%	٢	١٦%



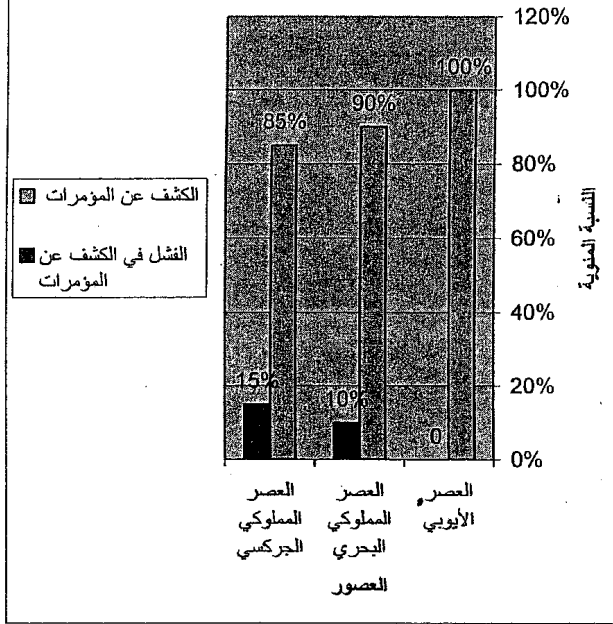
ومن ومن هذا الرسم استنتج مدى تفوق السلاطين واحترافهم في استخدام الجواسيس للكشف عن المؤامرات التي حبكت ضدهم فقد بلغت نسبة الكشف عن هذه المؤامرات مقارنةً بالجالتين الأخرين حوالي ٩٣%، وضعف الأمراء في استخدام الجواسيس للكشف عن المؤامرات التي أحيكت ضدهم فقد بلغت حوالي ٨٥%.

(جدول ٣)

أكثر العصور التي نجح الجواسيس في الكشف عن المؤامرات فيه

العصور	عدد المؤامرات	الكشف عنها	النسبة المئوية	النسبة المئوية	النسبة المئوية
العصر الأيوبي	٨ مؤامرات	٨ مؤامرات	١٠٠%	—	—
العصر المملوكي البحري	٤٢ مؤامرة	٣٨ مؤامرة	٩٠%	٤ مؤامرات	١٠%
العصر المملوكي الجركسي	٢١ مؤامرة	١٨ مؤامرة	٨٥%	٣ مؤامرات	١٥%

• أكثر العصور التي نجح الجواسيس في الكشف عن المؤامرات فيه



ويمكننا من خلال قراءة الرسم البياني السابق اكتشاف مدى تفوق الجواسيس في العصر الأيوبي الذي حقق نسبة الكشف عن المؤامرات فيه ١٠٠%، مقارنة بالعصر المملوكي الجركسي الذي يعد أضعف العصور تحقيقاً للكشف عن المؤامرات فقد بلغت النسبة حوالي ٨٥%.

### ثالثاً: دور التجسس في التخلص من الشيعة:

انتهى المذهب الشيعي في مصر بسقوط الدولة الفاطمية، وقيام الدولة الأيوبية السنية، وتحولت مصر إلى المذهب السني، ولكن ذلك لم يكن نهاية الشيعة في مصر؛ فقد ظهرت محاولات عديدة من الفاطميين الموجودين في مصر لإعادة المذهب الشيعي مرة أخرى، ولكن صلاح الدين كان لهم بالمرصاد وذلك عن طريق العيون والجواسيس الذين كانوا يتابعون كل تحركاتهم ويبلغون السلطان بها مما كفل له القضاء على محاولاتهم<sup>(١)</sup>، فقد أبلغ الجواسيس السلطان صلاح الدين بمحاولة "مؤمن

(١) صلاح مهران: الحركات السياسية والدينية، ص ٣٢٥.

الخليفة" جوهر التي كان يقصد من وراثتها إعادة المذهب الشيعي مرة أخرى والقضاء علي المذهب السني ولكن صلاح الدين قد تمكن من القضاء عليها<sup>(١)</sup>.

وأطلع الجواسيس السلطان صلاح الدين علي محاولة أخرى عام ١١٧٣/٥٦٩م قادها الشاعر عماره اليمني " وكان يقصد من وراثتها إعادة المذهب الشيعي والقضاء علي المذهب السني ؛ فتمكن من القضاء عليها<sup>(٢)</sup>.

وقد حاول بعض الشيعة — وعلي رأسهم ابن السنباطي — إعادة الدولة الفاطمية الشيعية مرة أخرى عام ١١٨٨/٥٨٤م ، ولكن العيون أعلموا السلطان صلاح الدين بها، فتمكن من القضاء عليها، والدليل علي ذلك أن القاضي الفاضل قال للسلطان صلاح الدين: "أيها الملك ينبغي أن تفرح ولا تحزن حيث لم يصغ إلى هؤلاء الجملة أحد من رعيك، ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك يختبرون الناس لسرك ما بلغك عنهم"<sup>(٣)</sup>.

وعندما تمكن صلاح الدين بمساعدة جواسيسه علي التخلص من بقايا الشيعة الموجودين داخل القاهرة بدأ يهتم بجنوب مصر وبدأ يوجههم إلى هناك وذلك لأنه كان مركز توطن الشيعة بعد طردهم من مصر، ولهذا كان حريصاً علي معرفة ومتابعة تحركات هؤلاء الشيعة عن طريق جواسيسه ، ثم القضاء عليهم، إذ بلغه في عام ١١٧٣/٥٦٨م باجتماع بعض الشيعة في الصعيد وإغارتهم علي بعض المدن فأرسل صلاح الدين قواته علي وجه السرعة للقضاء عليهم<sup>(٤)</sup>.

وبدأ صلاح الدين يحاول القضاء علي بقايا الشيعة خارج الحدود المصرية تماماً وذلك في محاولة منه لتوحيد الجبهة الإسلامية المفككة، وللوقوف في وجه الغزو الصليبي وطرد المعتدين، وإذا سعى صلاح الدين لاحتلال قلاع الدعوة الإسماعيلية<sup>(٥)</sup>.

(١) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٤٣ ؛ جمعه جمال: الثورات الشيعية في العصر الأيوبي، ص ١٠-١١.

(٢) المرتضى الزبيدي: ترويح القلوب، ص ١٢ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١، ص ٢٤٣-٢٤٤ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٥٥؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ق ١، ص ٥٣-٥٤؛ علي بن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص ١٨٩؛ سيد علي: الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ص ١٥٨ ؛ جمعه جمال: الثورات الشيعية في الدولة الأيوبية، ص ٣٤-٣٥؛ شلبي الجعدي: طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي، ص ٢٠٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٨٢؛ شلبي الجعدي: طبقة العامة في العصر الأيوبي، ص ٢٠٩.

(٤) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١، ص ٣٠٨ ؛ نظير حسان سعداوي: التاريخ المصري الحربي في عهد صلاح الدين، ص ٣٢٤ ؛ سوسن سليمان: أمن مصر القومي، ص ١٢٢ ؛ جمعه جمال: الثورات الشيعية، ص ٢٧.

(٥) ميشيل لباد: الإسماعليون والدولة الإسماعيلية بمصيف، ٩٠-٩١.

وقد أغار صلاح الدين علي بعض القرى الاسماعيلية في جهات حلب وضرب بزاعه وأعزاز عام ١١٧٦/٥٧١ م<sup>(١)</sup>، وفي العام التالي زحف صلاح الدين الأيوبي بجيشه الكبير إلى مصياف<sup>(٢)</sup> معقل الدولة الاسماعيلية الشيعية وحاصرها حصارا شديدا ولكنه لم يستطع أن يفتحها<sup>(٣)</sup>.

وعندما شعر "سنان" بأن الخطر بدأ يتجه نحوه وذلك بعد قضاء صلاح الدين علي الدولة الفاطمية الشيعية في مصر وعز ذلك في نفسه وشعر بالخطر عندما بدأ صلاح الدين يحاصر قلاعهم، فشرع يعد للأمر عدته، بما أوتي من نكاه وبصيرة واعتبر نفسه وريث دولة الفواطم الشيعية في القاهرة ونهض للدفاع عن آخر إرث لها في الدينا بحزم وعزم. فاختار نفس الطريقة التي تخلص بها صلاح الدين من الفاطميين بمصر وهو التجسس عليهم وتتبعهم وأخذهم بالضرب والعنف<sup>(٤)</sup>.

فوجد أنه قام بتنظيم الجمعيات السرية وقام ببث أعضاء هذه الجمعية من المخبزين السريين في أنحاء دولته والدول المجاورة، وكانت عبارة عن شبكة سرية من المخبزين يرسلونه بواسطة النار والحمام الزاجل الذي مهر في استخدامه الإسماعيليون مهارة فائقة تتمشي مع خططهم وكان الذي يتلقاها بنفسه هو راشد الدين سنان، ولقد جعل سنان من مدرسة الكهف مركزاً لتدريب الفدائية علي هذه الأشياء. حتي إذا بلغ طلابها مرتبة الجدارة في عملهم بعث بهم إلى المناطق المرادة لكي يتم مواجهه الأخطار التي تهدد دولتهم<sup>(٥)</sup>، ومن الأشياء التي تدرب عليها الفدائية غير التجسس والمكاتبات السرية التي تم تدريبهم علي أنواع الأسلحة المختلفة، وضروب القتال، كما لقنوا أفرادها العلوم والفلسفة وعلموهم لغات أهل البلاد المجاورة، وفهم مذاهبهم وأديانهم، فبلغوا بذلك درجة عظيمة من المهارة، وشكلوا شبكه خطيرة، واسعة الأطراف تحيك المؤامرات، وتنفذ الاغتيالات بنجاح عجيب وتحصي الحصون والقلاع وتسهر علي الأمن والنظام، أثناء الليل وأطراف النهار. وتبلغ شيخ الجبل المتربع علي سدة الحكم عن كل ما يجري، وتتفد له ما يشاء<sup>(٦)</sup>.

وبالتالي استخدم سنان الفداوية المدربين علي أعلي مستوي في التجسس والسرية والقتل المحترف وقذف بهم في حلق - سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك<sup>(٧)</sup>؛ فعندما كان السلطان

(١) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الاسماعيلية بمصياف، ص ٩٧.

(٢) مصياف : هي عاصمة الدولة الإسماعيلية، وكانت مركزاً لنشر دعوتهم، وبث فدائيتهم، ولكن بعد انحلال هذه الدولة، وأصبحت مصياف ولاية مهمة من ولايات المماليك، وتقع في القسم الجنوبي من جبال العلويين بجبل البهرة الواقع بين المتوسط غرباً، وتخوم حمص وحماة شرقاً.

(٣) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الاسماعيلية بمصياف، ص ٩٧-٩٨.

(٤) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الاسماعيلية بمصياف، ص ٩٥.

(٥) ميشيل لباد: الإسماعيليون، ص ٦٢-٦٣-٦٤-٦٥.

(٦) ميشيل لباد: الإسماعيليون، ص ٧٦.

(٧) ميشيل لباد: الإسماعيليون، ص ٩٥.

صلاح الدين محاصراً لقلعة حلب أرسل سنان أرسل إليه مجموعة من الفداوية لكي يتخلصوا من صلاح الدين، وانهالوا عليه ضرباً وطعنوا فجرحوه وكادوا يجهزون عليه لولا الزردية التي كان يرتديها<sup>(١)</sup>.

وعندما أرسل سنان جماعة من الفداوية إلى معسكر صلاح الدين متكررين في زي عساكره، واندسوا بينهم دون أن يشعر أحد وانتظروا حتى تسنح الفرصة المناسبة لاغتيال السلطان عام ١١٧١/٥٧١ م ، فوثب عليه فدائي وطعنه بسكين في رأسه فجرحه جرحاً بليغاً، وتمكن جنود صلاح الدين من القبض على هذا الإسماعيلي وقتله<sup>(٢)</sup> ، و تكررت عمليات التجسس على صلاح الدين من قبل الشيعة الإسماعيلية - لدقة معلوماتهم - حتى وصلوا إلى مخدعه وحاولوا قتله أكثر من مرة ، لولا بقضة عساكره وحراسه، وعندما استطاع أحد الفداوية أن يدخل خيمة السلطان صلاح الدين وكاد أن ينجح لولا انكشاف أمره<sup>(٣)</sup>.

وقام سنان بإرسال رسالة إلى صلاح الدين مع أحد فدائيته وطلب من المبعوث أن يسلمها إليه دون أن يكون معه أحد البتة .. فسمح له صلاح الدين - بعد تفتيشه - ولم يكن في حضوره إلا عدد قليل ممن يثق بهم، ولكن المبعوث رفض إلا إذا انفضَّ الجميع فأمر صلاح الدين بإخراجهم إلا مملوكين اثنين قاما على رأسه فطلب المبعوث إخراجهما أيضاً، ولكن صلاح الدين قال له : إنهما لا يفترقان عني ونحن الثلاثة واحد، فقدم رسالتك وإلا انصرف! فالتفت المبعوث إلى المملوكين قائلاً : إذا أمرتكما باسم سيدنا أن تقتلا هذا السلطان فهل تفعلان؟ فردا قائلين : نعم!! فدهش السلطان ...إذا علم أنهما إسماعيليان حشاشان متخفيان في بطانة السلطان<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا أدرك السلطان صلاح الدين مدي خطورة هؤلاء وتفوقهم واعتبر أنه في حالة مصالحتهم سيكونون إضافة كبيرة لعيونه وجواسيسه وذلك بسبب احتراقهم في العمل التجسسي ، وهو

(١) الداودار: الدر المطلوب، ص ٦٠ ؛ علي بن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة، ص ١٩١.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٩٦ ؛ ابن بهادر: فتوح النصر، مخطوط، ورقة ١٨؛ علي بن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص ٤٧؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص ١٢٤؛ محمد عبد الله: الاغتيالات في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص ٢٤٢.

(٣) سعيد عاشور: مصر والشام، ص ٣٩؛ برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب، محمد العزب موسي، بيروت ، منشورات دار المشرق العربي الكبير، ١٩٨٠م، ص ٢٠٤.

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص ١٥٧؛ أحمد الحفناوي: حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، المنصورة ؛ دار الوفاء ، ١٩٨٦، ص ٥٢٤.

ما دفع السلطان صلاح الدين إلى القيام بمصالحتهم علي قلاعهم، وقام بمحالفتهم ليستفاد منهم في محاربة أعدائه من الصليبيين والخارجين عليه<sup>(١)</sup>.

واستمرت أواصر الصداقة بين الأيوبيين والإسماعيلية الشيعية في عهد خلفاء صلاح الدين وفي عهد خلفاء راشد الدين سنان، واعتمدوا عليهم في التجسس، ولكن كلتا الدولتين سارت نحو التفكك والانحلال، بتأثير النزاع الداخلي، والهجوم الخارجي، وعكفت كل منهما علي ذاتها، تدأوي جراح المنازعات والخصومات الداخلية<sup>(٢)</sup>.

واعتمد عليهم السلطان بيبرس في التخلص من كل من عارضه وكانوا تحت طاعته وكانوا من أعظم جنده<sup>(٣)</sup>، وكانوا في أحيان كثيرة يمثلون أو يكونون شبكات سرية داخل أراضي العدو<sup>(٤)</sup>.

واستخدمهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون واعتمد عليهم لدرجة أنه أطلق عليهم سهام الملك الناصر محمد بن قلاوون، حيث كان يرسلهم في السر للتخلص من كل الخارجين عليه، فاستخدمهم للتخلص من قراسنقر المنصوري، وقاموا ضده بهجمات كثيرة منفصلة هلك بسببه حوالي من مائة وأربعة وعشرين فدأويا<sup>(٥)</sup>.

هكذا تم الاعتماد علي العيون والجواسيس للتخلص من الشيعة والقضاء عليهم ولكن نجد أن الشيعة عندما قاموا بتطوير أنفسهم من الناحية الاستخباراتية وبدأوا يواجهون الأيوبيين دفعهم ذلك إلى قيام سلاطين الأيوبيين بضمهم إلى عمال التجسس وعندما جاء المماليك اعتمدوا عليهم أيضاً، ولكن المماليك طوروا من عملهم بضمهم إلى شبكات سرية داخل بلاد الأعداء لتنفيذ مخططاتهم.

#### رابعاً:- دور التجسس في الحياة الاقتصادية:

للحياة الاقتصادية أهمية كبيرة في أي دولة لذا اعتنى السلاطين بها عن طريق توجيه نشاط جواسيسهم تجاه الحياة الاقتصادية، وقد قاموا فيها بدور بالغ الأهمية، وقد أشار العديد من المؤرخين

(١) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠١؛ ابن كنان: حقائق الياسمين، ص ٧٤؛ ميشيل لباد: الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية بمصياف، ص ٩٥-١٠٧.

(٢) ميشيل لباد: الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية، ص ١٠٣.

(٣) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠١؛ ابن أبي السرور: عيون الأخبار، مخطوط، ورقة ١٧٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ص ١٤٨؛ ابن كنان: حقائق الياسمين، ص ٧٤؛ ميشيل لباد: الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية، ص ١١١.

(٤) فرهاد دفتري: الاسماعيليون في العصر الوسيط، ص ٢٦٠.

(٥) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص ٩٥-٩٦؛ المقرئزي: السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٥٥٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٣٢٦-١٧٦؛ الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق ٢، ص ٢٢١؛ فرهاد دفتري: الاسماعيليون في العصر الوسيط، ص ٢٥٧.

إلى الدور الفعال للجواسيس والعيون في الحياة الاقتصادية ومن ذلك قوله : (١) "... إنه يجب عليهم أن يتعلموا أحوال وأخبار السوق من غير إعلام أهله"، وبالتالي اعتمد بعض السلاطين علي العيون والجواسيس في مراقبة أحوال السوق (٢) كما أنهم استعانوا بمجموعة من العامة الموجودين في السوق كعيون يرفعون لهم تقارير يعرفونهم بأسعار السلع والبضائع في الأسواق (٣)، والأوزان والمكاييل، وأحوال التجار في سائر أنحاء الدولة، ليكون علي بيئة بكل صغيرة وكبيرة تتعلق بالأحوال الاقتصادية التي تمر بها دولته، ومرجع اهتمام السلاطين بأسعار السلع وبخاصة أسعار القمح والشعير، لما يترتب علي غلاته من انتشار المجاعات (٤).

ونظراً لأهمية النقود وأثرها علي اقتصاد الدولة كان يجب علي الدولة أن تتفقد الصيارف وتضع من يتجسس عليها (٥) لكي لا تنتشر ظاهرة زيف النقود في الدولة والمتمثلة بإنقاص الأوزان المقررة، أو خلطها بمعادن غير ثمينة، وتتبع المزيفين والكشف عنهم (٦) إلا أن هذا لا ينفي قيام بعض السلاطين بعملية التزييف. فقد وصلت الأخبار إلى السلطان عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م بأن هناك آلة ضرب الزغل تقوم بتزييف العملة في منزل أحد العلماء يدعي الشيخ قوام الدين حسين العجمي الحنفي فتم التسلل إلى منزله وإخراج الآلة (٧).

ناهيك عن الدور الذي لعبته العيون والجواسيس في المحافظة علي أموال الدولة وهو ما حدث عندما أبلغت عيون السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن ابن الجيعان أخرج في الليل صندوقاً فيه خمسة آلاف دينار وعزل ثلاثة آلاف منها لكي يبرطل بها فتم القبض عليه وإرجاعها (٨).

(١) اليوسفي: نزهة الناظر سيرة الملك الناصر، ص ٧٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١١، ص ٩٦؛ ابن الملقن: نزهة الناظر في قضاة الأمصار، ص ٤١.

(٢) سهام مصطفى أبو زيد: الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ١٢٥؛ أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية، ص ١٧٥؛ حسن محمد وآخر، صاحب الخبر، ص ٢٩؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ١٧٩؛ ل. أ. سيمينوفا: صلاح الدين والمماليك في مصر، ص ٢٦١.

(٣) المقريري: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٢٢.

(٤) أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية، ص ١٤٣.

(٥) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر السيد الباز العريني، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ١٤؛ حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص ٣١؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٣٠٩.

(٦) الشافعي محمد أمين: دار ضرب القاهرة ونقودها في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا، ١٩٩٣م، ص ٤٢؛ حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص ٣١.

(٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج ١، ص ٢٦٣.

(٨) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص ٢٦٣.

وبالإضافة إلى ذلك حافظوا علي الأموال السلطانية أيضا من مؤامرات المغول لسرقتها؛ ففي عام ١٢٨٠هـ/١٢٨١م أراد المغول توجيه إحدى الضربات الاقتصادية إلى المنصور قلاوون بالتخطيط للاستيلاء علي خزنة أمواله الخاصة التي تعرف "بخزنة دينار"، بعد أن توصلوا إلى معرفة مكانها وجعلوها أهم أهدافهم ولكن نشاط العيون والجواسيس وقف حائلا دون تحقيق مأربهم، حيث وصلت تلك الأخبار إلى المنصور علي جناح الحمام الزاجل من قبل أحد المناصبين الذي أرسل إليه تفاصيل تلك المؤامرة قائلا له: "يا سلطان الإسلام قد بلغ التتار أن بين يديك خزنة يقال لها خزنة دينار، علي مائة بغل مائتا صندوق، في كل صندوق خمسة آلاف دينار عينا، وقد عينوا عليها وعرفوا جهتها، فانصبوا عليها، فاتخذ حذرك والسلام" فما كان من المنصور إلا أن قام بإخلاء الخزنة من الأموال علي الفور، وقام بتوزيعها علي خاصة أمراءه ومماليكه<sup>(١)</sup>.

أما الدور الرئيسي الذي لعبته العيون والجواسيس في الحياة الاقتصادية فكان في تنشيط حركة التجارة بين الأيوبيين والمماليك، والدول الأخرى، وظهر ذلك عندما أصدر الملك العادل تصريحاً للتجار البيزيين بالاستمرار في التنقل داخل مصر لإثراء الحياة الاقتصادية حتي في أوقات الحرب<sup>(٢)</sup>، وكان ذلك يتم تحت مراقبة العيون والجواسيس الأيوبيين.

كما قام الجواسيس بتأمين الطرق التجارية لمرور التجار في سهولة ويسر وذلك لتنشيط الحركة التجارية، وقد وصلت الأخبار من "الجواسيس" المرابطين بعكا إلى المنصور قلاوون عن قيام جماعة من الصليبيين بقتل عدة أشخاص من التجار الموجودين بعكا والاعتداء عليهم، وذلك في عام ١٢٩٠هـ/١٢٩٠م وعلى أساس هذه الأخبار قام السلطان بنقض الهدنة معهم، وقام بتجهيز الجيش المملوكي لحصار عكا وفتحها<sup>(٣)</sup>، وأخبر الجواسيس السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بقيام صاحب سيس بالاعتداء علي التجار ونهب أموالهم، فقام بالتدخل العسكري من أجل حماية التجار<sup>(٤)</sup>.

#### خامساً: دور المرأة في التجسس:

لقد أكرم الإسلام المرأة، وقلّدها أسمى آيات التكريم، وجعل لها مكانة كبيرة جداً، تفجرت من خلالها طاقات وإمكانات المرأة، فشاركت الرجال في كل شيء في الحياة سواء في الجهاد أو في مجالات أخرى، كما شاركت الرجال في أعمال التجسس وجمع المعلومات.

(١) شافعي بن علي: الفضل المأثور، ص ٧٥-٧٦.

(٢) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢٢.

(٣) شافعي بن علي: الفضل المأثور، ص ١٧٣؛ حسن المناقب السرية، ص ١٣٨؛ العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ١٠.

(٤) المقرئزي: السلوك، ج ١، ق ٣، ص ١٨٤؛ العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ١٤٩-١٥١.

فمتلما اعتمد السلاطين علي الرجال في القيام بأعمال التجسس والمخابرات، اعتمدوا أيضاً علي النساء في التجسس وأعمال المخابرات، وذلك لما تمتلكه النساء من قدرات جعلتهن يقمن بأعمال لا يستطيع الرجال القيام بها في هذا المجال.

وقد ظهر ذلك في أثناء الحروب الصليبية فقد اعتمد عليهن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل في إبلاغه بأخبار الفرنج وأخبار إغاراتهم علي أراضي الدولة الأيوبية، وذلك عن طريق أنهن إذا شعرن بخروج الفرنج من عكا فتحت المرأة طاقة بيتها المقابلة لجبل الكرمل وأشارت للمسلمين بعدد الجنود الصليبيين الذين سيغيرون علي هذه المنطقة وأشارت إلى المكان الذي سيقصدونه، وهو ما جعل الفرنج لا يقصدون مكان، إلا ويجدون عسكر المعظم قد سبقهم إليها<sup>(١)</sup>.

كما ظهر دور المرأة أيضاً عندما عزم الأنبرو علي الخروج إلى الشام، أرسل فارساً من لدنه يستطلع له الأخبار، وكان هذا الفارس علي علاقة بامرأة فرنجية، علمت منه بعض الأخبار، فأرسلت بها إلى المعظم عيسى، الذي كافأها بملابس حريرية وعنبراً وأشياء كثيرة، فلما عاد الفارس ووجد هذه الهدايا عندها سألها عن مرسلها فأخبرته، فذعر أول الأمر، ولكنها مازالت تلتافقه وتتودد إليه حتي اتفاقاً، فكان إذا أتاه خطاب بعد ذلك من الإمبراطور حمله إليها فترسله إلى المعظم مختوماً كما هو، واستطاع المعظم أن يعرف كل شيء عن الأنبرو حتي لا يأتي فجأة إلى البلاد<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن المسلمون فقط هم الذين يعتمدون علي المرأة في عمليات التجسس وإنما اعتمد الصليبيون أيضاً علي المرأة في أعمال التجسس فعندما قام لص مسلم بسرقة طقل رضيع من امرأة فرنجية، فعلم ملوكهم خبرها فسمحوا لها بالتوجه إلى السلطان صلاح الدين فشاهدها اليك فأخبرتهم بقصتها عن طريق المترجم، وأخذوها إلى السلطان وتحدثت معه عن طريق المترجم، فبحث لها عن الطفل وتم إحضاره إلى أمه وأخذته وذهبت إلى معسكر الفرنج<sup>(٣)</sup>، وكانت هذه المرأة أحد جواسيس الفرنج التي أرسلها ملوكهم مستغلين ما حدث لها للتعرف علي أخبار المعسكر الإسلامي وهو ما نجحت فيه؛ والدليل علي ذلك، أنه لم يمكث كثيراً من ذلك اليوم حتي وصل الخبر إلى السلطان بقيام الفرنج بالعزم علي الزحف نحو عكا، فعاد السلطان وركب في ساعته لمواجهة<sup>(٤)</sup>.

ولم يقتصر دور المرأة علي التجسس علي أعداء الدولة في الخارج فحسب، بل اتسع دورها ليشمل الداخل، فشاركت المرأة في كشف المؤامرات التي يحيكها الأمراء وأعداء السلاطين

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٥؛ جمال الدين الشيبان: الجاسوسية في حروب بني أيوب، ص٧٦-٧٧؛ مني

محمد: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي، ج١، ص٢١٦.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٥-١٤٦؛ جمال الدين الشيبان: الجاسوسية الأيوبية، ص٧٧.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٤٠-٢٤١.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٤١.

والمناوئون لهم في الداخل فقد اعتمد عليهم عز الدين أيبك التركماني للتخلص من الملك الصالح إسماعيل، عندما دس عليه من قام بخنقه ثم فارقه ظناً منه أنه قد فارق الحياة، ولكنه فاق، فرأته امرأة ويبدو أنها كانت أحد عيون أيبك التركماني الموجودين عند الصالح إسماعيل، فذهبت إليهم وأخبرتهم أنه قد فاق، فعادوا إليه وخنقوه حتي مات<sup>(١)</sup>.

قام الملك عز الدين أيبك بتدبير مؤامرة لقتل شجر الدر عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م لكن شجر الدر بلغها ذلك عن طريق إحدى النساء الموجودات عند الملك عز الدين أيبك فقامت بتدبير حيلة للتخلص منه، واتفقت علي ذلك مع محسن الجوهرى الخادم وتم قتله<sup>(٢)</sup>.

واعتمد شرف الدين النشو - ناظر الخاص - في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون علي النساء في تحسس أخبار كبار الأمراء وما يحيكوه من مؤامرات سواء له أو للدولة، فقد كان يستخدم النساء العجائز في دخول بيوتهم علي أنهن دلالات يبعن القماش للنساء، ويصبرن عليهن في دفع ثمن هذا القماش المباع إلى أن يستطعن دفع ما عليهن وفي هذه البيوت يسمعن العجائز ما يقال في حق النشو من خير أو شر، وقد نجحت هذه الطريقة في الإيقاع بمجموعة من هؤلاء؛ وهم أولاد ابن الجيعان - مستوفي الدولة - عندما أخبرته أن أحد أولاد ابن الجيعان يسعى في نظر الجيش، والآخر يسعى في نظر الخاص، وأنهم يريدون دفع رشوة من أجل الوصول إلى هذه المناصب فاحتاط النشو من ذلك<sup>(٣)</sup>.

وشاركت المرأة في إنقاذ حياة بعض السلاطين عندما دبر الأمير ألي باي - رأس نوبة الأمراء وأحد المماليك الجراكسة المقربين من السلطان برقوق - مؤامرة لاغتياله عام ٨٠٠هـ/١٣٩٧م، ولكن السلطان برقوق علم من أحد مماليكه تفاصيل هذه المؤامرة بكل دقائقها، كما أبلغته إحدى النساء بذلك وحذرت من زيارة ألي باي لأن مماليكه كانوا لابسين السلاح، وعلي أهبة الاستعداد لاغتيال السلطان برقوق عقب دخول بيت ألي باي الذي كان مدعيًا للمرض لكي يتوجه السلطان إلى بيته فلم يذهب السلطان بفضل تحذيرات هذه المرأة ونجى من هذه المؤامرة<sup>(٤)</sup>.

(١) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٤٨.

(٢) القيسراني: النور اللائح والدر الصادح في اصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٢٣، تاريخ تيمور، ميكروفيلم ٣٦٤٢٦، ورقة ٢٧؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٤٣؛ سعيد عاشور: مصر والشام، ص١٧٩.

(٣) المقرئى: السلوك، ج٢، ق٢، ص٣٨٤؛ حسن فرحات: دور أصحاب الدوايين، ص٢٠٢-٢٠٣؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي، ج١، ص٢١٧.

(٤) المقرئى: السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٣؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٣٧-١٣٨.

سادساً: العقوبات التي طبقتها الدولة علي الجواسيس:

نتج عن نشاط التجسس الأيوبي والمملوكي الكشف عن العديد من جواسيس الأعداء الموجودين داخل البلاد وإلقاء القبض عليهم، وكشف العديد من الخونة الذين يعملون لحساب الأعداء في الداخل وكان واجباً علي الدولة أن تقوم بتوقيع العقوبات عليهم، وقد تنوعت هذه العقوبات ، وفيما يلي سأبرز بعض هذه العقوبات

#### ١- عقوبة القتل

##### • عقوبة القتل بالسيف:

والقتل: هو إزالة الروح عن الجسد كالموت، ولكن إذا اعتبر بفعل الشخص يقال قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت؛ قال تعالى: "أفإن مات أو قتل" (١).

وقد طبقها السلاطين علي الجواسيس، وهو ما ذكره العديد من المؤرخين، بأن عقوبة الجاسوس هو القتل حتي لو كان من المسلمين (٢).

أما عن طريق تنفيذ عقوبة القتل في الشريعة: أنه "إذا أطلق في لسان الشرع القتل كان قتلاً بالسيف؛ لقول النبي (ﷺ): "إن الله كتب الإحسان علي كل شيء، فإذا قتلتم فأحمتوا القتل، وأحسن القتل هو القتل بالسيف" (٣).

وكانت عقوبة القتل غالباً ما كانت تقترن بعقوبات أخرى سابقة، وعقوبات لاحقة؛ ففي كثير من الأحيان كان يسبق عقوبة القتل القبض علي المتهم ثم الحبس أو السجن أو الاعتقال، والضرب والمصادرة. كما استخدمت عقوبات لاحقة مثل التمثيل بالجثة، عن طريق الصلب، أو التشهير أو المصادرة (٤)، كما تنوعت طرق تنفيذ عقوبة القتل بوسائل متعددة مثل الشنق والصلب، والقتل بالسيف والذبح، والسّم، والحرق، والتغريق... وغير ذلك (٥) وكان يسبق عقوبة القتل القبض علي المذنب

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٢ .

(٢) الشوكاني: نيل الأوطار، ج٨، ص٥٧؛ ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٣٩١ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٣٨؛ أحمد شلبي: الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، ط٢، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٤م، ص١١٥؛ فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص١٨٨.

(٣) فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص١٨٨.

(٤) فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص١٩٠.

(٥) فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص١٩٠.

وحبسه، فإذا حكم عليه، كان يخرج من حبسه مقيدا ومعه الحراس إلى مكان تنفيذ العقوبة، ثم يقوم أحد أعوان الوالي وهو المشاعلي، ويعريه ثيابه، ثم يقوم بضرب عنقه أمام جمع غفير من الناس<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه العقوبة تطبق على جواسيس الأعداء الذين تم القبض عليهم داخل الأراضي الأيوبية والمملوكية؛ ففي عام ٥٨٧هـ/١١٩١م تم القبض على جماعة من أعوان الصليبيين كانت معهم كتب للفرنج تخبرهم بحالة القدس، فقام السلطان بضرب رقابهم بالسيف<sup>(٢)</sup>، وتكررت هذه العقوبة في الأعوام الآتية: في عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م<sup>(٣)</sup>، ٦٦٢هـ/١٢٦٣م<sup>(٤)</sup>، ٦٦٤هـ/١٢٦٥م<sup>(٥)</sup>، ٧٢٠هـ/١٣٢٠م<sup>(٦)</sup>. وقد صدرت هذه العقوبة وتم تطبيقها على الخونة والعملاء الذين عملوا لحساب الصليبيين والمغول والعثمانيين ضد الدولتين الأيوبية والمملوكية؛ وذلك إما بكشف أخبارهم لصالح الأعداء أو لمساعدتهم لدخول البلاد وقد حدث ذلك في عام ٦٥٨هـ/١٢٥٦م عندما تم قتل جماعة من المسلمين من أهل دمشق كانوا ينقلون أخبار المعسكر الإسلامي إلى المعسكر المغولي فانكشف أمرهم فتم الحكم؛ فقتلوا بالسيف<sup>(٧)</sup>، وفي عام ٦٥٩هـ/١٢٥٧م اكتشف أن الملك السعيد حسن صاحب الصببية وبانياس كان أحد جواسيس المغول ينقل أخبار المسلمين إليهم، وبالتالي عندما ثبتت عليه التهمة حكم عليه بالقتل فتم ضرب عنقه بالسيف<sup>(٨)</sup>، وقد طبقت مثل هذه العقوبة في سنوات عديدة على

(١) فائق عبد الحلیم: تاریخ العقوبات، ص ١٩١.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٨٤؛ مصطفى علي: الأمراء الطواشية، ص ٩٤.

(٣) ابن وصيف شاه: جواهر البحور، ص ٩٥.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص ٩٩؛ الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١٠٠؛ شافع بن علي: حسن المناقب، ص ٧٥-٧٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٩٨؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥١١؛ العيني:

عقد الجمان، ج ١، ص ٣٨٨؛

Mamluk Espionage, P. 176.: Amitai

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص ٢٥٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٦٠.

(٦) علاء طه رزق: السجون والعقوبات في مصر، ص ١١٩.

(٧) المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٢.

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٥٣.

الخونة والعملاء نذكر منها في عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م<sup>(١)</sup> ، ٦٧٣هـ/١٢٧٤م<sup>(٢)</sup> ، ٧٠١هـ/١٣٠٢م<sup>(٣)</sup> ، ٨٤٣هـ/١٤٤٠م<sup>(٤)</sup> .

#### • عقوبة القتل "شنقا":

الشنق: اشنقت الشيء وشنقته إذا علقته، أي جعلت الوتر في النبل، ويقال: شنق العربية إذا وكأها بالحبل أي علقها<sup>(٥)</sup>.

والشنق : طريقة مشهورة لتنفيذ عقوبة القتل، لكنها طريقة غير واردة في الشريعة الإسلامية. واعتبرها القانون الوضعي طريقة لتنفيذ عقوبة الإعدام في المحكوم عليهم داخل السجن<sup>(٦)</sup>.

وكانت هذه العقوبة تنفذ كالتالي: "كانت المشاعلية تتسلم المحكوم عليه، وتقوم بحراسته وهو مفيد اليدين ونصف جسده العلوي عارٍ من الثياب، ثم يتم لف أحد طرفي حبل المشنقة حول رقبة المذنب والحبل يدور حول بكرة مثبتة في العارضة، أو في منتصف فتحة الباب المراد إتمام العقوبة عليه، أما الطرف الثاني لهذا الحبل فيمر حول البكرة ويتدلى إلى أسفل، حيث يقوم المشاعلي عند تنفيذ حكم الإعدام بشد الخيط المتدلي جهتهم فيدور حول البكرة ويرتفع الجاني من الجهة الأخرى، وفي نفس الوقت تضيق الحلقة الملفوفة حول رقبة المحكوم عليه حتي يتم إزهاق روحه، بأن يكون كامل جسمه قد ارتفع من خلال الحبل المشدود حول رقبته<sup>(٧)</sup>.

(١) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٥١٧، نعمان الطيب: جهود المماليك، ص٥٩.

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٨٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢١٥؛ ابن بهادر: فتوح النصر، ورقة ١٢٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٦٨؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٣٠؛ اللقيمي: نثر الجمان، ورقة ١٥٧؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص٥٩؛ محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص٧٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٦٤؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٥٦.

(٤) المقرئزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص١١٧٠-١١٧١.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢٣٤٢.

(٦) أحمد فتحي سرور: الوسيط في قانون العقوبات، دار النهضة العربية، ج١، القاهرة ١٩٨١م، ص٧؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٠٠.

(٧) مني محمد بدر: العقوبات وطرق تنفيذها من خلال المخطوطات الإسلامية في القرن الحادي عشر (١٣-١٧م)، ج٢، القاهرة، بحث منشور في الملتقى الثالث بجمعية الآثار بين العرب، ٢٠٠٠م، ص١١٣٨؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٠٠.

وقد كانت هذه العقوبة تطبق على جواسيس الأعداء الذين تم القبض عليهم داخل الأراضي الأيوبية والمملوكية<sup>(١)</sup>، وهو ما حدث عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م عندما صدر الحكم بالشنق علي الخونة والعيون الذين كانوا يلونون بالنتر ويطلعوهم علي أخبار المسلمين<sup>(٢)</sup>.

كذلك الأمر صدرت هذه العقوبة وتم تطبيقها على الخونة والعلاء الذين عملوا لحساب الصليبيين والمغول والعثمانيين ضد الدولتين الأيوبية والمملوكية وذلك بكشف أخبارهم لصالح الأعداء وقد حدث ذلك عام ٧٢٣هـ/١٣٢٠م حكم بالشنق علي "الشيخ ضياء الدين عبد الله الزربندي النحوي"، وذلك بعد مثوله بين يدي السلطان الناصر محمد بن قلاوون وثبتت عليه تهمة التجسس والخيانة لصالح العدو<sup>(٣)</sup>، وفي عام ٩٠١هـ/١٤٩٧م حكم بالشنق علي "القاضي سيف الدين الحنفي" بعدما ثبتت عليه تهمة الخيانة ونقل أخبار المعسكر المملوكي إلى ابن عثمان<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م حكم بالشنق علي العربان الذين وجهت لهم تهمة الخيانة عندما قاموا بمساعدة مجموعة من جواسيس العثمانيين علي دخول الأراضي المملوكية في الخفاء دون أن يعلم بهم أحد<sup>(٥)</sup>.

#### • عقوبة القتل توسطاً أو "تنصيقاً":

هي عقوبة تقضي بضرب المحكوم عليه بواسطة السياف، علي أن تكون الضربة قوية تحت السرة فتقسم الجسم نصفين من وسطه فتتهار أمعاء المحكوم عليه علي الأرض<sup>(١)</sup> وقد يستمر حيا هكذا

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢٠٠

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ١٣-١٤؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص ١٢٣؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٨٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ١١٧.

(٤) أميره فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ١٠٧.

(٥) منى إبراهيم: السفارات الأجنبية في مصر، ص ١٤٩.

(٦) المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٠٤؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢١٠.

عشرين دقيقة وهو يتكلم مما يفجع الناظر والسلم<sup>(١)</sup>، واستخدمت في هذه العقوبة سيوف من نوع خاص وهي سيوف ذات قبضتين، عرفت باسم "سيوف الدم"<sup>(٢)</sup>.

وكانت تنفذ عقوبة التوسيط، إما والمحكوم عليه مسمر علي ظهر جمل، أو علي الأرض، وكان سبق عقوبة القتل توسيطاً عقوبات أخرى من بينها الضرب والقبض علي المقتب والحبس، والتسمير والتشهير وقد طبق السلاطين هذه العقوبة علي الجواسيس والخونة لمعاقبهم<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك أن السلطان قطز قام بتوسيط أربعة من رسل التتار كان الغرض من رسالتهم التجسس علي أحوال البلاد فوسط واحد بسوق الخيل، وآخر بباب زويلة، وآخر بباب النصر، وآخر بالريدانية<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٦٦٧هـ/١٣٦٥م تم الحكم علي "شمس الدين بن غراب" بالتوسيط وعلق قطعتين علي باب رشيد وذلك نظراً لخيائته وتواطئه مع الصليبيين أثناء هجومهم علي الإسكندرية<sup>(٥)</sup>، وفي عام ٩٠٤هـ/١٤٨٩م رسم السلطان بتوسيط جان بردي الغزالي، كاشف الشرقية لاتهامه بالخيانة ومراسلة العثمانيين<sup>(٦)</sup> إلا أن هذا المرسوم لم ينفذ.

(١) مني محمد بدر: العقوبات وطرق تنفيذها، ص ١١٤٢؛ فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص ٢١٠.

(٢) البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشي، ص ١٩٠؛ فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص ٢١٠.

(٣) فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص ٢١٠.

(٤) أبو حامد المقدسي: دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حكم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٨٥٥٤، ورقة ٢٤.

(٥) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٤٢٥؛ قاسم عبده: أهل الذمة في العصر المملوكي، ص ١٠٥؛ رزق محمد: الثغور المصرية، ص ٢٣٧.

(٦) فائق عبد الحلیم: تاريخ العقوبات، ص ٢١٤.

• عقوبة القتل تغريقاً :

وقد استخدم السلاطين التغريق للتخلص من الجواسيس والخارجين عليهم<sup>(١)</sup> ، وقد حدث ذلك عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م عندما تم تغريق جماعة ممن كانوا يلوذون بالنتار ويؤذون بالمسلمين عن طريق نقل أخبار المماليك إليهم<sup>(٢)</sup>

٢ - عقوبة التسمير :

وهي من العقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس، وهذه العقوبة عبارة عن تعرية ثياب المذنب ثم يربط على خشبتين على شكل صليب ، ثم تدق أعضاؤه في الخشب (يشبه اللعب وهم على جمال) بمسامير غليظة<sup>(٣)</sup> ، ويطاف به في القاهرة وينادى عليه " هذا جزاء فعله " ويذكر ذنبه<sup>(٤)</sup>

وكان المحكوم عليه بالتسمير تنتهي حياته بأحد ثلاث نهايات:

الأولى : أن يطلق بعد أن يطاف به القاهرة ومصر، ويكون في حالة إعياء شديدة لكونه كان يمتنع من الطعام والشراب وغير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان، فضلاً عما يصيب المحكوم عليه من جراح نتيجة لعملية التسمير مما يجعله في بعض الأحيان يموت بعد أيام من إطلاقه.

الثانية : يموت فيها المحكوم عليه وهو تحت العقوبة أحياناً.

الثالثة : وكان في أغلب الأحيان يوسط المحكوم عليه، أي يضرب وسطه بالسيف<sup>(٥)</sup>.

فقد حكم بالتسمير على جماعة من أعوان التتار كانوا يلوذون بهم ، وينقلون لهم أخبار المعسكر المملوكي<sup>(٦)</sup>.

وقد عثر علي جاسوس عثماني يدعي "أحمد بن الديوان" فقبض عليه، وأمر السلطان قايتباي بتسميره وسلخه وتشهيره علي جمل بالقاهرة<sup>(٧)</sup>.

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢١٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٣-١٤.

(٣) المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٠٤؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢٠٤.

(٤) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢٠٤.

(٥) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢٠٥.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٣-١٤؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص ١٢٣.

(٧) عادل عبد الحافظ: دور خايربك المملوكي، ص ٢٤٤.

### ٣- عقوبة كحل العيون:

وهي عقوبة تتم عن طريق إحماء المراود بالنار، ثم يكحل بها المحكوم عليه. ولم تكن هذه العقوبة شائعة، ويؤكد ذلك ندرة الحالات التي نفذت عليها، وهي عقوبة غير شرعية إلا إذا كانت في إطار القصاص<sup>(١)</sup>، وقد طبقها السلاطين كعقوبة للجواسيس والخونة، وقد تم كحل أعين طائفة من الجواسيس كانوا يلوذون بالنتار عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م<sup>(٢)</sup>.

### ٤- عقوبة قطع اللسان:

هي عقوبة لم تكن شائعة في ذلك الوقت، وهي في الوقت ذاته عقوبة غير شرعية إلا إذا طبقت في القصاص، وقد حكم بها في أغلب الأحوال على بعض رجال الدولة الأمراء والمماليك وقد استخدمها المماليك كعقوبة للجواسيس الذين تم القبض عليهم<sup>(٣)</sup>. فقد قطعت ألسن طائفة من الجواسيس كانوا يلوذون بالنتار في عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م<sup>(٤)</sup>.

### ٥- عقوبة السجن:

وقد طبقت هذه العقوبة على جواسيس الأعداء الذين تم القبض عليهم داخل الأراضي الأيوبية والمملوكية، ففي عصر صلاح الدين تسلس ثلاثة أجانب إلى البلاد ولكن وشي بهم، فقبض عليهم وأودعوا في السجن بوصفهم أعداء للسلطان وقضي اثنان منهم نحبهما في السجن<sup>(٥)</sup>، وفي عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م تم القبض على مجموعة جواسيس للمغول كانوا يريدون عبور الأراضي المصرية وتم اعتقالهم<sup>(٦)</sup>، وقد تم القبض على العديد من الجواسيس وطبقت ضدّهم عقوبة السجن في حالات كثيرة كما حدث في أعوام: ٦٧٢هـ/١٢٧٣م<sup>(٧)</sup>، ٦٨١هـ/١٢٨٢م<sup>(٨)</sup>، ٧٦٧هـ/١٣٦٥م<sup>(٩)</sup>، ٧٨٩هـ/١٣٨٧م<sup>(١٠)</sup>.

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢٣٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٣-١٤.

(٣) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢٣٤.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٣-١٤.

(٥) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢١.

(٦) بيبيرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٩٢؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ٥٠.

(٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٧٤.

(٨) الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٢١٢؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٧١٠؛ علي السيد: الجاسوسية

المملوكية، ص ١٣٤؛ سمير الدروبي، البحوث وحركة الترجمة والتعريب، ص ٨.

(٩) إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، ص ٣٩٩.

(١٠) المقرئ: السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٠٣٥.

، ٨٢٦/هـ ٤٢٣م<sup>(١)</sup> ، ٨٧٧/هـ ٤٧٣م<sup>(٢)</sup>.

وطبقت هذه العقوبة على الخونة والعملاء الذين عملوا لحساب الصليبيين والمغول والعثمانيين ضد الدولتين الأيوبية والمملوكية، ففي عام ٦٥٨/هـ ١٢٥٩م تم اعتقال السعيد الحسن بن عثمان صاحب الصببية بقلعة البيرة وذلك لخيانته وتحالفه مع التتار<sup>(٣)</sup>، ونفذت مثل هذه العقوبة في عام ٦٦١/هـ ١٢٦٢م<sup>(٤)</sup> ، ٦٦٣/هـ ١٢٦٤م<sup>(٥)</sup>.

وقام السلطان الظاهر بيبرس بسجن بعض أمراء العرب وذلك لأنه وصلت إليه أخبار من جواسيسه تفيد بخيانتهم للدولة المملوكية لصالح التتار<sup>(٦)</sup> ، وفي عام ٨٠٣/هـ ١٣٩٩م تم القبض على مخبر ووضع بالحبس عندما جاء من الشام وأخبر بهزيمة نواب الشام من تيمورلنك<sup>(٧)</sup> وفي عام ٩١٧/هـ ١٥١١م تم إلقاء تخري بردي الترجمان في السجن وذلك عندما ثبتت عليه تهمة الخيانة لصالح الفرنج<sup>(٨)</sup>.

وبعد وقعة غزة بأيام قلائل تم الحكم بالسجن علي عبد محاسن بعد ما ثبتت عليه تهمة الخيانة لصالح العثمانيين، كما تم القبض علي مجموعة الجواسيس العثمانيين ووضعهم في السجن<sup>(٩)</sup>.

#### ٦- عقوبة التوبيخ:

تعد هذه العقوبة من العقوبات التعزيرية، كما أنها أيضاً من العقوبات المعنوية التي تحدث ألماً في النفس الإنسانية. وكان التوبيخ علي الفعل يأخذ شكلاً من أشكال القسوة التي تسبب في نفس الجاني ألماً يكون في بعض الأحيان أبلغ من عقوبات أخرى<sup>(١٠)</sup>.

(١) المقرري: السلوك، جـ ٤، ق ٢، ص ٦٣٧.

(٢) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢٧٣.

(٣) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢٥٩.

(٤) المقرري: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٣؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٨٨.

(٥) المقرري: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٦.

(٦) وفاء محمد: ساحل الشام، ص ١٤٤.

(٧) المقرري: السلوك، جـ ٤، ق ٢، ص ٦٣٧.

(٨) علي السيد: التراجمة في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٧؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٩٠.

(٩) السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص ١٥٦؛ عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين ص ٩٤.

(١٠) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ١٤٢.

وقد أكد القلقشندي ذلك بقوله: "وإذا عثر علي ثلة لأحد من جواسيس الدولة - يجب أن يوبخه -  
لنكره أن الخيانة سوف تعود عليه بالوبال في الآخرة"<sup>(١)</sup>.

وصورة تنفيذ هذه العقوبة تتم عن طريق استدعاء المذنب، ويكون التوبيخ والتعنيف بالكلام  
التمثل في الاتهام بالجرم الذي ارتكبه هذا المذنب واستنكار هذا الجرم، والإهانة بالشتم وغيره، ويأتي  
الزجر بعد ذلك ليكون مانعاً من ارتكاب الجرم مرة أخرى<sup>(٢)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى تدرج هذه العقوبة بما يتناسب مع جسامة الجرم المرتكب. كما يختلف  
معاقبة ذوي الهيئة بهذه العقوبة عن غيره ممن اعتاد الإجماع. وقد استخدم السلاطين في هذه العقوبة  
القسوة والمبالغة، وخاصة مع الخارجين على الدولة، وكانوا يتبعون هذه العقوبة يعقوبات أخرى لاحقة  
مثل السجن، والنفي، والضرب، والمصادرة<sup>(٣)</sup>.

وعندما استولي السلطان الظاهر بيبرس علي بلاد الساحل عام ١٢٦٢/٥٦٦١م قام بتوبيخ  
الفلاحين الموجودين في بلاد الساحل ونابلس وفرض الكثير من الأموال عليهم يحملونها إلى بيت المال  
لأنهم كانوا ينقلون أخبار المسلمين إلى الفرنج<sup>(٤)</sup>.

وقد وبخ السلطان قانصوه الغوري الأمير تغري بردي الترجمان والسفير، وذلك عام  
٩١٧/٥١١م فلما حضر بين يديه وجه له تهمة مراسلة الفرنج، وإجماعهم في البلاد، وضبطت  
مراسلات بخطه، فأنكرها، ولكن السلطان وبخه توبيخاً شديداً، ووضع في الحديد وألقاه في السجن،  
وصادر ممتلكاته، وراتب أهله وأولاده<sup>(٥)</sup>.

وفي عصر السلطان طومان باي قام بتوبيخ أبناء السمرقندي ويونس العائلي وختم علي  
حواصلهم وذلك عندما تبين له خيانة كل من إبراهيم السمرقندي ويونس العائلي ووجد عندهم مكاتبات  
للعثمانيين<sup>(٦)</sup>.

(١) القلقشندي: صبح الأعشي، ج٥، ص ١٢٥.

(٢) فائق عبد الحلیم: تاریخ العقوبات، ص ١٤٣.

(٣) فائق عبد الحلیم: تاریخ العقوبات، ص ١٤٦.

(٤) المقریزی: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٨٨.

(٥) فائق عبد الحلیم: تاریخ العقوبات، ص ١٤٦.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٥، ص ٨٤؛ طه عبد العزيز: العلاقات المملوكية العثمانية، ص ٢٧٩.

#### ٧- عقوبة التهديد والإنذار بالعقوبة:

ويقصد بها الترويع والتخويف، بهدف منع الجاني من ارتكاب الجرائم، أو العودة إلى ارتكابها مرة أخرى<sup>(١)</sup>، وتبدو أهمية هذه العقوبة في محاولة منع الجريمة قبل حدوثها، ومنع تكرارها إذا أحدثت، كما أنها من العقوبات المعنوية<sup>(٢)</sup>، ففي عام ١٢٦٢/هـ صدر تحذير من السلطان الظاهر بيبرس لمن بالكرك، بعدم التعامل مع التتار وعدم خيانة الدولة، وذلك بعد ما ثبت أن الملك المغني نائب للكرك يخون الدولة المملوكية لصالح التتار<sup>(٣)</sup>.

#### ٨- عقوبة العزل:

تعد عقوبة العزل نوعاً من العقوبات التعزيرية التي تطبق علي المذنبين وهي حرمانهم من ممارسة وظائفهم، وما يترتب علي ذلك من سلب ألقابهم، وانقطاع راتبهم سواء العيني أو النقدي الذي كان يتقاضاه صاحب الوظيفة، أو المذنب<sup>(٤)</sup>.

وعقوبة العزل يعدها القانون الوضعي "جزاءً تأديبياً" كما أنها عقوبة تبعية وقد تتبع عقوبة العزل عقوبات أخرى مثل الضرب، و التشهير، وتحديد الإقامة، والنفي والمصادرة وغيرها<sup>(٥)</sup>. وهو ما حدث في عام ١٣٦٥/هـ عندما تم عزل ابن عرام عن ولاية الإسكندرية بسبب اتهامه بالخيانة ومعاونة الفرنج أثناء هجومهم علي الإسكندرية<sup>(٦)</sup>.

#### (جدول ٤)

##### أكثر السلاطين تطبيقاً للعقوبات ضد الجواسيس

عدد العقوبات التي طبقت في عصر الدراسة	أكثر السلاطين تطبيقاً للعقوبات	العدد	النسبة المئوية	أقل السلاطين تطبيقاً للعقوبات	العدد	النسبة المئوية
٤٥ عقوبة	السلطان الظاهر بيبرس	١٤	٣١%	السلطان الظاهر جقمق	حالة واحدة	٠,٤٥%

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ١٤٧.

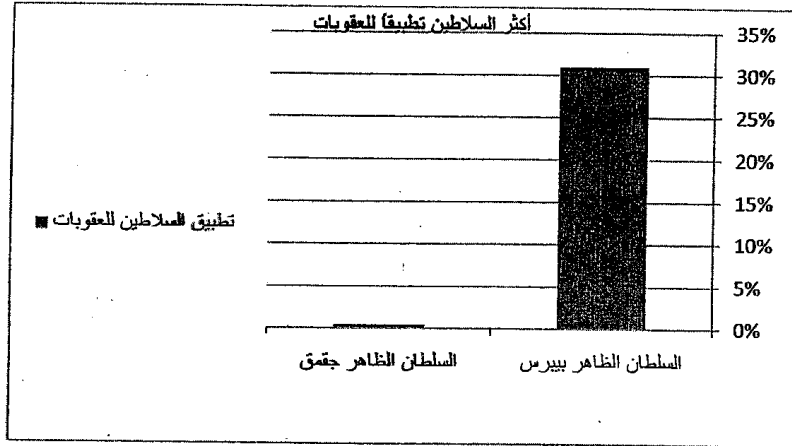
(٢) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ١٤٧.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥١٧.

(٤) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ١٥١.

(٥) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ١٥١.

(٦) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ١٥٨.

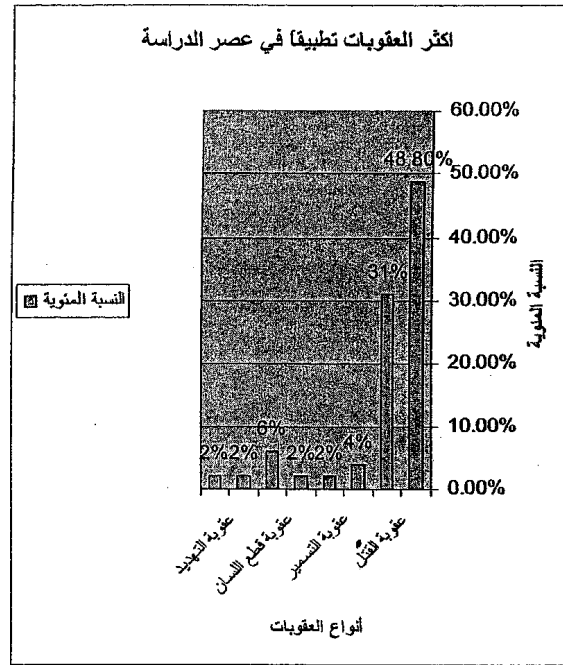


ويُتضح مما سبق أن السلطان الظاهر بيبرس كان أكثر السلاطين تطبيقاً للعقوبات ضد الجواسيس، حيث بلغت النسبة في عهده إلى ٣١% بينما كان السلطان الظاهر جقمق أقل السلاطين تطبيقاً للعقوبات ضد الجواسيس حيث بلغت النسبة ٠,٤٥%.

#### (جدول ٥)

أكثر العقوبات تطبيقاً في عصر الدراسة

النسبة المئوية	عدد حالات التطبيق	أنواع العقوبات
٤٨,٨%	٢٢ حالة	عقوبة القتل
٣١%	١٤ حالة	عقوبة السجن
٤%	حالتين	عقوبة التسمير
٢%	حالة واحدة	عقوبة كحل العيون
٢%	حالة واحدة	عقوبة قطع اللسان
٦%	٣ حالات	عقوبة التوبيخ
٢%	حالة واحدة	عقوبة التهديد
٢%	حالة واحدة	عقوبة العزل



وأستنتج من ذلك أن أكثر العقوبات التي شاع تطبيقها في عصر الدراسة عقوبة القتل بكافة أنواعها (القتل بالسيف- القتل شنقاً- القتل بسيطاً- القتل تغريقاً) وبلغت النسبة حوالي من ٤٨,٨% بينما كانت أقل العقوبات تطبيقاً في عصر الدراسة (عقوبة كحل العيون- قطع اللسان- التهديد- العزل) وكانت نسبة كل عقوبة حوالي من ٢%.

### توصلت الدراسة إلى ما يلي:

أوضحت الدراسة أن حيوان الإنسان ورثه كذا جسمه من قردة الشمبانزي، وأن الإنسان يقوم بالإثبات على هذا التماثل وهو يرجع إلى أن قردة الشمبانزي لها نفس المظهر على كل ما تدور وبلاغة بها، وكان يعاونه في الإدارة مجموعة من النسلين، وأن قردة الشمبانزي تكون قوية عندما تكون الدولة قوية وتضعف عندما تضعف الدولة، وكان الإنسان في بداية الأمر يستند إلى القوادس ثم بعد ذلك أسست إلى زعماء الدولة.

كذلك أوضحت الدراسة أن عمل الرئيس الأجنبي والملوكية القبلية كانوا يعملون على خدمة الدولة وكانوا يهتمون بأعمالها في الخارج واهتمام الخارج على الدولة في الداخل.

أوضحت الدراسة أن الدولة الملوكية القبلية كانت تعمل استخداماً لعمال القنصلية، كانت الدولة القبلية من 1914، أما كانت قبل الدولة استخداماً لهم للعصر الأجنبي فبعد الحرب العالمية الأولى، وكان كل المسلمين استخداماً لعمال القنصلية السلطان بيبرس الندي، كانت سنة 1914 على عمل القنصل في عهد السلطان العادل الأديب الذي

### الخاتمة

استنتجت الدراسة أن اختيار عمل القنصل كان يتم وفق ضوابط وشروط، كانت لابد أن تكون القنصلية في الدولة لم تكن الدولة لم تنحل عليهم بالإتفاق فعملت لهم الرواتب المستحقة.

أوضحت الدراسة أن قردة الشمبانزي كان لها الهيكل الأوراني والملوكية القبلية في العمل القنصلية، وجمع المعلومات عن الأعضاء وتوصلها إلى السلاطين، وكانت منه فرق نظام سيرة الحيوان، فكانت هذه الفرق هي (فرقة طلائع الحسكر) - فرقة القنصل - فرقة الكشافة (فرقة الشرطة).

أوضحت الدراسة أن بعض الأعضاء والمعلمين التي تضمنت في مجال القنصل وجمع المعلومات في القنصلية في (القنصلين) ويذهب شرف البحرية المتمثلة في (الأغلبية العظمى) - بعض (الزواوي) وبعض العمالات (السلاطين) التي أرسلها السلاطين إلى

تحتل جميع (السلطات) عند الأوربيين والمسلمين مثلها القنصل، حيث لم تكن مهمة القنصل على رسالة فقط، بل كانت هناك الخرافات الخمسة للقنصل، وكان الأسرى

## الختامة

- توصلت الدراسة إلي عدد من النتائج نعرض لها بإيجاز فيما يلي :-
- أوضحت الدراسة أن ديوان الإنشاء ورئيسه كانا المسؤولين عن إدارة التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي ، وكان يقوم بالإشراف علي عمال التجسس وتوجيههم إلي أراضي الأعداء لتجسس أخبارهم والتعرف علي كل ما يدور وإبلاغه بها ، وكان يعاونه في الإدارة مجموعة من العمال ، وتبين أن إدارة التجسس تكون قوية عندما تكون الدولة قوية وتضعف عندما تضعف الدولة ، وكانت إدارة التجسس في بادئ الأمر تسند إلي الدواوير ثم بعد ذلك أسندت إلي رئيس ديوان الإنشاء .
  - كشفت الدراسة عن العديد من عمال الدولتين الأيوبيه والمملوكية الذين كانوا يعملون علي خدمة الدولة والقيام بتجسس أخبار الأعداء في الخارج و أخبار الخارجين علي الدولة في الداخل .
  - أثبتت الدراسة أن الدولة المملوكية البحرية كانت أكثر الفترات استخداماً لعمال التجسس ، حيث بلغت النسبة حوالي من ٥٤ % ، بينما كانت أقل الفترات استخداماً لهم العصر الأيوبي فقد بلغت النسبة ١٧ % ، وكان أكثر السلاطين استخداماً لعمال التجسس السلطان بيبرس الذي بلغت نسبة الاعتماد علي عمال التجسس في عهده ١٤ % ، وكان السلطان العادل الأيوبي أقل السلاطين اعتماداً عليهم فقد بلغت النسبة ٧٠,٠ % .
  - أوضحت الدراسة أن اختيار عمال التجسس كان يتم وفق ضوابط وشروط كانت لا بد أن تتوفر فيمن يعمل بهذه الوظائف ، كما أن الدولة لم تبخل عليهم بالإتفاق فجعلت لهم الرواتب المادية والمعنوية وأعطتهم بسطاء .
  - توصلت الدراسة إلي وجود بعض الفرق داخل الجيش الأيوبي والمملوكي تخصصت في مجال التجسس وجمع المعلومات عن الأعداء وتوصيلها إلي السلاطين وكانت هذه الفرق تتقدم مسيرة الجيوش دائماً وتمثلت هذه الفرق في ( فرقة طلائع العسكر - فرقة اليزك - فرقة للكشافه - فرقة السرايا ) .
  - كشفت الدراسة عن وجود بعض الأشخاص والسفن التي تخصصت في مجال التجسس وجمع المعلومات في البحر وتمثلت في ( الغواصين ) وبعض السفن البحرية المتمثلة في ( الأغرابه - الشيطي - دغيص - الزوارق ) وبعض الحملات الاستطلاعية التي أرسلها السلاطين إلي بلاد الأعداء لتجسس أخبارهم .
  - تعددت مصادر جمع المعلومات عند الأيوبيين والمماليك فكان منها السفراء ؛ حيث لم تكن مهمة السفير تبليغ رسالة فقط ، بل كانت هناك أغراض تجسسية للسفراء ، وكان الأمر

يمثلون أحد أهم مصادر جمع المعلومات ، وليس هذا فحسب بل كان المستأمنون والوافدون السياسيون من المصادر المهمة لجمع المعلومات ، فقد قاموا بأعمال تجسسية وقدموا معلومات كبيرة للأيوبيين والمماليك ، وقد لعب التجار والمسافرون وقبائل العربان ورجال الدين والمهزومون في الحروب وأهالي البلاد المفتوحة والحجاج والعبيد والرقيق والخدم والمتطوعة وعامة الناس والشبكات السرية والأعوان دوراً بارزاً وكانوا يمثلون أهم مصادر جميع المعلومات .

- أثبتت الدراسة أن هذه الفرق وهؤلاء العمال استخدموا بعض الوسائل لنقل هذه المعلومات المهمة عن الأعداء إلي السلاطين والمسؤولين في الدولة وتمثلت هذه الوسائل في سفن البريد والسهام ، والخيول والهجن و الإبل ، الا أنهم وجدوا هذه الوسائل بطيئة جداً فعملوا علي إيجاد وسائل أخرى أسرع فلجأوا إلي استخدام الحمام الزاجل ، والتراسل بالنار والدخان ، لأن الأعداء قاموا برصد هذه الوسائل وعملوا علي تعطيلها .
- كشفت الدراسة عن الطرق والأساليب التي اعتمد عليها عمال التجسس لإخفاء الرسائل والكتب التي يرسلوها إلي السلاطين ليطلعوهم بأخبار وأحوال الأعداء وقد ذكر القلقشندي العديد من هذه الطرق وخصص لها باباً في كتابه " صبح الأعشى " فكان منها :-
  - الحبر السري في الكتابة وقد ذكر العديد من الطرق لصناعة الحبر السري
  - التعمية بالرموز والإشارات.
  - التعمية بالغة عن طريق الأرقام والحروف .
- أوضحت الدراسة دور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية وكيف تمكن السلاطين الأيوبيون والمماليك من مواجهة هذه الأخطار بفضل المعلومات التي وصلت منهم.
- كشفت الدراسة عن اعتماد الصليبيين والمغول والعثمانيين علي التجسس في غزوهم للدولتين الأيوبية والمملوكية، وكيف استطاعوا عن طريقهم السيطرة علي بعض المناطق الإسلامية ، وكيف تمكن العثمانيون في النهاية من السيطرة علي الدولة المملوكية وإقامة الخلافة العثمانية في مصر والشام بفضل امتلاكها للجواسيس والخونة .
- بينت الدراسة الإجراءات الوقائية التي اتخذها الأيوبيون والمماليك لمنع تسرب المعلومات للعدو وهو ما يسمى " بالتجسس الوقائي " عن طريق حفظ الطرق وحماية الثغور والحرص والحذر من تسرب المعلومات والأخبار إلي العدو.
- أثبتت الدراسة اعتماد الأمراء والسلاطين علي العيون والجواسيس في حسم المؤامرات والفتن التي دبوها لبعضهم البعض، وكيف نجح عيون وجواسيس السلاطين في الكشف عن أكبر عدد ممكن من هذه المؤامرات حيث بلغت النسبة ٩٣% مما يبرهن علي احتراف السلاطين في استخدام التجسس علي الأفراد .

- أوضحت الدراسة دور التجسس في التخلص من الشيعة في مصر والشام وكيف استطاع سلاطين الأيوبيين والمماليك عن طريق الجواسيس من التخلص من الشعبية والقضاء عليهم ، إلا أنهم استخدموا أسلوب التجسس في التخلص من سلاطين الأيوبيين والمماليك الأمر الذي دفع السلاطين إلي التحالف معهم وضمهم إلي عمال التجسس للقيام بمهام الاغتيالات ضد المناوئين والأعداء .
- بينت الدراسة دور التجسس في مراقبة حالة الأسواق وكيف تمكنت من إنعاش الحالة التجارية في الدولتين الأيوبية والمملوكية وساعدت علي تنشيط هذه الحركة مع الأعداء علي الرغم من الحروب التي كانت بينهم كما حافظت علي أموال السلاطين من وصول أيدي الطامعين لها .
- أوضحت الدراسة دور المرأة البارز في أعمال التجسس في الخارج والداخل ، وكيف استطاعت أن تحصل علي الكثير من المعلومات التي لم يستطع الجواسيس الرجال في التعرف عليها .
- توصلت الدراسة إلي العقوبات التي طبقتها الدولة علي الجواسيس والخونة الذي تم القبض عليهم والكشف عنهم داخل الأرض الأيوبية والمملوكية ، وتنوعت هذه العقوبات مابين القتل والتوسيط والتسمير وغيرها من العقوبات الكثيرة التي تم ذكرها ، وتبين أن أكثر هذه العقوبات تطبيقاً كانت عقوبة القتل بكافة أنواعها حيث بلغت نسبتها حوالي من ٤٨,٨% .

هذا ما عهد الله لفلان أمير المؤمنين أبي طالب بن علي بن أبي طالب  
 بطريق الشريعة، واستطاع حوله ومزاجته في من أمره وشيئته  
 عهد أمير المؤمنين إلى أخيه ما عهد به من الاستطاع وقدر عهده من الكفاية  
 الملقب بها بغيره، والحق بما عهد ومشيءه وإن يقبل من يستحق به في عهد ومشيءه  
 من من عهد ومشيءه، وأما عهد ومشيءه وقدره الصبر فيما يسئل عن عهد ومشيءه  
 من يستحقه (إن) من الكفاية وقدره من يستحق منهم حتى العتبة والهرج

أو من عرف حاله في العهد والمشيء في ما يورث عليهم أمره، ويتفق ذلك في عهد  
 ومشيءه استطاع العهد ومشيءه من عهد ومشيءه في عهد ومشيءه أن يعرف حال  
 العهد وما من عهد من العهد والمشيء، ويتفق في عهد العهد فيما يستحق منه من  
 العهد والمشيء أن لا يورث العهد ومشيءه به مشروحا ملخصا مفصلا وأمره أن يعرف ما

### النصوص والخرائط

في أمثال الحكم في أمثالهم ومشيءهم ولا يكتب من ذلك، إلا بما يصح

في عهد ومشيءه  
 وأمره أن يعرف حاله في العهد والمشيء في ما يورث عليهم أمره، ويتفق ذلك في عهد  
 ومشيءه استطاع العهد ومشيءه من عهد ومشيءه في عهد ومشيءه أن يعرف حال  
 العهد وما من عهد من العهد والمشيء، ويتفق في عهد العهد فيما يستحق منه من  
 العهد والمشيء أن لا يورث العهد ومشيءه به مشروحا ملخصا مفصلا وأمره أن يعرف ما

وأمره أن يكون ما عهد من الأخبار شيئا ينق يمحته ولا يدخل شيئا في شيء منه، ويسوغ  
 العهد والمشيء أن لا يورث العهد والمشيء، وكانوا على العهد منه وأن يتناول في ذلك بما  
 العهد في عهد ومشيءه، هذا يعني الشهادة فيه ولقد الخطوط بما يورث العهد به، والعقبة الشواهد  
 للدلائل بما يمكن قاستها عليه، وإن لا يورث عن شيء لا يورثه، ولا يحلوا لعدا يستره وإن يكتموا  
 أمرهم ولا يورثوها ولا يورثوا إلى كتمانها وإشهادها لأن ذلك لا يورث هذا ولأن الحيلة متطرفة

## متحق رقم (١)

### عهد ولاية البريد<sup>(\*)</sup>

هذا ما عهد عبدالله، فلان أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ولاء أعمال البريد بناحية كذا أمره بتقوى الله وطاعته، واستشعار خوفه ومراقبته، في سر أمره وعلائيته، وأن يجري أمره فيما استكفاه أمير المؤمنين إياه، بحسب ما بدأ به من الاصطناع، وقدره عنده من الكفاية والإطلاع. وأمران يؤثر الصدق فيما ينهيه، والحق فيما يعيده ويبديه، وإن يختار من يستعين به في عمله، ويشركه في أمانته من يثق بصناعته، ونزاهته وطيب طعمته، وتحريره الصدق فيما يصدر عن يده ولهجته، وأن يكون من يستعمله (من) أهل الكفاية والغناء دون من يستعمل منهم على العناية والهوى.

وأمره، أن يعرف حال عمال الخراج والضبايع في ما يجري عليهم أمرهم، ويتتبع ذلك تتبعاً شافياً، ويستشفه استشفافاً بليغاً، وينهيه عن حقه وصدقه ويشرح ما يكتب به منه وأمره أن يتعرف حال عمارة البلاد وما هي عليه من الكمال والاختلال، ويجري في أمور الرعية فيما يعاملون به من الإنصاف، والجور والرفق والنصف، فيكتب به مشروحاً ملخصاً مبيناً مفصلاً وأمره أن يتعرف ما عليه أحوال الحكام في أحكامهم، وسيرتهم وسائر مذاهبهم، وطرائقهم ولا يكتب من ذلك، إلا بما يصح عندهم ولا يرتاب به.

وأمره أن يتعرف حال دار الضرب، وما يجري عليه مما يضرب فيها من العين والورق، وما يلزمه المرضى من الكلف، والمؤن ويكتب بذلك على حقهم وصدقه. وأمره أن يوكل بمجلس عرض الأولياء وعطيائهم، من يراعيه ويطلع ما يجري فيه، ويكتب بما يقف عليه من الحال في وقته.

وأمره أن يكون ما ينهيه من الأخبار شيئاً يثق بصحته ولا يدخل شبهة في شيء منه، ويوعز إلى خلفائه وأصحابه أن لا ينهو إليه إلا ما يثبتونه، وكانوا على الثقة منه، وأن يحتاط في ذلك بما يحتاط به في مثله شهادة، فيما يمكن الشهادة فيه وأخذ الخطوط بما يتهاى أخذها به، وإقامة الشواهد والدلائل، بما يمكن إقامتها عليه، وإن لا يرووا عن شيء لا يعلمونه، ولا يحايوا أحداً بستره وأن يكتموا أخبارهم ولا يزيعوها ولا يخلدوا إلى كشفها وإفشاءها، فإن ذلك إذا جرى هنا ولمن أراد الحيلة متطرفاً.

(\*) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة للكتابة، ص ٥٠ - ٥٢.

## الملحق رقم (٢)

### في حال الجواسيس وأصحاب الأخبار<sup>(\*)</sup>

ويجب على السلطان أن يكون له جواسيس، قد عرف منهم: الثقة، والدين، والأمانة، مقتنعين بما يفرض<sup>(١)</sup> عليهم من إنعامه، ويصل إليهم من إحسانه، ولا يحدثون أنفسهم بطلب المناصب<sup>(٢)</sup>، وحرص المكاسب، فينشرهم في البلاد ويرسلهم على العباد شرقاً وغرباً، بعداً وقرباً، ليطلعونه بالأخبار من جميع الأمصار، لئلا ينكتم عنه حال، ولا ينطوي عنه مقال، وليضُمَّ إلى ما يوردونه عليه، ويرسلونه إليه، التماس الأخبار من المسافرين والتجار، وذلك لئلا يتم عليه زلل، ولا يداخل الملك خلل، وليسأل من الوارد والصادر، والبادي والحاضر<sup>(٣)</sup> وليكتم أمره ويتجسس<sup>(٤)</sup>، ويخف نفسه، ويتحسس<sup>(٥)</sup>، لتشمل الناس هيئته، ويخافوا سطوته، ويحذروا شره، ولا يأمنوا مكره.

---

(\*) الهروي: التنكرة الهروية، تحقيق مطبع المرباط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢م، ص ٧٩.

(١) يُفرض: يجود عليهم بالمال وغيره.

(٢) أي لا يفكرون بمناصب أعلى من مناصبهم بل الولاء للحاكم.

(٣) البادي: ساكن البادية، والحاضر: ساكن المدن.

(٤) التجسس بواسطة الغير.

(٥) التحسس: بشكل شخصي.

### ملحق رقم (٣)

#### توقيع بوظيفة المهندرية بحلب<sup>(١)</sup>

رسم بالأمر الشريف - لا زالت عزائمه تندب للمهمات من غرست برياض وليه أدواح الهمم  
فزكا غرساً، وتقرر لها من شاب فوده في إفادة الوفود فأجاب قصداً وأطاب نفساً، ولا برحت عنايته  
تشمل من أولياء خدمها كل شهم إذا سل عضباً أزال نفساً، واسأل نفساً وتعين من أعيانهم كل جميل  
يود المنافس لو شاهده ولا تبخس يد الرقي منه نفساً - أن يستقر..... لأنه ذو الهمم التي لا تلحق  
جيادها، ولا تسبق جودة جيادها، لا منتهى لصغار هممه فأني تترك كبارهم، ولا تترك سوابقه فأني  
تقتفي آثارها، له قدم إقدام في الثرى لا يزال راسخاً، وهامة همة لم يزل شرقها على الثرى باذخاً،  
ولأنه الفارس الذي تفرست في مخايله الشجاعة، وتبضع الشهامة في الحروب فكانت أرباح بضاعة، كم  
أزرت سمر رماحه بهيف القدود، وأخجلت بيض صفاحه كل خود أملود؛ وكم جردت من مطربات  
قسيه الأوتار فتراقصت الرعوس، وشربت الرماح خمر الدماء فحربنت على النفوس:

له همم تعلو السحاب رفعة      وكم جاد منها بالنفائس والنفس

وتجني ثمار الفضل من دوح غرسه      ولا غرو أن تجني الثمار من الغرس

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة تحمده فيها الوراد، وتشكره بالقصد السنة للقصاد، وتذكره البريدية  
بالخير في كل واد، وليهي لهم (من القرى ما يهيئه) المضيف، وليحصل لهم التالاد منه والطريف،  
وليتلقهم بوجه الإقبال، وليبدأهم بالخير ليحسن له المال، وليجعل التقوى إمامه في كل أمر ذي بال،  
وليتصف بالأنصاف فهو أحمد الأوصاف في جميع الأحوال.

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٢، ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

#### ملحق رقم (٤)

##### نص رسالة الجاسوس إياس

التابع لبني عثمان بأراضي السلطنة المملوكية بتاريخ "سنة ٨٩١هـ" (\*)

"جناب صاحب العزة والدولة، مكتسب السعادة، حاوي خصائص الأثام، أدام الله تعالى دولته.

بعد السلام، نعرض عليكم الأحوال التي وردت إلينا بعد الخطاب المعروف الذي أرسلناه إليكم لأننا ملك لكم. أحوال مصر يلي: جاء يونس بك ابن عمر وأحمد بك ابن طلحه وجمعه من بني مر وبعض الأمراء إلى القيوم وخربوا مملكة مصر. لم يرسل السلطان إليهم أحداً ولم يذهب إليهم بنفسه، ذلك أنهم تفرقوا بعد أن أعلنوا العصيان على أوزبك - ولما علم عرب الشام جميعاً بذلك تحركوا وقطعوا طريق الشام مصر.

عاد الألف جندي الذين كانوا قد وصلوا من مصر واستقروا في عينتاب وصلوا إلى حلب، فمنهم نائب دمشق من السير إلى مصر عندما علم بتحركاتهم، لأنهم إذا عادوا إلى مصر فإن التركمان يخبون البلاد.

لن يأتي أحد إلى حدودكم لمؤازرة الأمراء سواء من دولقادر أو من الشام أو من الشرق وإذا كانت لديكم رغبة في المملكة (دولة المماليك)، فلا تفوتوا الفرصة.....

إذا أرسلتم عدة سفن إلى طرابلس وبعضاً آخر إلى الإسكندرية فإنها تكون كافية لإدخال المملكة (دولة المماليك) في الطاعة. وبهذا تطيع كل مصر والشام لعدالة السلطان خلد الله ملكه، كلامي هذا صحيح لم أخف منه كلمة، إياس.

(\*) أميرة فهمي علي، السلطان الأشرف قايتباي المصودي، ص ٢٩٦.

### ملحق رقم (٥)

نص رسالة من الأمير مراد حاكم أماسيا بناء على معلومات وردت  
من خمس جواسيس تابعين لبني عثمان بأراضي السلطنة المملوكية بتاريخ "سنة ٨٩٥هـ" (\*)  
"حضرة الباشا الأعظم:

تحف التحيات الصافية المتوالية عنبرية النسيم، وطرف السرم بكلمات مثالية لعهد الشيم النسي  
تفيض من محض صفاء المحبة ومن مودة الوفاء الموسرة. ننهي إلى ضميركم المنبر ونخبر أنه:

جاء في هذه الأيام خمس جواسيس لنا بالشام. جاء إثنان منهم ذات مرة، وجاء آخران مرة  
أخرى، ثم جاء الخامس. وأجمعوا على أن حادث سلطان مصر صحيح، وأنه وقع خلاف بين أمراء  
حلب، وأن أوزبك عاد إلى مصر.

أما والحالة هذه فالمرجوا والمتوقع ألا تفوتوا الفرصة، ما دام حادث السلطان قد وقع فعلاً، إذا  
كان ما يتعلق بهذا الموضوع صحيحاً وظاهر للصراحة، فليس هناك مجال للتم من بعد. أحسنوا  
وأرسلوا خطاباً شريفاً من مقر السلطنة السنية. حان وقت الإقدام والتدخل من هذه الناحية فلا بد أن  
نتوجهوا من هذه الناحية، فلن يرى أحد من الفرمانيين وجهاً للتدخل.

أجمع عامة الناس على دخولكم من هذه الناحية وانعقد رأيهم على هذه الأولوية.

والخلاصة، يجب العمل بموجب ما أجمع على صحته رأي جميع الناس وترك ما يخالف ذلك  
سيرسل لكم إن شاء الله تعالى افتخار الأكابر والأعظم خادمي تاج الدين بك رسالة بشرى في الوقت  
الحاضر بخصوص أحوال المناطق الشرقية وأوضاعها. أرسل خطاب المحبة مع يوسف.  
ليكن معلوماً لديكم عند الإطلاع عليه إن شاء الله تعالى أن مباني الصداقة غاية في الاحترام  
في تلك الناحية، لا تدخروا وسعاً وابتلوا النفس والنفيس بخصوص الشام، فالبلاد خالية، وهذا وقت  
تدخلكم.

ولنتفضلوا بملاحظة أن هذا عرض لما وقع وقد اختصر إلى هذه الدرجة فليدركم  
ممدوداً".

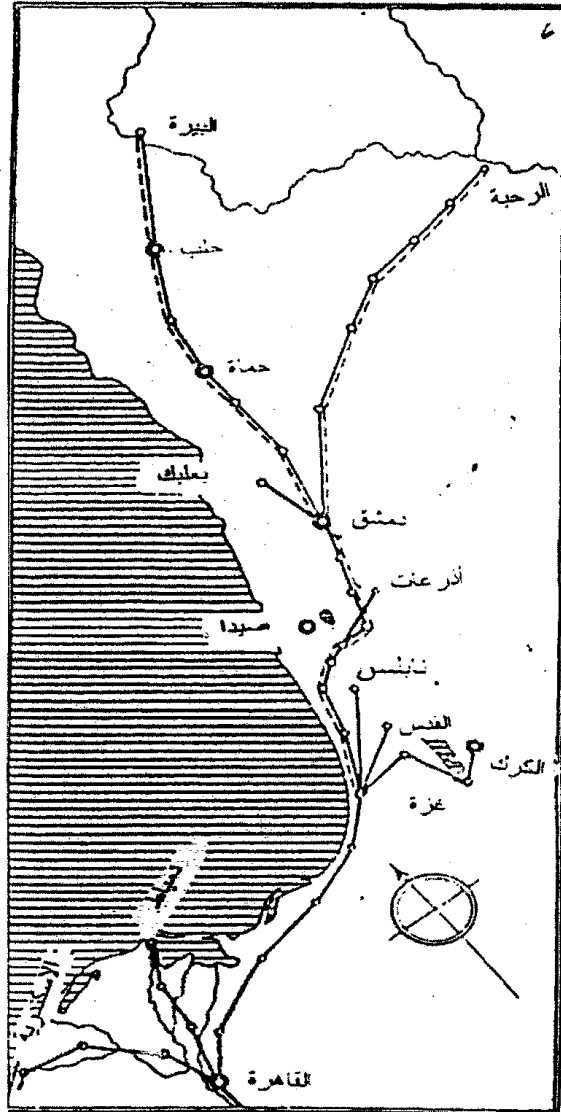
المحب المتقاني

سلطان مراد

(\*) لميرة فهمي علي، السلطان الأشرف قايتباي الممودي، ص ٢٩٤.

## ملحق رقم (٦)

الفصل الثاني، جمع المعلومات ووسائل وطرق نقل المعلومات

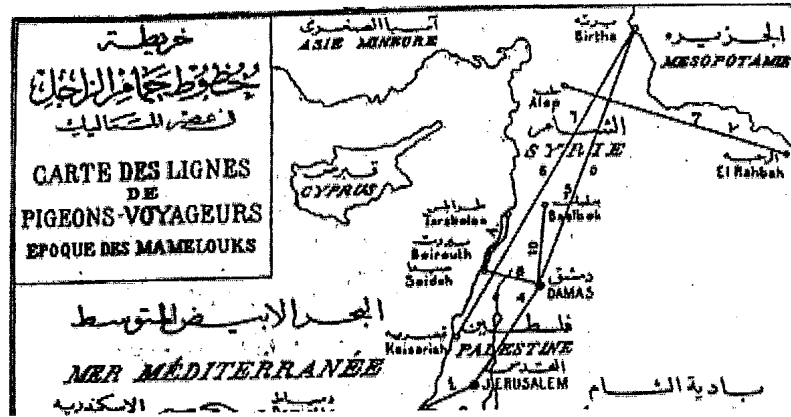


أبراج الحمام الزاجل ومراكز الإشارات الضوئية في بلاد الشام

الخطوط المتصلة: شبكة أبراج الحمام الزاجل. =

الخطوط المتقطعة: مراكز الإشارات الضوئية. —

نقلا عن مصلحة البريد.

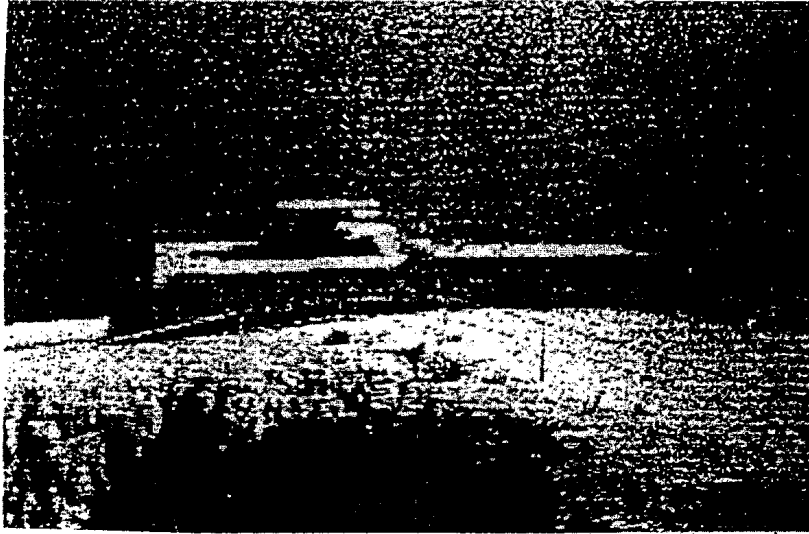


مطارات الحمام الزاجل في العصر المملوكي "نقلا عن مصلحة البريد"

ملحق رقم (٨)



منظر داخلي لبرج الحمام الزاجل بقلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون بجنوب سيناء.



منظر خارجي لبرج الحمام الزاجل بقلعة صلاح الدين

## الجدول

- ١- أشهر عمل التجسس .
- ٢- مؤامرات الأمراء ضد السلاطين .
- ٣- مؤامرات السلاطين ضد الأمراء .
- ٤- مؤامرات الأمراء ضد الأمراء .
- ٥- العقوبات التي طبقها الدولة على الجواسيس والخونة الذين تم الكشف عنهم .

(جدول ٦)  
أشهر عمال التجسس

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ / ١١٦٩-١١٩٣م)	زين الدين علي بن نجا الواعظ	١١٧٤/٥٦٩م	جاسوس	تجسس أخبار المتآمرين على السلطان صلاح الدين	المرتضى الزبيدي: ترويح القلوب، ص ١١-١٢؛ المقريزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٣ - ٥٤؛ سيد علي: الأخبار السنية، ص ١٥٨.
	الفقيه ضياء الدين عيسى	١١٨٥/٥٨١م	رسول	تجسس أحوال الصليبيين في خلاط وإبلاغ السلطان بها تمهيداً لفتحها	البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٦٥؛ ابن شاهنشاه: مضمرة الحقائق، ص ٢٤٨.
	الناصر بن العميد	١١٨٥/٥٨١م	مناصح	دسه السلطان صلاح الدين على ناصر الدين محمد بن شيريكوه ابن شاذي صاحب حمص لقتله	ابن شاهنشاه: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماء، ص ٢٣١؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ١٣٨-١٣٩.
	فايمار الحراني	١١٩٠/٥٨٦م	مخبر يزك	تبليغ أخبار الصليبيين إلى السلطان صلاح الدين قامت فرقة اليزك بتجسسها	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٠٠.
	عيسى العوام	١١٩١/٥٨٧م	عوام	تجسس أخبار الصليبيين المحاصرين لعكا	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٥٨.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الأمير شيريكوه بن باخل الزرزاري	٥٨٧/١١٩١ م	أسير	هرب من الأسر وأخبر السلطان بأخبار مفيدة عن الصليبيين	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٩١.
	علم الدين سليمان بن جنر	٥٨٧/١١٩١ م	مقدم فرقة اليزك	تجسس أخبار الصليبيين	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٧٣.
	عز الدين جورديك	٥٨٨/١١٩٢ م	مقدم فرقة اليزك	تجسس أخبار الصليبيين	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٣٢٣-٣٢٤؛ سيرة صلاح الدين، ص ١٧٤؛ علي بن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلى حضره القاهرة، ص ١١٧.
الملك العادل الأيوبي (٥٩٧-٦١٥ هـ / ١١٩٩-١٢١٨ م)	شهاب الدين أبو القاسم بن البلاغي	٦٠١/١٢٠٤ م	أسير	أخبر السلطان بأخبار الصليبيين وأخبره بما حدث لحماه	ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص ٥٢.
السلطان الملك الكامل (٦١٥-٦٣٦ هـ / ١٢١٨-١٢٣٨ م)	علم الدين شمايل	٦١٥/١٢١٨ م	غواص	تجسس أخبار الصليبيين المحاصرين لدمياط	الدواداري: الدر المطلوب، ج ٧، ص ٢٠٠-٢٠١؛ ابن وصيف شاه: جواهر البحور، ص ٩٨.
السلطان الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٨-٦٤٧ هـ / ١٢٤٠-١٢٥٩ م)	فردريك الثاني	٦٤٥/١٢٤٧ م	مناصح	أخبر الأيوبيين بتحريك الحملة الصليبية السابعة	ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤٧؛ جميل جمول: مصر والحروب الصليبية، ص ٢١٤-٢١٥.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الطبيب سعد الدين الدمشقي	١٢٣٧/٥٦٣٩م	رسول	التجسس على أخبار الملك الصالح عماد الدين إسماعيل لصالح الملك الصالح نجم الدين أيوب	ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص ٢٢٠-٢٢١؛ الدواداري: الدر المطلب، ص ٣٣٦-٣٣٧؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص ٢٥٨؛ Gaudefroy : la syrie , p. 253.
السلطان عز الدين أيبك التركماني (٦٤٨-٦٥٥هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧م)	القاضي زين الدين يعقوب بن الزبير	١٢٥٠/٥٦٤٨م	عين	وضعه عز الدين أيبك التركماني على الأمراء لكي يطالعه بما يدبروا للسلطان من مؤامرات	المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص ٤٠٤.
السلطان سيف الدين قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٨-١٢٦٠م)	صارم الدين أزبك	١٢٦٠/٥٦٥٨م	أسير	التجسس لصالح قطز على أخبار النتار أثناء معركة عين جالوت	صارم الدين أزبك: رسالة في غزو التتار، ص ٣٦٦؛ الدواداري: الدر الزكية، ص ٥٦-٥٧؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣١.
السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م)	الأمير علاء الدين علي بن عبد الله البغدادي	١٢٦٠/٥٦٥٨م	قاصد	التجسس على أخبار التتار لصالح المماليك	الدواداري: الدر الزكية، ص ٩٢؛ ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ص ١٠٢-١٠٣ Amitai: Mongols and mamluks, p. 143.
	الأمير عز الدين الصقلي	١٢٦٠/٥٦٥٩م	عين	تجسس أخبار الأمراء وأخبر السلطان بقيامهم بتدبير مؤامرة لقتله	المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص ٥٠٥؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٢٦.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الأمير علاء الدين علي بن عبد الله البغدادي	١٢٦٠هـ/١٢٦٢م	أسير	كان يطالع السلطان الظاهر بيبرس بأخبار التتار من بغداد	الدوادي: الدرة الزكية، جـ٨، ص ٩٢ - ٩٣؛ المقريري: السلوك، جـ١، ق٢، ص ٤٧٤.
	شمس الدين الفارقاني	١٢٦٣هـ/١٢٦٥م	قاصد	التجسس على أخبار التتار لصالح المماليك	اليونيني: ذيل مرآة الزمان، جـ٣، ص ٢٩٩؛ الصقاعي: تالي وفيات، ص ١٢؛ البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٨؛ مني محمد: أثر الحضارة السلجوقية، جـ١، ص ٢١٨.
	الأمير شمس الدين بهادر	١٢٧٢هـ/١٢٧٣م	مناصح	مطالعة المماليك بأخبار المغول	بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص ٧٨؛ العيني: عقد الجمان، جـ٣، ص ١١٣؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣، ص ٢٠٨؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهرة، الرياض، ص ٤٢٢-٤٢٣.
	عبد العظيم	١٢٧٠هـ/١٢٧٢م	فداوي	القيام باغتيال الملك إدوارد بن الملك هنري الثالث ملك إنجلترا لحساب المماليك	العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص ٩٤؛ محمد المقدم: الاغتيالات السياسية، ص ٢٥٩.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الأمير معين الدين سليمان البروناه	١٢٧٦هـ/١٢٧٧م	مناصح	إطلاع المماليك على أخبار ابغا وأخبارهم بتجهيز ابغا لمهاجمة الشام	ابن بهادر: فتوح النصر، مخطوط، ورقة ١٣١.
	السلطان السلجوقي أركان الدين قنق أرسلان	١٢٧٦هـ/١٢٧٧م	مناصح	إخبار المماليك بأخبار المغول وقيام المغول بتجهيز حملة	محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص ٧٨-٧٩.
	سلامة	١٢٧٤هـ/١٢٧٥م	فداوي	كان عيناً للسلطان الظاهر بيبرس على شككده ملك النوبة وتكليفه بعملية اغتياله	كرم كمال الدين: ممالك النوبة في العصر المملوكي، ص ٧٦.
السلطان السعيد بركه خان بن بيبرس (٦٧٦-٦٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٩م)	الأمير سيف الدين كوندك	١٢٧٧هـ/١٢٧٨م	عين	كان عيناً على السلطان الملك السعيد بن الملك الظاهر لصالح بعض الأمراء	العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٠٢-٢٠٣.
السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)	جوان خندق	١٢٨٠هـ/١٢٨١م	مناصح	إبلاغ السلطان المنصور قلاوون بقيام أمير مملوكي اسمه كوندك بتدبير مؤامرة مع الصليبيين في عكا لاغتياله	الدوادار: زبدة الفكرة، ج٢، ص ١٧٥؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٦٣؛ شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٨٦.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	سيف الدين بلبان الرومي الدوادار	١٢٧١هـ/١٢٧٠م	دوادار	توجيه القصاد إلى بلاد الأعداء لتجسس أخبارهم والإشراف على عمال التجسس	اليونيني: ذيل مرأة الزمان، ج٤، ص ١٠٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٣٥٠.
	شافع بن علي	١٢٨٠هـ/١٢٨١م	كاتم للسر	الإشراف على عمال التجسس في عهد السلطان المنصور قلاوون	شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٢٤.
	الصالح علي بن المنصور قلاوون	١٢٨٠هـ/١٢٨١م	نائب سلطنة	التجسس على أخبار البلاد المجاورة ومطالعة السلطان بها	سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٢-٢٥٣ Amitai: mamluks Espionage, p. 177.
	الأمير علم الدين سنجر المعظمي	١٢٨٥هـ/١٢٨٦م	رسول	تجسس أخبار بلاد النوبة لصالح السلطان المنصور قلاوون	كرم كمال الدين: ممالك النوبة في العصر المملوكي، ص ٧٨.
الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م)	علم الدين سنجر الصوابي الجاشنكير	٦٩١هـ/١٢٩١م	مقدم فرقة الطلائع	تجسس أخبار الصليبيين والتمويه لإخفاء تحركات الجيش المملوكي	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٨؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٥.
السلطان العادل زين الدين كتبغا (٦٩٤ - ٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م)	الأمير علم الدين سنجر الدواداري	٦٩٤هـ/١٢٩٥م	دوادار	التجسس على أحوال التتار الوافدين إلى أراضي الدولة المملوكية	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٦٠؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.
	الأمير بدر الدين أمير شكار	٦٩٥هـ/١٢٩٦م	عين	كان عيناً على الأمراء يبلغ السلطان بما يدبره الأمراء له	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٣١٣-٣١٤.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية) (٦٩٨-٧٠٨ هـ / ١٢٩٨-١٣٠٨ م)	الشيخ شهاب الدين أحمد	١٢٩٨ هـ / ١٢٩٨ م	قاصد	التجسس على أخبار غازان لصالح المماليك	الدواداري: الدر الفاخر، ج٣، ص ٢٥٢.
	الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا	٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م	مناصح	مطالعة المماليك بأخبار التتار	علي السيد: الهجرات المغولية إلى مصر، ص ٤٩؛ صبحي عبد المنعم: سياسة المغولة تجاه المماليك، ص ٨١.
	الأمير فخر الدين إياس	٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م	مقدم فرقة الكشافة	تجسس أخبار التتار	العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ٢٢٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص ٢٧.
	للمؤرخ "أبو الفدا"	٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م	عين	تجسس أخبار التتار ومطالعة السلطان بها أثناء معركة حمص	أبو الفدا: المختصر، مج ٢، ج ٧، ص ٥٨-٨٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٥-٢٥٦.
السلطان المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير (٧٠٨-٧٠٩ هـ / ١٣٠٨-١٣٠٩ م)	ضوء بن صباح	٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م	قاصد	تجسس أخبار المغول	Amitai: mamluk Espionage, p.179-180.
السلطان المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	ابن أبيك الدواداري	٧٠٩ هـ / ١٣١٠ م	عين	التجسس على أخبار السلطان بيبرس الجاشنكير لصالح الناصر محمد بن قلاوون	الدواداري: الدر الفاخر، ج٩، ص ١٧٧؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٦-٢٥٧.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثالثة) (٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣٠٩-١٣٤١م)	سعد الدين علي جكبين	١٣١١/٧١١هـ م	عين	التجسس على أخبار قراسنفر وإطلاع السلطان الناصر عليها	فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط؛ Amitai: Mamluk Espionage, P. 180.
	"بيخان" مملوك قراسنفر	١٣١٥/٧١٥هـ م	عين	تجسس أخبار السلطان الناصر محمد وإبلاغها لقراسنفر	الدوادري: الدر الفاخر، جـ ٩، ص ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٤.
	يونس التاجر	١٣٢٠/٧٢٠هـ م	تاجر	تكوين شبكة تجسس في تورينز لكي يؤدي إليه الفداوية لتنفيذ الاغتيالات	المقريري: السلوك، جـ ٢، ق ٣، ص ٥٥٥-٥٥٦؛ فرهاد دفتري: الإسماعيليون، ص ٢٥٨.
	علاء الدين بن المعلم	١٣٢٠/٧٢٠هـ م	فداوي	اغتيال الافرم لحساب السلطان الناصر محمد بن قلاوون	فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ص ٢٥٨.
	مجد الدين السلامي	١٣٢٣/٧٢٣هـ م	تاجر	تكوين شبكة تجسس في أراضي المغول وإيواء الفداوية منفذي الاغتيالات	فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ص ٢٥٨.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	حسن الكردي	١٣٣٦/٥٧٣٦ م	جاسوس	تجسس أخبار التتار لصالح المماليك	Amitai: Mamluk Epionage, P. 180.
السلطان أشرف كجك بن محمد بن قلاوون (١٣٤١/٥٧٤٢ م)	الأمير يلغا اليحياوي	١٣٤١/٥٧٤٢ م	عين	أبلغ الأمير قوصون أن هناك بعض المماليك يدبرون مؤامرة لاختياله	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٦٧.
السلطان الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون (٧٤٣-١٣٤١/١٣٤٢ م)	يحيى بن ظهر يغا المغلي	١٣٤١/٥٧٤٢ م	مناصح	تبليغ السلطان أحمد بن الناصر محمد بقيام مجموعة من الأمراء بتدبير مؤامرة لاختياله	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٧٤.
السلطان الناصر حسن (السلطنة الثانية) (١٣٦١-١٣٥٤/٥٧٦٢-٧٥٥ م)	الطواش بشير الجمدار	١٣٥٩/٥٧٦٠ م	عين	تحذير الأمير يلغا من قيام السلطان الناصر حسن بتدبير مؤامرة له	المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٦٠-٦١، علي السيد: الجواري في العصر المملوكي، ص٦٤-٦٥.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٣-١٣٧٦م)	الرئيس إبراهيم التازي	١٣٩٨هـ / ٧٦٩م	قائد حملة بحرية	تجسس أخبار جزيرة قبرص	المقريزي: السلوك، جـ ٣، ق ١، ص ٣٨١، عبد الغني عبد السلام: نظام السجون، ص ٧٨.
السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسن (٧٧٨-٧٨٣هـ / ١٣٧٦-١٣٨١م)	الأمير صراي الطويل	٧٨٢هـ / ١٣٨٠م	عين	حذر الأمير برقوق من قيام بعض الأمراء بتدبير مؤامرة له	المقريزي: السلوك، جـ ٣، ق ١، ص ٣٨١؛ عبد الغني عبد السلام: نظام السجون، ص ٧٨.
السلطان الصالح حاجي بن شعبان بن حسين (السلطنة الأولى) (٧٨٣-٧٨٤هـ / ١٣٨١-١٣٨٢م)	الأمير شيخ الصفوي	٧٨٣هـ / ١٣٨١م	عين	حذر الأمير برقوق من قيام بعض الأمراء بتدبير مؤامرة له	محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٦٥؛ سمير حامد: الاغتيالات، ص ١٥٣.
السلطان الظاهر برقوق (سلطنته الأولى) (٧٨٤-٧٨٨هـ / ١٣٨٢-١٣٨٨م)	الأمير محمد بن تنكز	٧٨٦هـ / ١٣٨٤م	عين	حذر السلطان برقوق من قيام الخليفة العباسي المتوكل على الله بتدبير مؤامرة مع مجموعة من الأمراء	المقريزي: السلوك، جـ ٣، ق ٢، ص ٤٩٣؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٨٧، سمير حامد: الاغتيالات، ص ١٣٣-١٣٤.
السلطان الظاهر برقوق	الأمير عز الدين أبادقة	٧٩١هـ / ١٣٨٩م	مقدم فرقة الكشف	تجسس أخبار يلبغا الناصري للقضاء عليه	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١١، ص ٢٧٦-٢٧٧.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الأمير الأتابك قرادميراش الأحمدي	١٣٨٩/هـ ٧٩١م	مقدم فرقة الكشاف	تجسس أخبار يلبغا الناصري في نزاعه مع السلطان برقوق	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١١، ص ٢٧٧.
	عبد الرحمن غلام الظاهر برقوق	١٣٨٩/هـ ٧٩١م	خادم	تجسس أخبار الأمراء وأخبار أن الشهاب خضر يدبر مؤامرة لاغتيال السلطان	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١١، ص ٢٧٧.
	قاني بك	١٣٩٨/هـ ٨٠١م	عين	حذر السلطان برقوق من قيام بعض الأمراء بتدبير مؤامرة لقتله	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١٣، ص ٩٢ المقريزي: السلوك، جـ ٣، ق ٢، ص ٩١٩-٩٢٠ سمير حامد: الاغتيالات، ص ١٣٣-١٣٤.
السلطان الناصر فرج بن برقوق (السلطنة الأولى) (٨٠٨-٨١١هـ / ١٣٩٨-١٤٠٥م)	القاضي شرف الدين الدمامني	١٣٩٩/هـ ٨٠٢م	عين	كان يتجسس لحساب الأمير يلبغا المجنون الاستادار على السلطان الناصر فرج بن برقوق	رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص ١٨٢.
	الأمير استيغا الدوادر	١٤٠٠/هـ ٨٠٣م	دوادر	تجسس أحوال التتار وتجهيز عساكر الشام على جهة تيمورلنك	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢١٨ المقريزي: السلوك، جـ ٣، ق ٣، ص ١٠٢٩.
السلطان الناصر فرج بن برقوق (السلطنة الثانية) (٨١٥-٨٠٨هـ / ١٤٠٥-١٤١٢م)	الأمير اقبغا دوادر يشبك	١٤٠٩/هـ ٨١٢م	عين	تجسس أخبار الأمراء لحساب السلطان الناصر فرج بن برقوق	المقريزي: السلوك، جـ ٤، ق ١، ص ٩٥-٩٦.

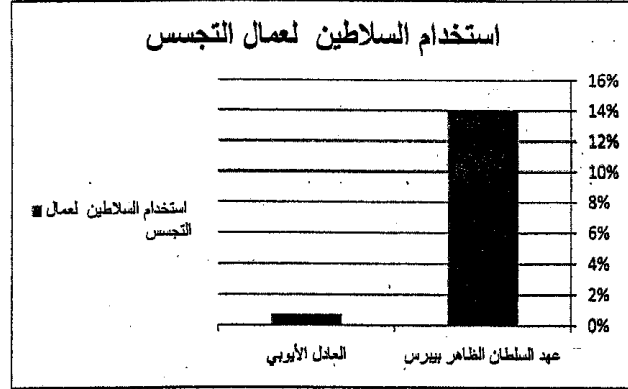
اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	تقي الدين أبو بكر بن علي بن سالم بن أحمد الكنانى العامري	٥٧٩٦-١٣٩٣م	أسير	تجسس أخبار تيمورلنك وأخبر أنه يدبر فتنة في القاهرة مع بعض الأمراء	ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٤، ج ٧، ص ١٢٤.
	الأمير شيخ المحمودي نائب طرابلس	٨٠٣هـ / ١٤٠٠م	أسير	تجسس أخبار تيمورلنك وأخبر السلطان بها	بن عرب شاه: عجائب المقدور، ص ٢٨٨.
السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ / ١٤١٢-١٤٢١م)	أق بلاط	٨١٦هـ / ١٤١٣م	دوادر	دسه السلطان الملك المؤيد شيخ علي أحد الأمراء لضمه إلى صفة	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ١٤.
	العالم بدر الدين العيني	٨٢٣هـ / ١٤٢٠م	رسول	تجسس أخبار وأحوال بلاد الروم وإيلاغ السلطان بها	ابن الصيرفي: نزهة النفوس والإبدان، ج ٢، ص ٤٦٩-٤٧٠؛ رزق محمد نسيم: دور العلماء في مصر، ص ٢٠٦.
السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ / ١٤٢٢-١٤٣٧م)	الأمير جقمق العلاني	٨٣٦هـ / ١٤٣٣م	مقدم فرقة اليزك	تجسس أخبار قرابك بن قرا يوسف	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٣٠-٢٤.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٨٥ هـ / ١٤٣٨-١٤٥٣ م)	الأمير إينال	٨٤٢/١٤٣٨ م	عين	أخبر السلطان جقمق بأن الأمير جكم يدبر مؤامرة له	المقريزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص ١٠٧٦- ١٠٧٧؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص ٤٤٠-٤٤١.
السلطان الأشرف إينال العلاني (٨٥٧-٨٦٥ هـ / ١٤٥٣-١٤٦٠ م)	الأمير سنقر الأشرقي الدودار المعروف (بفرق شبق)	٨٦١/١٤٥٧ م	دودار	تجسس أخبار بن قرمان وتجهيز العساكر الشامية والحلبية	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٠٣.
السلطان الأشرف قلايقي المحمودي (٨٧٢-٩٠١ هـ / ١٤٦٧-١٤٩٦ م)	قاسم	٨٨٢/١٤٧٧ م	جاسوس	تجسس أخبار العثمانيين لصالح المماليك	أميرة فهمي علي: السلطان الأشرف قلايقي، ص ١٠٦.
السلطان قانصو محمد بن قلايقي (السلطنة الأولى) (٩٠١-٩٠٢ هـ / ١٤٩٦-١٤٩٧ م)	الشيخ عبد المؤمن العجمي	٩٠١/١٤٩٦ م	رجل دين	تجسس أخبار العثمانيين وأخبر بها السلطان	عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٢٥، ٢٢٦.
السلطان قانصو الغوري (٩٠٦-٩٢٢ هـ / ١٥٠١-١٥١٦ م)	الأمير كرتباي	٩١٠/١٥٠٥ م	جاسوس	تجسس أخبار العثمانيين لصالح المماليك	ابن زنبيل: سيرة السلطان قانصو الغوري، مخطوط، ورقة ٢٣؛ أخره المماليك، ص ٩٤.
	الأمير إينال باي	٩١٣/١٥٠٨ م	رسول	تجسس أخبار العثمانيين لصالح المماليك	عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٣٣.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	مغلباي	١٥١٦/٥٩٢٢م	قاصد	تجسس أخبار العثمانيين ومعرفة حالتهم	ابن زنبيل: أخره المماليك، ص٩٢؛ أسامه محمد: جان بردي الغزالي، ص٣.

#### أكثر السلاطين استخداماً لعمال التجسس

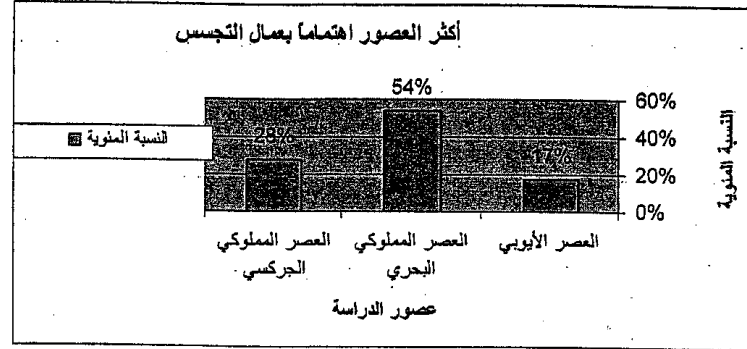
عدد عمال التجسس	استخدام السلاطين لعمال التجسس	العدد	النسبة المئوية	أقل السلاطين استخداماً لعمال التجسس	العدد	النسبة المئوية
٧٠ عامل	عهد السلطان الظاهر بيبرس	١٠ حالات	١٤%	السلطان العادل الأيوبي	حالة واحدة	٧٠,٧%



ويتضح من هذا الجدول أن السلطان الظاهر بيبرس كان أكثر السلاطين استخداماً لعمال التجسس سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي أي في مواجهة الأخطار الخارجية أو الداخلية حيث بلغت النسبة ١٤% وكان أقل السلاطين استخداماً لعمال التجسس السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي بلغ حوالي ١١% ويتضح ذلك من خلال المواجهات التي قام بها الظاهر بيبرس ضد الصليبيين والمغول على الصعيد الخارجي، ومواجهة المؤامرات الداخلية على الصعيد الداخلي.

### أكثر العصور اهتماماً بعمال التجسس

عصور الدراسة	عدد العمال	النسبة المئوية
العصر الأيوبي	١٢ عامل	١٧%
العصر المملوكي البحري	٣٨ عامل	٥٤%
العصر المملوكي الجركسي	٢٠ عامل	٢٨%



ويظهر من هذا الجدول أن الدولة المملوكية البحرية كانت أكثر الفترات استخداماً لعمال التجسس حيث بلغت نسبة الاعتماد على عمال التجسس في هذه الفترة ٥٤% بينما كان أقل الفترات اعتماداً على عمال التجسس الدولة الأيوبية حيث بلغت النسبة ١٧% وأستنتج من ذلك أن العمل التجسسي في العصر الأيوبي كان في بداية تنظيمه وتشكيله ،وبالتالي لم يظهر الاهتمام به ،أما في العصر المملوكي البحري فإنه بلغ فيه ذروة نشاطه وتطوره نظراً لاهتمام السلاطين به ، أما العصر المملوكي الجركسي فعلى الرغم من كثرة الأخطار فيه فإنه بدا قليلاً لإهمال السلاطين له.

(جنول ٧)

مؤامرات الأمراء ضد السلاطين

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
لطان صلاح الدين (٥٦٤ - ٥٨٩هـ / ١١٦٤ - ١١٩٣م)	مؤتمن الخلافة جوهر	صلاح الدين	-	الإطاحة بصلاح الدين وبالحكم الأيوبي السني من مصر وإعادة الحكم الشيعي	كشف عنها الجواسيس	-	-	البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٤٣ ؛ نيكتا أليسييف: السلطان نور الدين محمود، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.
	الشاعر عمارة اليمني	صلاح الدين	-	الإطاحة بصلاح الدين وإعادة الحكم الفاطمي	كشف عنها الجواسيس	-	-	البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٩؛ المرتضى الزبيدي: ترويح للقلوب، ص ١١، ١٢.
	صاحب حلب	صلاح الدين	١١٧٥/٥٧١م	قتل السلطان والتخلص منه	كشف عنها الجواسيس	-	-	ابن أيك النوادري: الدر المطلب، ج ٧، ص ٦٠؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٧٥.
	الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي صاحب حمص	صلاح الدين	١١٨٥/٥٨١م	التآمر مع جماعة من أهل دمشق على السلطان صلاح الدين وقتله	كشف عنها الجواسيس	-	-	تاج الدين بن شاهنشاه: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماة، ص ٢٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ١٣٨ - ١٣٩.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	القشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
الملك الكامل ابن العادل	الأمير عماد الدين أحمد بن علي المعروف "بابن المشطوب" وبعض الأمراء	الملك الكامل ابن العادل	٦١٤هـ / ١٢١٧م	خلع الملك الكامل من السلطنة وتولية أخيه الملك الفائز بن العادل	كشف عنها الجواسيس	—	—	ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٨١ ؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١١.
	الأمير فخر الدين ألتنبا الحبشي، وفخر الدين ألتنبا القيومي، وعشرة أمراء من البحرية العادلية	الملك الكامل	٦٢٤هـ / ١٢٢٦م	مكاتبة الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وتعرضه على أخذ مصر	كشف عنها الجواسيس	—	—	ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٥.
	مجموعة من الأمراء مع علاء الدين سلطان سلاجقة الروم	الملك الكامل	٦٣١هـ / ١٢٣٣م	مكاتبة علاء الدين سلطان سلاجقة الروم للتحالف معه ضد السلطان الملك الكامل لخلعه	كشف عنها الجواسيس	—	—	ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٩؛ سعيد عاشور: مصر والشام، ص ١٣٠.
السلطان عز الدين أيبك (٦٤٨-٦٥٥هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧م)	الأمير فارس الدين أقطاي ومجموعة من مماليكه	عز الدين أيبك	٦٤٩هـ / ١٢٥١م	خلع السلطان عز الدين أيبك من العرش والسيطرة عليه	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ٤٢ ؛ العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٨٥.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدير ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان سيف الدين قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ) (١٢٥٨-١٢٦٠م)	الأمير بيبرس البندقداري ومجموعة من الأمراء البحرية	سيف الدين قطز	-	قتل السلطان سيف الدين قطز والسيطرة على الحكم	كشفت الجواسيس عنها	-	-	ابن أبيك الدواداري: السيرة الزكية، ج٨، ص ٦٠.
السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٦٦هـ) (١٢٦٦-١٢٧٧م)	الأميران علم الدين الغنمي، وسيف الدين بهادر المعزي ومجموعة من الأمراء	الظاهر بيبرس	١٢٦٠هـ/٦٥٩م	الطمع في الوصول إلى السلطنة بعد قتل الظاهر بيبرس	كشفت الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج١، ق ٢، ص ٤٩٢ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ١٢٦.
	الأمير سيف الدين الرشيد	الظاهر بيبرس	١٢٦٦هـ/٦٦٦م	تأليب أهل الكرك والملك المغيث صاحب الكرك على الظاهر بيبرس	كشفت الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج١، ق ٢، ص ٤٩٣- ٤٩٤.
	مجموعة من الأمراء	الظاهر بيبرس	١٢٧٣هـ/٦٧٣م	مكاتبة التتار والتحالف معهم للتخلص من السلطان	كشفت الجواسيس عنها	-	-	ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٦٨ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ١٣٠ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص ٥٩.
	مجموعة من المماليك	الظاهر بيبرس	١٢٧٦هـ/٦٧٦م	قتل السلطان والتخلص منه	-	فشل في الكشف عنها	أدت إلى قتل السلطان الظاهر بيبرس	نعمان الطيب: جهود المماليك في مواجهة المغول، ص ٨٠.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان المنصور قلاوون ( ٦٧٨-٦٨٩ هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠ م )	الأمير علاء الدين الحراني	المنصور قلاوون	—	الرغبة في القضاء على السلطان والسيطرة على مصر	كشفت الجواسيس عنها	—	—	شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ١٣٧ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٦٣.
	الأمير سيف الدين كوندك الظاهر السعيد وعدد من المماليك الظاهرية والمماليك السعيدية	المنصور قلاوون	١٢٨٠ هـ / ١٢٨١ م	قتل السلطان والانفراد بالحكم	كشفت الجواسيس عنها	—	—	ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٨٤ ؛ بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص ٩٧ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ٣١، ص ٧٧ ؛ العيني: عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٦٤، ٢٦٣ ؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٦٨٦، ٦٨٥.
	مجموعة من الأمراء الظاهرية	المنصور قلاوون	١٢٨٥ هـ / ١٢٢٦ م	قتل السلطان والسيطرة على الحكم	كشفت الجواسيس عنها	—	—	ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٤٢ ؛ الكتبي: عيون التواريخ، ج ٢١، ص ٣٧٤.
السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ٦٨٩-٦٩٣ هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣ م	الأمير حسام الدين طرنطاي	الأشرف خليل بن قلاوون	١٢٨٩ هـ / ١٢٩٠ م	قتل السلطان والانفراد بالحكم	كشفت الجواسيس عنها	—	—	المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٥٧.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان العادل كتبغا ٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م	مجموعة من الأمراء	العاذل كتبغا	١٢٩٣هـ/١٢٩٤م	قتل السلطان	كشفت الجواسيس عنها	-	-	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٤١.
	الوزير الشجاعى ومجموعة من الأمراء البرجية	العاذل كتبغا	١٢٩٣هـ/١٢٩٤م	القبض على السلطان	كشفت الجواسيس عنها	-	-	المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩٨.
	مجموعة من الأمراء	العاذل كتبغا	١٢٩٥هـ/١٢٩٦م	خلع السلطان من السلطنة	كشفت الجواسيس عنها	-	لم يهتم السلطان بما قاله له الجواسيس فتم خلعه من السلطنة	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣١٣-٣١٤.
السلطان لاجين ٦٩٦-٦٩٨هـ / ١٢٩٦-١٢٩٨م	الأمير بدر الدين البيسرى ومجموعة من الأمراء	لاجين	١٢٩٧هـ/١٢٩٨م	قتل السلطان والانفراد بالسلطنة	كشفت الجواسيس عنها	-	-	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٠٦.
سلطان الناصر محمد بن قلاوون	نائب سيس	الناصر محمد بن قلاوون	١٣٠٢هـ/١٣٠١م	التحالف مع المغول للتخلص من السلطان الناصر محمد	كشفت الجواسيس عنها	-	-	المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٩٢٢؛ سند أحمد: البريد المملوكى، ص٢٦٤.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان بيبرس الجاشكير ٧٠٨-٥٧٠٩هـ / (١٣٠٨-١٣٠٩م)	مجموعة من الأمراء	بيبرس الجاشكير	٥٧٠٩هـ / ١٣١٠م	خلع السلطان من السلطنة وتولية الناصر محمد بن قلاوون	كشفت الجواسيس عنها	-	-	ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص ٥٥-٥٦ ؛ ابن الملقن: نزهة النظر في قضاء الأمصار تحقيق مديحة محمد الشرقاوي، القاهرة، مكتب الثقافة العربية، ١٩٩٦م، ص ٤٦.
	الناصر محمد بن قلاوون	بيبرس الجاشكير	-	خلع بيبرس الجاشكير وتولية الناصر محمد بن قلاوون	-	فشل في الكشف عنها	أدت إلى خلع السلطان واعتلى الناصر محمد عرش السلطنة	الدواداري: الدر الفاجر، ج٩، ص ١٨٧- ١٨٩ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي ص ٢٥٦-٢٥٧.
	الأمير نوغاي والأمير مغلطاي	بيبرس الجاشكير	٥٧٠٩هـ / ١٣١٠م	قتل السلطان والافراد بالحكم	كشفت الجواسيس عنها	-	حاول السلطان القضاء عليهم ولكن عيونهم الموجودة عند السلطان أبلغتهم فاحتاطوا لذلك	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٢٥١.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان أحمد بن لناصر محمد الملقب "بالناصر" ٧٤٢-٧٤٣هـ / (١٣٤١-١٣٤٢م)	مجموعة من الأمراء	أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون	١٣٤١/٧٤٢م	اغتيال السلطان	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٧٤.
سلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر (٧٤٢-٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥م)	الأمير رمضان أخو السلطان	الملك الصالح عماد الدين	١٣٤٢/٧٤٣م	خلع السلطان من الحكم	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٣٠.
سلطان الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون	الأمير يلبغا اليحياوي ومجموعة من أمراء الشام	الكامل شعبان	١٣٤٦/٧٤٧م	التخلص من السلطان	كشف الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٣٤.
سلطان الناصر حسن ٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤- (١٣٦١م)	الأمير طاز نائب حلب	الناصر حسن	١٣٥٨/٧٥٩م	الخروج عن طاعة السلطان والرغبة في السيطرة على الحكم	كشف الجواسيس عنها	-	-	ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٧٨-٢٧٩؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٤٠.

اسم السلطان	مدير المؤامرة	المدير ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
	الأمير يلبغا العمري	الناصر حسن	١٣٦٠هـ/٥٧٦٢م	اغتيال السلطان	كشفت الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٣١٢ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٦٠.
السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م)	الخليفة العباسي المتوكل على الله والأمير قرط بن عمر التركماني، والأمير إبراهيم ابن قطلو اقتمر العلاني	برقوق	١٣٨٤هـ/٥٧٨٦م	اغتيال السلطان والسيطرة على الحكم	كشفت الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص ٤٩٣ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٨٧ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٣٣-١٣٤.
	الأمير نوروز الحافظي ومجموعة من الأمراء	برقوق	١٣٩٨هـ/٥٨٠١م	اغتيال السلطان والوصول إلى العرش	كشفت الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ٩٢ ؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص ٩١٩-٩٢٠ .
السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠٨-٨١٥هـ/ ١٤٠٥-١٤١٢م)	الأمير علان والأمير أيناك المنقار والأمير سودون بقجه	فرج بن برقوق	٨١٢هـ/١٤٠٩م	التخلص من السلطان	كشفت الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص ٩٥-٩٦.
	الأمير شيخ والأمير نوروز	الناصر فرج بن برقوق	٨١٥هـ/١٤١٢م	التخلص من السلطان واعتلاء العرش	-	فشل الجواسيس في الكشف عنها	تم قتل السلطان	المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص ٢٢٤.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الفرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
	الأمير قردم الخالدار والأمير اينال المحمدي الساقي	الناصر فرج بن برقوق	٨١٢/١٤٠٩م	التخلص من السلطان وتولية الأمير شيخ عليهم	كشفت الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص١٢١.
	الأمير شيخ والأمير نوروز	الناصر فرج بن برقوق	٨١٣/١٤١٠م	التخلص من السلطان	كشفت الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص١٥١-١٥٢.
	الأمير جاثم من حسن شاه ومجموعة من الأمراء	الناصر فرج بن برقوق	٨١٤/١٤١١م	اغتيال السلطان	كشفت الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٢١٤ ؛ عبد الغني عبد السلام: نظام السجون في العصر المملوكي، ص٧٩.
	الأمير شيخ ولأمير نوروز	الناصر فرج بن برقوق	٨١٥/١٤١٢م	التخلص من السلطان واعتلاء العرش	-	فشل الجواسيس في الكشف عنها	تم قتل السلطان	المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٢٢٤.
السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م)	الأمير صارم الدين إبراهيم	المؤيد شيخ المحمودي	٨٢٣/١٤٢٠م	التخلص من السلطان واعتلاء العرش	كشفت الجواسيس عنها	-	-	ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج٤، ج٧، ص١٥٩.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الملك الأشرف أبو العز برسباي ( ٨٢٥-٨٤١هـ / ١٤٢٢-١٤٣٧م )	مجموعة من خاصيته ومماليكه	الأشرف أبو العز برسباي	٨٣١هـ / ١٤٢٨م	قتل السلطان	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص ٧٨٣-٧٨٤.
السلطان جقمق ٨٤٢-٨٥٧هـ / ( ١٤٣٨-١٤٥٣م )	العزیز یوسف بن برسباي	جقمق	٨٤٣هـ / ١٢٣٩م	إثارة فتنة بين المماليك والسلطان للتخلص منه	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص ١١٢٨.
السلطان الظاهر خشقدم ( ٨٦٥-٨٧٢هـ / ١٤٦٠-١٤٦٧م )	الأمير برسباي الخاصكي وجماعة من حواشداشنييه	الأشرف خشقدم	٨٦٧هـ / ١٤٦٢م	اغتيال السلطان	كشف الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٢٧٩ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر، ص ١٤٤-١٤٥.
	الأمير برش السيفي	الأشرف خشقدم	٨٦٨هـ / ١٤٦٣م	اغتيال السلطان	كشف الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٣، ص ٤٧٩ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية في مصر، ص ١٤٥.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الأشرف قائصوه الغوري ٩٠٦-٩٢٢هـ/ (١٥٠١-١٥١٦م)	الأمير جان بردي وقلج أمير أخور وتنم المقرري	الغوري	١٥٠٦/٩١٢م	اغتيال السلطان	كشفت الجواسيس عنها			ابن أياس: بدائع الزهور، ج٤، ص ٩٧ سمير حامد: الاغتيالات السياسية في مصر، ص ١٤٥.

(جدول ٨)

مؤامرات السلاطين ضد الأمراء

اسم السلطان	مديري المؤامرة	المدير ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	نجاح الجهاز في الكشف عنها	فشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
الملك العادل الأيوبي ٥٩٧-٦١٥هـ/ (١١٩٩-١٢١٨م)	الملك الناصر داود صاحب الكرك	الأمير بكتمر السيفي	١٢١٢/٥٦٠٩م	التخلص من بكتمر وقتله	كشف الجواسيس عنها	-	-	يحيى بن الحسن: غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، ص ٣٩٦؛ جمعة جمال: الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية، ص ١٩٦.
السلطان قطز	سيف الدين قطز	الأمير ركن الدين بيبرس	١٢٦٠/٥٦٥٨م	التخلص من الأمير ركن الدين بيبرس	كشف الجواسيس عنها	-	-	ابن أبيك الدواداري: الدرر الزكية، ج ٨، ص ٦٠.
طان الملك السعيد بركه خان (٦٧٦-٦٧٨هـ/ ١٢٧٧-١٢٧٩م)	الملك السعيد بركه خان	الأمير بدر الدين بيسري الشمسي والأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي	١٢٧٧/٥٦٧٦م	التخلص من الأميرين الطامعين في العرش	كشف الجواسيس عنها	-	-	العيني: عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٠١.
لطان المنصور لاجين	المنصور لاجين	الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح والأمير شمس الدين أقسنقر والأمير سيف الدين بكتمر السلحدار	١٢٩٨/٥٦٩٧م	التخلص من هؤلاء الأفراد	كشف الجواسيس عنها	-	-	العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٨٧-٣٨٨.

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	نجاح الجهاز في الكشف عنها	تم الكشف في عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الناصر محمد بن قلاوون	الناصر محمد بن قلاوون	الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سائر	١٣٠٧/٥٧٠٧م	التخلص من الأميرين	كشف الجواسيس عنها	-	-	محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٤٢ ؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي، ج ١، ص ١١٧؛ الدواداري: الدر الفخر، ج ٩، ص ٢١٨-٢١٩. ٢٣٠.
السلطان الناصر أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون	الناصر محمد بن قلاوون	الأمير قراسنقر والأمير الأفرم	-	قتل الأميرين والقضاء عليهم	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٦٢٥.
السلطان الناصر أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون	الناصر أحمد	الأمير بيبرس الأحمدي	١٣٤٢/٥٧٤٣م	القبض على هذا الأمير	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٧٤٢.
السلطان الناصر حسن	الناصر حسن	الأمير بيبغا أرس	١٣٥٠/٥٧٥١م	قتل الأمير	كشف الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٣١٢ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٦٠ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٥٠.
	الناصر حسن	الأمير بلبغا العمري	-	اغتيال الأمير	كشف الجواسيس عنها	-	-	

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الفرض من المؤامرة	نجاح الجهاز في الكشف عنها	فشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الظاهر برقوق	الظاهر برقوق	الأمير بلبغا الناصري نائب حلب	١٣٨٦/٥٧٨٨م	اغتيال الأمير	كشف الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٢١٢ ؛ المقريري: السلوك، ج٣، ق٢، ص ٥٩١-٥٩٢ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٥٤-١٥٥-١٥٦.
سلطان الناصر فرج بن برقوق	الناصر فرج بن برقوق	الأمير إبراهيم والأمير منصور والأمير عبد العزيز	١٤٠٦/٥٨٠٩م	التخلص منهم لكي ينفرد بالحكم	-	فشل في الكشف عنها	أدت إلى قتل الأمراء وانفرد الناصر بالحكم	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ٤٧ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص ٢٩.
	الناصر فرج بن برقوق والأمير بكتمر	الأمير شيخ المحمودي	٨١٢/٥٨١٢ ١٤٠٩م	قتل الأمير شيخ	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريري: السلوك، ج٤، ق١، ص ١٠٩.
السلطان المؤيد شيخ المحمودي	المؤيد شيخ المحمودي	الأمير صارم الدين إبراهيم	١٤٢٠/٥٨٢٣م	قتل الأمير الذي يهدد ملكه	-	فشل الجواسيس في الكشف عنها	أدت إلى قتل الأمير	ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٤، ج ٧، ص ١٥٩ ؛ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للمماليك، ص ١٠٢.

(جدول ٩)

مؤامرات الأمراء ضد الأمراء

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الأشرف خليل بن قلاوون	الأمير قراقوش الظاهري	أقوش الفارسي	١٢٩٠هـ/١٢٩١م	القبض على أقوش والتخلص منه	كشف الجواسيس عنها	-	فقام بالقبض على قراقوش وتخلص منه	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٧٦-٧٧. ٧٨-٧٧.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثالثة)	الوزير مغلطاي	الأمير كريم الدين أكرم الصغير	١٣٢٥هـ/١٣٢٦م	التخلص من الأمير كريم	-	فشل الجواسيس في الكشف عنها	فاستطاع التخلص منه	منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية، ج١، ص٢١٧.
السلطان أشرف كجك بن محمد بن قلاوون ١٣٤٢هـ/١٣٤٧م	الأمير بشتاك	الأمير قطلوبغا الفخري	١٣٤١هـ/١٣٤٢م	قتل الأمير قطلوبغا الفخري	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٦١.
السلطان الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون	مجموعة من الأمراء	الأمير قوصون والأمير قطلوبغا الفخري والأمير بيبرس الأحمدي والأمير طغر دمير النائب	١٣٤١هـ/١٣٤٢م	القبض على هؤلاء الأمراء والتخلص منهم	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٦٧.

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ( ٧٦٤-٧٧٨هـ ) ( ١٣٦٣-١٣٧٦م )	الأمير طغتمر النظامي، والأمير أقبغا جلب	الأمير أسدندر الناصر	١٣٦٦هـ / ٧٦٨م	التقبض على أسدندر والتخلص منه	كشف الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٤٢ ؛ المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٤٢ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص ١٥٠-١٥١.
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون	مماليك الأمير يلغا الخاصكي	الأمير يلغا الخاصكي	١٣٦٦هـ / ٧٦٨م	قتل الأمير	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٣١.
السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسن	الأمير أئنبك البدري	الأمير قرطاي الطازي الأتابك	١٣٧٦هـ / ٧٧٨م	التخلص منه وقتله	-	فشل الجواسيس في الكشف عنها	تم قتل الأمير قرطاي	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٥٣.
السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسن ٧٧٨-٧٨٣هـ / ( ١٣٧٦-١٣٨١م )	الأمير بركة الجوباني	الأمير برقوق	١٣٨٠هـ / ٧٨٢م	قتل الأمير برقوق	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٣٨١ ؛ عبد الغني عبد السلام: نظام السجون في مصر، ص ٨٧ ؛ نجوى كمال كيره: محاضرات في تاريخ المماليك، ص ٢٤٠.

اسم السلطان	مديري المؤامرة	المدير ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الصالح حاجي بن شعبان ( ٧٨٣-٥٧٨٤هـ ) ( ١٣٨١-١٣٨٢م )	الأمير أتيماش الخاصكي ومجموعة من خواشداشيته	الأمير برقوق	١٣٨١/٥٧٨٣م	اغتيال الأمير برقوق	كشف الجواسيس عنها	-	-	محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٦٥ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر، ص ١٥٤.
السلطان الناصر فرج بن برقوق	بعض المماليك	الأمير نوروز	١٣٩٩/٥٨٠٢م	اغتيال نوروز لمنعه من الوصول إلى العرش	كشف الجواسيس عنها	-	-	المقريزي: السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٠٢٣.
الأمير شهاب الدين أحمد صاحب الكرك والأمير سودون بقرجه والأمير قاني بك المحمدي	الأمير شيخ المحمدي	١٤٠١/٥٨٠٤م	التخلص منه	كشف الجواسيس عنها	-	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١١٥-١١٦ ؛ المقريزي: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ١٦١ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٥٩.
السلطان الظاهر جمقمق	الأمير جكم	الأمير إينال الأبوبكري	١٤٣٨/٥٨٤٢م	اغتياله وقتله	كشف الجواسيس عنها	-	-	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٣٤ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٥٩.

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
	الأمير جكم ومجموعة من الأمراء الأشرفية	الأمير جقمق	٨٤٢هـ / ٤٣٨م	القبض عليه وقتله	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص ١٠٧٦-١٠٧٧ ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص ٤٤٠-٤٤١.

## (جدول ١٠)

العقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة الذين تم الكشف عنهم

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩/١١٦٩-١١٩٨م)	القتل بالسيف	جماعة من أعوان الصليبيين	١١٩١/٥٨٧م	الخيانة لصالح الصليبيين	ابن شداد: السواد السلطانية، ص ٢٨٤، مصطفى علي: الأمراء الطواشية، ص ٩٤.
	القتل بالسيف	جاسوس صليبي	١١٩٢/٥٨٨	التجسس لحساب الصليبيين	ابن وصيف شاه: جواهر البحور، ص ٩٥.
السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م)	القتل بالسيف	جماعة من المسلمين من أهل دمشق	١٢٥٦/٥٦٨م	الخيانة لصالح التتار	المقريزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٢.
	القتل بالسيف	السعيد الحسن بن عثمان صاحب الصببية	١٢٥٧/٥٦٩م	الخيانة والتجسس لصالح التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٥٣.
	القتل بالسيف	جاسوسين للتتار	١٢٦٣/٥٦٢م	التجسس لصالح التتار	ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص ٩٩؛ الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١٠٠.
	القتل بالسيف	الملك المغيث صاحب الكرك	١٢٦٣/٥٦٢م	التجسس والخيانة لصالح التتار	المقريزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥١٧؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص ٥٧.
	القتل بالسيف	جاسوس صليبي	١٢٦٥/٥٦٤م	التجسس لصالح صاحب " صافيتا "	ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص ٢٥٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٦٠.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
	القتل بالسيف	ثلاثة عشر أميراً مملوكي	١٢٧٣هـ/١٢٧٤م	الخيانة ومراسلة المغول	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ٢٦٨؛ العيني: عقد الجمان، جـ ٢، ص ١٣٠؛ الفيومي: نثر الجمان، مخطوط بورقة ١٥٧.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية)	القتل بالسيف	أحد أمراء حلب	٧٠١هـ/١٣٠٢م	الخيانة لصالح التتار	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ١٦٤؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٦.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثالثة) (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤١م)	القتل بالسيف	أحد أعوان التتار	٧٢٠هـ/١٣٢٠م	الخيانة والاتفاق على قتل السلطان لصالح التتار	علاء طه رزق: السجون والعقوبات في مصر، ص ١١٩.
السلطان الأشرف برسبائي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م)	القتل بالسيف	التاجر على التبريزي	٨٣٢هـ/١٤٢٩م	الخيانة لصالح الفرنج	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١٤، ص ٣٢٤؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٤.
السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م)	القتل بالسيف	ابن الضوء	٨٤٣هـ/١٤٤٠م	الخيانة لصالح الفرنج	المقريزي: السلوك، جـ ٤، ق ٢، ص ١١٧٠- ١١٧١.
السلطان الأشرف قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م)	القتل بالسيف	يونس باشا والي عينتاب	٩١٩هـ/١٥١٣م	الخيانة والتجسس لصالح العثمانيين	عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٩١.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية)	القتل شنقاً	طائفة من الجواسيس	٦٩٩هـ/١٢٩٩م	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٤، ص ١٣ - ١٤؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص ١٢٣؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٨٨.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثالثة)	القتل شنقاً	الشيخ ضياء الدين عبد الله النحوي	١٣٢٠هـ/٧٢٣م	التجسس والخيانة لصالح التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص ١١٧.
السلطان الأشرف قايتباي المحمودي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م)	القتل شنقاً	عثمان بن أغلب وحوالي من أربعين شخص	٨٧٧هـ/٤٧٣م	التجسس والخيانة لصالح "حسن الطويل"	أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ٩٢.
السلطان الناصر محمد بن قايتباي (السلطنة الأولى) (٩٠١-٩٠٢هـ/١٤٩٦-١٤٩٧م)	القتل شنقاً	القاضي سيف الدين يوسف الحنفي	٩٠١هـ/٤٩٦م	الخيانة لصالح العثمانيين	أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ١٠٧.
السلطان الأشرف طومان باي الثاني (٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م)	القتل شنقاً	جماعة من العربان	٩٢٢هـ/٥١٦م	الخيانة ومساعدة جواسيس العثمانيين على اختراق حدود البلاد	مني إبراهيم: السفارات الأجنبية في مصر، ص ١٤٩.
السلطان الظاهر بيبرس	التوسيط	جماعة من رسل التتار	٦٥٨هـ/٢٥٩م	التجسس لصالح التتار	المقدس: دول الإسلام، مخطوط، ورقة ٢٤.
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٦م)	التوسيط	شمس الدين بن غراب	٧٦٧هـ/١٣٦٥م	الخيانة لصالح الصليبيين	المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص ٤٢٥؛ قاسم عبد: أهل النعمة في العصر المملوكي، ص ١٠٥؛ رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص ٢٣٧.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان الأشرف قانصوه الأشرفي (٩٠٤-٩٠٥هـ / ١٤٩٨-١٤٩٩م)	التوسيط	جان بردي الغزالي "كاشف الشرقية"	١٤٩٨/٩٠٤هـ م	الخيانة ومراسلة الفرنجة	فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢١٤.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية)	القتل غرقاً	طائفة من الجواسيس	١٢٩٩/٥٦٩٩هـ	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٣ - ١٤.
	التسمير	طائفة من الجواسيس	١٢٩٩/٥٦٩٩هـ	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٣ - ١٤؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص ١٢٣.
السلطان الناصر محمد بن قايتباي (السلطنة الثانية) (٩٠٢-٩٠٤هـ / ١٤٩٧-١٤٩٨م)	التسمير	أحمد بن الديوان	١٤٩٧/٩٠٣هـ م	التجسس لحساب العثمانيين	عادل عبد الحافظ: دور جابريك المملوكي، ص ٢٤٤.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية)	كحل العيون	طائفة من الجواسيس	١٢٩٩/٥٦٩٩هـ	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٣ - ١٤.
	قطع اللسان	طائفة من الجواسيس	١٢٩٩/٥٦٩٩هـ	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٣ - ١٤.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان صلاح الدين الأيوبي	السجن	ثلاثة جواسيس صليبيين	١١٩٦/٥٥٨٧م	التجسس لحساب الصليبيين	صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص ٢١.
السلطان الظاهر بيبرس	السجن	مجموعة من جواسيس المغول	١٢٦١/٥٦٦٠م	التجسس لصالح التتار	بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٩٢؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ٥٠.
	السجن	الأمير سيف الدين الرشدي ، الأمير عز الدين أيبك الدمياطي ، الأمير شمس الدين أقوش	١٢٦٢/٥٦٦١م	الخيانة لصالح التتار	المقريزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٣؛ هاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٨٨.
	السجن	(أمراء العرب) زين الدين بن علي ، وجمال الدين بن حجي بن محمد وأخوه سعد الدين خضر	١٢٦٦/٥٦٦٥م	الخيانة لصالح التتار	وفاء محمد: ساحل الشام، ص ١٤٤.
	السجن	الأمير زامل بن علي	١٢٦٤/٥٦٦٣م	الخيانة لصالح التتار	المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٦.
	السجن	ملك الكرج	١٢٧٣/٥٦٧٢م	التجسس لصالح الفرنج	ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٧٤؛ العيني: عقد الجمان، ج ٢، ص ١١٣.
السلطان المنصور سيف الدين قلاوون		الأمير الكرجي "توماسوطان بن كلياري"	١٢٨٢/٥٦٨١م	التجسس لصالح صاحب الفرنجة	الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٢١٢؛ المقريزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٧١٠؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٤.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ( ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م )	السجن	جاسوس صليبي	١٣٦٥ هـ / ١٣٦٧ م	التجسس لصالح صاحب قبرص	إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، ص ٣٩٩.
السلطان الظاهر برقوق (السلطنة الأولى) (٧٨٤-٧٩١ هـ / ١٣٨٢-١٣٨٨ م)	السجن	جاسوس مغولي	١٣٨٧ هـ / ١٣٨٩ م	التجسس لصالح التتار	المقريزي: السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٥٦٤.
السلطان الناصر فرج بن برقوق (السلطنة الأولى) (٨٠١-٨٠٨ هـ / ١٣٩٨-١٤٠٥ م)	السجن	مخبر مملوكي	٨٠٣ هـ / ١٣٩٩ م	توصيل أخبار سيئة للسلطان عن هزيمة الجيش المملوكي	المقريزي: السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ١٠٣٥.
السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١ هـ / ١٤٢٢-١٤٣٧ م)	السجن	مجموعة من جواسيس الفرنج	٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م	التجسس لصالح الفرنج	المقريزي: السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٦٣٧.
السلطان الأشرف قايتباي المحمودي (٨٧٢-٨٩٠ هـ / ١٤٦٧-١٤٩٦ م)	السجن	مجموعة من جواسيس الفرنج	٨٧٧ هـ / ١٤٧٣ م	التجسس على أحوال المماليك من البحر	فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٢٧٣.
السلطان الناصر فرج بن برقوق (السلطنة الأولى)	السجن	القاضي شرف الدين الدماميني	٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م	التجسس لصالح يلغا الاستاذ على السلطان	رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص ١٨٢.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان الأشرف طومان باي الثاني	السجن	عبد البر بن محاسن	١٥١٦/٥٩٢٢م	التجسس والخيانة لصالح العثمانيين	السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص ١٥٦؛ عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانية، ص ٩٤.
السلطان الأشرف قانصوه الغوري	السجن/ والتوبيخ	تغري بردي الترجمان	١٥١١/٥٩١٧م	التجسس والخيانة لصالح الفرنج	فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ١٤٢.
السلطان الظاهر بيبرس	التوبيخ	فلاحين بلاد الساحل ونابلس	١٢٦١/٥٦٦٢م	الخيانة لصالح التتار	المقريزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٦.
السلطان الأشرف طومان باي الثاني	التوبيخ	أبناء السمرقندي، ويونس العادلي	١٥١٦/٥٩٢٢م	الخيانة لصالح العثمانيين	ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٥، ص ٨٤؛ طه عبد العزيز: العلاقات المملوكية العثمانية، ص ٢٧٩.
السلطان الظاهر بيبرس	التهديد والإنذار بالعقوبة	سكان الكرك	١٢٦٢/٥٦٦١م	بعدما ثبتت الخيانة على نائب الكرك وخروفاً من القيام بفعل ذلك	المقريزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥١٧.
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون	عقوبة العزل	ابن عرام نائب الإسكندرية	١٣٦٥/٥٧٦٧م	الخيانة لصالح الفرنج	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٤٥؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ١٥٨.

## أسماء المصادر والمراجع

1- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - كتاب المسند - دار الحديث - بيروت - 1405هـ

2- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - كتاب المسند - دار الحديث - بيروت - 1405هـ

3- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - كتاب المسند - دار الحديث - بيروت - 1405هـ

4- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - كتاب المسند - دار الحديث - بيروت - 1405هـ

5- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - كتاب المسند - دار الحديث - بيروت - 1405هـ

6- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - كتاب المسند - دار الحديث - بيروت - 1405هـ

7- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - كتاب المسند - دار الحديث - بيروت - 1405هـ

8- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - كتاب المسند - دار الحديث - بيروت - 1405هـ

9- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - كتاب المسند - دار الحديث - بيروت - 1405هـ

١. أولاً: المصادر العربية المخطوطة:

١-الأشبيلي (د. ت):

- الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٦٥١.

٢-ابن بهادر (كمال الدين محمد بن محمد المؤمني ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م):

- فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، مخطوط بدار الكتب المصرية- تحت رقم ٢٣٩٩ تاريخ- ميكروفيلم ٣٥٩٦٤.

٣-الرشيدي (أبي عبد الله محمد بن محمد الرشيدي) (د. ت):

- تفريج الكروب في تدبير الحروب، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ فنون حربية- ميكروفيلم ٢٤٥٦١.

٤-ابن زنبيل الرمال (أحمد بن علي المحلي الرمال ت ٩٦٠هـ / ١٥٥٤م):

- سيرة السلطان قانصوه الغوري مع السلطان سليم، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤ تاريخ- ميكروفيلم ١٠٧٠٠.

٥-ابن أبي السرور (محمد بن أحمد بن عوض عبد الخالق البكري للصيرفي ت ١٠٨٧هـ / ١٦٨٢م):

- عيون الأخبار ونزهة الأبصار، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٢ تاريخ م- ميكروفيلم ٥٠٣٠٣.

٦-الفيومي (أحمد بن محمد علي المقرئ ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م):

- نثر الجمان في تاريخ الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ- ميكروفيلم ١٧١٩.

٧-القيصري (إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي كان حياً قبل ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م):

- النور اللائح والدر الصادح في اصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٢٣ تاريخ تيمور- ميكروفيلم ٣٦٤٢٦.

٨-الكرودي (عبد القادر الكلاي الحسين) (د. ت):

- كتاب كشف الغمة في بيان حرب النظام حق على هذه الأمة، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٥ فروسية تيمور - ميكرو فيلم ١٧٧٠١.
- ٩- المقدسي (محمد أبو حامد المقدسي الشافعي) (د. ت):  
 - دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حكم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٥٥٤.
- ١٠- ابن منكلي الناصري (محمد بن منكلي ت ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م):  
 - التنبيرات السلطانية في سياسة الصنائع الحربية، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ميكرو فيلم ٢٩٩٩.
- ١١- ابن واصل (جمال محمد بن سالم بن واصل ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م):  
 - تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلطين، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣١٩.  
 - ثانياً: المصادر العربية المطبوعة:  
 ١- الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م):  
 - المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٢م.  
 ٢- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م):  
 - الكامل في التاريخ، ج ١٠، تحقيق خيرى سعيد، القاهرة، الناشر مكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م.  
 ٣- الأسدي (محمد بن محمد خليل ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م):  
 - التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التنبير والتصرف والاختيار، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٧م.  
 ٤- الأصفهاني (أبو عبد الله محمد ابن تقي الدين العماد ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م):  
 - الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.  
 ٥- الأقصراني (محمد بن عيسى الحنفي ت ٧٥٠هـ / ١٣٥٠م):

- نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال القروسية، رسالة دكتوراة غير منشورة بأداب القاهرة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، ١٩٧٢م.

٦- الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن الأزرق ت ٨٩٦هـ / ١٤٩١م):

- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، طرابلس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م.

٧- الأنصاري (عمر بن إبراهيم الأوسي الأنصاري) (د. ت):

- تفرج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق جورج اسكانلون، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٦١م.

٨- ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس المصري ت ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م):

- بدائع الزهور في وقائع الدهور المعروف بتاريخ مصر، ط بولاق، ١٣١١م.

٩- ابن أبيك الدوادري (أبو بكر عبد الله بن أبيك ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م):

- الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب (وهو الجزء السابع من كنز الدرر وجامع الغرر)، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.

- الدر الزكية في أخبار الدولة التركية (وهو الجزء الثامن من كنز الدرر وجامع الغرر)، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١م.

- الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر) تحقيق هانس روبرت رويمر، ١٩٦٠م.

١٠- ابن بطوطة (عبد الله بن محمد بن إبراهيم ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م):

- رحلة ابن بطوطة المعروفة بـ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

١١- البنداري (الفتح بن علي البنداري ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م):

- سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م.

١٢- بيبرس المنصوري الدوادري نائب السلطنة في مصر ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م:

- التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، للدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧م.

- مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م.

١٣- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، من ج٦ إلى ج١٦، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م، ١٩٧٢م.

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج١، ج٢، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٠م.

- الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج١، ج٢، تحقيق وتقديم فهم محمد علوي شلتوت، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.

١٤- الجاحظ (أبي عثمان بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م):

- القول في البغال، تحقيق شارل بلا، بيروت، ١٩٩٥م.

- الناج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي، طبعة القاهرة، ١٩١٤، طبعة بيروت، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، ١٩٦٤م.

١٥- ابن أبي جرادة (الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م):

- زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج٢، حققه وقدم له سهيل زكار، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

١٦- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن سبط، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م):

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، الهند، حيدرآباد الدكن، ١٩٥١م.

١٧- ابن الجيعان (القاضي بدر الدين أبو البقاء محمد بن يحيى المعروف بابن الجيعان ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م):

- القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف أو رحلة قايتباي إلى بلاد الشام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، منشورات جروس برس، ١٩٨٤م.

١٨- ابن حجر (الحافظ بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):

- أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطبعة الأهرام، ١٩٩٨م.

١٩- الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر (ت في القرن ٨هـ / ١٤م):

- آثار الأول في ترتيب الدول، طبعة بولاق، ١٢٩٥هـ.

٢٠- الحنبلي (أحمد بن إبراهيم الحنبلي ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م):

- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، للقاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م.

٢١- الخزاعي التلمساني (أبو الحسن علي بن محمد ت ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م):

- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول (ﷺ) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٥م.

٢٢- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيمن ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م):

- الجواهر الثمين في سير الملوك والسلطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥م.

٢٣- الدميري (كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى ت ٨٠٥هـ / ١٤٠٦م):

- حياة الحيوان الكبرى، القاهرة، (د.ن)، ١٣٠٦هـ.

٢٤- الذهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):

- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد، السعيد بن يسوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.

- دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروه، تقديم محمود الأرناؤوط، بيروت، (د.ن)، ١٩٩٩م.

٢٥- الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٧٢١هـ / ١٢٣١م):

- مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م.

٢٦- ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م):

- سلوك المالك في تدبير الممالك، خط محمد علي الخرساني، القاهرة، المطبعة الخاصة بجمعية المعارف المصرية، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

٢٧- ابن رضوان المالقي (أبي القاسم ابن رضوان المالقي ت ٧٨٣هـ / ١٣٨١م):

- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٤م.

٢٨- الزمخشري (محمود بن عمرو الزمخشري ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م):

- الفائق في غريب الحديث، ج١، ط٢، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩١م.

٢٩- ابن زنبيل الرمال (أحمد بن علي المحلي الرمال ت ٩٦٠هـ / ١٥٥٣م):

- آخره الممالك أو واقعة السلطان الغوري، ط٣، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٣٠- السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن السبكي ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م):

- معبد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، القاهرة، (د. ن.)، ١٩٤٨م.

٣١- السحماوي:

- المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء، تحقيق أشرف أنس، رسالة دكتوراة غير منشورة، أداب المنصورة، ٢٠٠٤م.

٣٢- ابن سعيد المغربي (علي بن سعيد المغربي ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م):

- النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلي المغرب، تحقيق حسين نصار، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٠م.

٣٣- السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، (د. ن.)، ١٩٩٨م.

- طوق الحمامة، تحقيق مصطفى عاشور، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٧م.

٣٤- شافع بن علي (ابن عباس بن إسماعيل بن عساكر ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م):

- حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، (د. ن.)، ١٩٧٦م.

- الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٨م.

٣٥- ابن شاهنشاه (محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ت ٦١٧هـ / ١٢١٩م):

- مضممار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م.

- منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماء، القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

- سيرة صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، دار المنار، ٢٠٠٠م.

٣٦- ابن شاهين الظاهري (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م):

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ط٢، صححه يوليس راويس، تنقيح توفيق نسيم، القاهرة، دار العرب للبستاني، ١٩٨٩م.

٣٧- ابن شداد (القاضي بهاء الدين ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م):

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ط٢، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م.

٣٨- ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم) (د. ت):

- تاريخ الملك الظاهر، تحقيق واعتناء أحمد حطيط، فيسيفان، ١٩٨٣م.

٣٩- الشيزري (عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م):

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦م.

٤٠- صارم الدين أوزبك (د. ت):

- رسالة في غزو التتار سوريا، ١٢٦٠م، تحقيق وترجمة:

Levi Della Vida, *orientalia*, IV, 1935.

٤١- صالح بن يحيى (د. ت):

- تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، تحقيق لويس شيخو، بيروت، (د. ن)، ١٨٩٨م.

٤٢-الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٥٧٦٤هـ / ١٣٦٣م):

- الوافي بالوفيات، ج١٠، اعتناء جاكين سوبلة، علي عمارة، فيسبادن، ١٩٨٠م.

٤٣-الصقاعي (فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي ت ٥٧٢٥هـ / ١٣٢٤م):

- تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكين سوبلة، دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٧٤م

- تحفة نوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٢م.

٤٤-ابن الصيرفي (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم ت ٥٥٤٢هـ / ١٢٤٧م):

- القانون في ديوان الرسائل، تحقيق وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد، بيروت، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م.

٤٥-الصيرفي (علي بن داود بن إبراهيم ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م):

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج١، ج٢، ج٣، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٣م.

٤٦-ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا العلوي ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م):

- الفخري في الآداب السلطانية في الدول الإسلامية، تحقيق محمد عبد القادر محمد مايو، حلب، دار القلم العربي، ١٩٩٧م.

٤٧-الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م):

- تاريخ الرسل والملوك، ج٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، المطبعة الحسينية، ١٩٦٦م.

- عيون المسائل في أعيان الرسائل، رتبته وطبعه محمد عمر الحسامي البيروتي، القاهرة، مطبعة السلام، ١٩٦١م.

٤٨-ابن طولون (شمس الدين محمد بن طولون ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م):

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج١، ج٢، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٩٦٢م.

٤٩-ابن عابدين (محمد بن أمين ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م):

- حاشية بن عابدين، ج٣، القاهرة، دار الطباعة المصرية، ١٩٧٢م.
- ٥٠- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت ٥٣٢٨هـ / ٩٣٩م):
  - العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.
- ٥١- ابن عبد الظاهر (محي الدين بن عبد الظاهر ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م):
  - الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر سيده صادق، باكستان، ١٩٥٦م؛ وطبعة الرياض، تحقيق عبد العزيز خويطر، الرياض، ١٩٧٦م.
  - تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م.
- ٥٢- ابن العبري (أبي الفرج جمال الدين غريغورس الملطي ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٦م):
  - تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحق أرملة، بيروت، دار المشرق، ١٩٩١م.
  - تاريخ مختصر الدول، ط٣، تحقيق الأب أنطون صالح، بيروت، المكتبة الشرقية، ١٩٩٢م.
- ٥٣- ابن العديم (كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م):
  - زبدة الطالب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق، للمعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٤م.
- ٥٤- ابن عرب شاه (ابن العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م):
  - عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.
- ٥٥- ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م):
  - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج٤، ج٧، نشر حسام الدين المقدسي، القاهرة، دار الفكر، ١٣٥١هـ.
- ٥٦- العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م):
  - التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، (د. ن)، ١٩٨٨م.
  - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١، تحقيق أحمد زكي، فرانكفورت، ١٩٨٨م.
- ٥٧- ابن العميد (المكين جرجس بن العميد ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٤م):

- أخبار الأيوبيين، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ت).

٥٨-العيني (بدر الدين محمود العيني ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م):

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج١، ج٢، ج٣، ج٤، تحقيق محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

٥٩-أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م):

- المختصر في أخبار البشر، طبعة بيروت، دار المعرفة، ١٩٦١م، طبعة القاهرة، دار المعارف، ١٣٢٥هـ.

٦٠-ابن الفراء (أبو علي الحسن بن محمد المعروف بابن الفراء (د. ت):

- رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م.

٦١-ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م):

- تاريخ ابن الفرات المعروف بـ "تاريخ الدول والملوك"، مج٨، ج٧، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، نشر جامعة بيروت الأمريكية، ١٩٣٦م ؛ مج٤، ج١، تحقيق حسن محمد الشماخ، البصرة، نشر جامعة البصرة، ١٩٧٠م.

٦٢-ابن أبي الفضائل (مفضل بن أبي الفضائل ت ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م):

- تاريخ سلاطين المماليك أو النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشره وترجمه للفرنسية وعلق عليه

2. E. Blouchet, *parologia orientalis*, XII, XIV, XXII, Paris, 1919.

٦٣-ابن قاضي شهبه (أبو بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م):

- تاريخ ابن قاضي شهبه، ثلاثة أجزاء، تحقيق عدنان درويش، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧-١٩٩٤م.

٦٤-ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م):

- عيون الأخبار، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ١٩٦٣م.

٦٥-قدامة بن جعفر (أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م):

- الخراج وصناعة الكتابة ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، طبعة ليدن، ١٨٨٩م.

٦٦- القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١/ ١٤١٨م):

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ جزء، طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٣-١٩١٨م.

- ضوء الصبح المسفر وجني الروح المثمر، القاهرة، ١٩٠٦م.

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م.

٦٧- الكتبي (محمد بن شاکر الكتبي ت ٥٧٦٤/ ١٣٦٣م):

- عيون التواريخ، ج٢١، تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، بيروت،

منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث (١٢٢)، ١٩٨٤م.

٦٨- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي ت ٥٧٧٤/ ١٣٧٢م):

- البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ج١٤، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتیح، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٥م.

٦٩- ابن كنان (محمد بن عيسى بن كنان ت ١١٥٣/ ١٧٤٠م):

- حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلطين، تحقيق عباس صباغ، بيروت، دار النفائس، ١٩٩١م.

٧٠- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب النصري ت ٤٥٠/ ١٠٥٨م):

- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، بيروت،

- سلسلة نصوص الفكر السياسي العربي الإسلامي، دار العلوم العربية، ١٩٨٧م.

٧١- مجهول: (د. ت):

- تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق زيترشتين، ليدن، ١٩١٩م.

٧٢- المرتضى الزبيدي (المرتضى الحسين الزبيدي الحنفي ت ١٢٠٥/ ١٧٩١م):

- ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٥م.

- تاج العروس في جواهر القاموس، ج٨، ج١٨، دراسة وتحقيق علي شيري، طبعة بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م؛ طبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥م.

٧٣-المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م):

- الخطط المقريزية المعروفة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ أجزاء، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٦م.
- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد الحميد عابدين، القاهرة، (د.ن)، ١٩٦١م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، ٤ أجزاء، كل جزء ثلاثة أقسام، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٠م، ١٩٧٢م، ١٩٧٣م.
- إغاثة الأمة بكشف الغمة، ط٣، نشره محمد مصطفى زيادة، جمال الدين محمد الشيال، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ٢٠٠٢م.

٧٤-ابن الملتن (عمر بن علي بن أحمد بن عبد الله سراج) (د. ت):

- نزهة النظر في قضاة الأمصار، تحقيق وتعليق وتقديم مديحة محمد الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م.
- ٧٥-المنلوي (محمد عبد الرؤوف المنلوي ت ١٠٣١هـ):
- التوقيف على مهمات التعاريف، ج١، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٠م.

٧٦-ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م):

- لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥م.
- ٧٧-ابن منكلي (محمد بن منكلي الناصري ت ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م):
- الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في القتال في البحر، رسالة دكتوراه غير منشورة بآداب القاهرة، تحقيق عبد العزيز محمود عبد الدايم، القاهرة، ١٩٧٤م.
- الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، القاهرة، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠م.

٧٨-ميخائيل بن نقولا الصباغ (د. ت):

- مسابقة البرق والغمام في سعادة الحمام، باريس، (د.ن)، ١٨٠٥م.
- ٧٩-النابلسي (ابن عثمان النابلسي الصفدي عاش في القرن ٨٧هـ / ١٣م):
- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، تحقيق كلود كاهن، القاهرة، (د.ت).

٨٠- ابن ناظر الجيش (نقي الدين عبد الرحمن الدين محمد الحلبي بن محب) (د. ت) :

- تنقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فسلي، القاهرة، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٨٧م.

٨١- نظام الملك (نظام الملك حسين الطوسي ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م):

- سياسة نامه أو سياسة الملوك، ط٢، ترجمة يوسف حسين بكار، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٧م.

٨٢- ابن نظيف الحموي (أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف ت ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م):

- التاريخ المنصوري أو تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد دودو، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٩٠م.

٨٣- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م):

- نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٩، ج٣٠، ج٣١، ج٣٢، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٠-١٩٩٢م.

٨٤- النيسابوري (أحمد بن محمد بن أبي الفضل ت ٥٣١هـ / ١٣٧٣م):

- السامي في الأسامي، تحقيق محمد موسى هنداري، القاهرة، (د. ن)، ١٩٦٧م.

٨٥- الهرثمي (صاحب المأمون أبو سعيد الشعراني الهرثمي ت ٩٣هـ / ٩م):

- مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ١٩٦٤م.

٨٦- الهروي (علي ابن أبي بكر الهروي ت ٦١١هـ / ١٢١٤م):

- التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق مطيع المرابط دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٢م.

٨٧- ابن واصل (القاضي جمال الدين الحموي ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م):

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ج٢، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٣م؛ ج٥، تحقيق حسنين محمد ربيع، سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٧م.

٨٨- ابن وصيف شاه المصري ت في القرن ٨٧هـ / ١٣م:

- جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية المعروف  
بـ "فضائل مصر وأخبارها"، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، دار الثقافة،  
٢٠٠٤م.

٨٩- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م):

- معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ٥ أجزاء، بيروت، دار الفكر،  
١٩٧٩م.

٩٠- يحيى بن الحسين (يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ت ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م):

- غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، دار الكاتب  
العربي، ١٩٦٨م.

٩١- أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م):

- كتاب الخراج، تحقيق محمد إبراهيم البناء، طبعة القاهرة، دار الإصلاح للطبع والنشر،  
١٩٨١م ؛ طبعة بيروت، تحقيق ونشر وعناية أحمد محمد شاكر، دار المعرفة  
للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.

٩٢- اليوسفي (موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م):

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيظ، بيروت، عالم الكتب،  
١٩٨٦م.

١٢- اليونيني (قطب الدين أبو الفتح بن محمد أحمد ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م):

- ذيل مرآة الزمان، ج١، الهند، حيدر آباد الدكن، ١٩٩٥م؛ ج٢، ١٩٥٥م؛ ج٣، ١٩٦٠م؛  
ج٤، ١٩٦١م.

ثالثاً: المراجع العربية:

١- إبراهيم أنيس: المعجم الوجيز، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠م

- المعجم الوسيط، ج٢، ط٢، القاهرة، مجمع اللغة العربية.

٢- إبراهيم حسن سعيد: البحرية في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م.

٣- إبراهيم خميس إبراهيم: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة فرسان الداوية)،  
الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

- ٤- إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ مصر في عصري الأيوبيين والمماليك، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (د. ت).
- ٥- إبراهيم علي طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، (د. ن)، ١٩٦٠م.
- ٦- إبراهيم علي محمد: المدخل إلى علم الاستخبارات رؤية إسلامية، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، (د. ت).
- ٧- أحمد الحفناوي: حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام، المنصورة، دار الوفاء للطباعة، ١٩٨٦م.
- ٨- أحمد رمضان أحمد: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، ١٩٧٧م.
- ٩- أحمد شلبي: الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، ط٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م.
- ١٠- أحمد عبد الرازق أحمد: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة، للهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
- ١١- أحمد عبد الرازق أحمد: وسائل التسلية عند المسلمين، ضمن كتاب "تراثات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري"، مج ١، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ١٢- أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ج١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م.
- ١٣- أحمد عبد الكريم سليمان: المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م.
- ١٤- أحمد فتحي سرور: الوسيط في قانون العقوبات، ج١، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.
- ١٥- أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٨م.
- ١٦- أحمد هاتي: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، القاهرة، الشركة المتحدة، ١٩٧٤م.
- ١٧- أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية، ط٣، دمشق، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.
- ١٨- أنور زقلمة: المماليك في مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م.

- ١٩-أيمن أبو الروس: عالم الجاسوسية ودنيا الغموض والأسرار، الإسكندرية، مكتبة ابن سينا، ١٩٩١م.
- ٢٠-بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٨٨م.
- ١١-البقلي (محمد قنديل البقلي) (د. ت):  
- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- ٢١-بيومي الشربيني: الوفود السياسي لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك، المنصورة، ٢٠٠٣ م.
- ٢٢-جمال الدين الشيال: الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على جزيرة رودس في عهد السلطان المملوكي جمق ضمن كتاب "دراسات في التاريخ الإسلامي"، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١م.
- ٢٣-جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٨م.
- ٢٤-حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٩م.
- ٢٥-حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.
- ٢٦-حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٥-١٩٦٦م.
- ٢٧-حمدي عبد المنعم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م.
- ٢٨-حسن عبد الوهاب حسين: تاريخ جماعة الفرسان النيوتون في الأراضي المقدسة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧م.
- ٢٩-حسن عبد الوهاب حسين: الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي ببلاد الشام، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.
- ٣٠-حسن محمد النابودة، محمد عبد القادر خريسات: صاحب الخبر في الدولة الإسلامية، العين، مركز زاييد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٣م.
- ٣١-أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ط٣، القاهرة، مكتبة وهبه، ١٩٦٤م.

- ٣٢- سعيد أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢م.
- ٣٣- سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م.
- ٣٤- سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٢م.
- ٣٥- سعيد عبد الله حارب: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.
- ٣٦- سلامة محمد الهرفي: المخابرات في الدولة الإسلامية، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ١٩٨٩م.
- ٣٧- سمير عبد الله: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، سلسلة تاريخ المصريين، ع٢٥٧، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
- ٣٨- سهام مصطفى أبو زيد: الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- ٣٩- سوسن محمد نصر: القاضي الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، القاهرة، دار الزهراء، ١٩٩٠م.
- ٤٠- سيد علي التحرير: الأخبار السنوية في الحروب الصليبية، ط٣، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٥م.
- ٤١- شلبي إبراهيم الجعدي: طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م.
- ٤٢- شلبي إبراهيم الجعدي: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المنصورة، مكتبة الأصدقاء، ٢٠٠٦م.
- ٤٣- صابر محمد دياب: العلاقات بين الشرق والغرب عصر الحروب الصليبية، ط٣، الفيوم، مكتبة الغزالي، ٢٠٠٣م.
- ٤٤- صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط٦، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م.

- ٤٥-صبحي عبد المنعم: سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام، ط٢، القاهرة، دار العربي، ٢٠٠٦م.
- ٤٦-صلاح الدين المنجد: فصول في الدبلوماسية، الرسل والسفراء في بلاد الغرب وبلاد العرب، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م.
- ٤٧-صلاح الدين نوار: الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية، الإسكندرية، دار المعارف، (د. ت).
- ٤٨-عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات عند العرب والمسلمين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م.
- ٤٩-عبد الجواد خلف: القاضي بذر الدين بن جماعة حياته وآثاره، كراتشي، باكستان، سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، ١٩٨٨م.
- ٥٠-عبد الرحمن زكي: معارك حاسمة في تاريخ مصر دمياط والمنصورة، القاهرة (د. ن)، ١٩٤٥م.
- ٥١-عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١م.
- ٥٢-عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ط٣، الرياض، مؤسسة الجريس، ١٩٨٩م.
- ٥٣-عبد العزيز محمود عبد الدايم: الحيل في حروب دولة المماليك، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٣م.
- ٥٤-عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٥٣م.
- ٥٥-عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، ج١، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٦٤م.
- ٥٦-عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٨م.
- ٥٧-عبد الله البستاني اللبناني: فاكهة البستان، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٣٠م.
- ٥٨-عبد الله مناصره: الاستخبارات العسكرية في الإسلام، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م.
- ٥٩-علاء طه رزق: السجون والعقوبات في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ٢٠٠٢م.

- ٦٠- علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة، (د.ن)، ١٩٤٤م.
- ٦١- علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، القاهرة، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- ٦٢- علي السيد علي: الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، ١٩٨٨م.
- ٦٣- علي محمد حسنين: الرقابة الإدارية في الإسلام، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٥م.
- ٦٤- علي النميري: الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، الخرطوم، مركز الدراسات الاستراتيجية، ١٩٧٧م.
- ٦٥- فايد حماد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤م.
- ٦٦- فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت).
- ٦٧- قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.
- ٦٨- قاسم عبده قاسم، علي السيد علي: الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٥.
- ٦٩- مأمون فريز جرار: الغزو المغولي أحداث وأشعار، الرياض، دار البشير، ١٩٨٤م.
- ٧٠- ماهر أحمد: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م.
- ٧١- محمد أحمد دهمان: ولاية دمشق في عهد المماليك، دمشق، (د.ن)، ١٩٨٤م.
- ٧٢- محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٠م.
- ٧٣- محمد أركان الدخمي: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ط٢، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.
- ٧٤- محمد التابعي: السفارات في الإسلام، القاهرة، مكتبة منبولي، (د.ت).
- ٧٥- محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م.

- ٧٦-محمود خليل: نيابة غزة في العهد المملوكي، بيروت، (د.ن)، ١٩٨٦م.
- ٧٧-محمد الشافعي: التجسس على عصر الرسول، القاهرة، دار الشباب العربي، ١٩٩٦م.
- ٧٨-محمد ضيف الله بطاينة: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ج١، عمان، دار الفرقان، ١٩٧٢م.
- ٧٩-محمد عبد المنعم الرائد: الغزو المغولي لمصر ونتائجه على الوطن العربي، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٧٢م.
- ٨٠-محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، ج٣، بيروت، دار الفكر، (د.ت).
- ٨١-محمد مصطفى زيادة: حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦١م.
- ٨٢-محمود نديم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.
- ٨٣-منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي، ج١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٢م.
- ٨٤-ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف، بيروت، (د.ن)، ١٩٦٥م.
- ٨٥-نبيل محمد عبد العزيز: الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.
- ٨٦-نجوى كمال كيره: محاضرات في تاريخ مصر في عصر دولتي المماليك، المنصورة، مكتبة الصفوة، ٢٠٠٨م.
- ٨٧-نظير حسان سعداوي: نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، دار مصر، ١٩٥٣م.
- ٨٨-نظير حسان سعداوي: التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.
- ٨٩-نظير حسان سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١م.
- ٩٠-نعمان الطيب سليمان: جهود المماليك في تصفية الوجود المغولي بالشام، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٨٨م.
- ٩١-نور الدين خليل، سيف الدين قطز قاهر المغول، القاهرة، مؤسسة حورس الدولية، ٢٠٠٥م.

- ٩٢- وافيح الدقوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية- بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- ٩٣- وهبه الزحيلي: العلاقات الدولية مقارنة مع القانون الدولي الحديث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

#### رابعاً: المراجع المترجمة:

- ١- آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- ٢- ١. س. ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ط٣، ترجمة وتعليق حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
- ٣- أنجيلو كودفيللا: المخابرات وفن الحكم، ترجمة محمد صبري الصاوي، مراجعة د. السيد عطا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
- ٤- برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب محمد العزب موسى، بيروت، دار المشرق العربي الكبير، ١٩٨٠م.
- ٥- ستيفن رنسيمن: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ط٢، ترجمة سيد إلياز العريني، بيروت، مطبعة دار الثقافة، ١٩٦٨م.
- ٦- فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم، ترجمة سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى للثقافة، ١٩٩٩م.
- ٧- فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي، مراجعة جبرائيل حبور، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٩م.
- ٨- ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٦م.
- ٩- ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيني، مراجعة عبد الرحمن فهمي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م.
- ١٠- نيكتا أليسييف: السلطان نور الدين محمود زنكي، ترجمة سليم قنديلقت، دققه وراجعته وأشرف عليه علي القيم، دمشق، مطبعة الأديب، ١٩٩٨م.
- ١١- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مج ١، ترجمة عدنان محمود سليمان، استانبول، مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٨٨م.

#### خامساً: الرسائل العلمية:

- ١- إبراهيم حسن سعيد: الجيش في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٢- أجفان الصغير: المؤسسات الإدارية في الخلافة الفاطمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م.
- ٣- أكرم حسن العلي: نيابة دمشق في نهاية عهد المماليك حتى "عهد سيباي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
- ٤- أميرة فهمي علي: السلطان الأشرف قايتباي المحمودي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠٠١م.
- ٥- جمعه جمال عبد العال: الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٩٦م.
- ٦- جميل جمول: مصر والحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٤م.
- ٧- جيهان فاروق عبد العظيم: القلاع والحصون الحدودية الشامية الشرقية والشمالية للسلطنة المملوكية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠٠٧م.
- ٨- حسن فرحات عبد الساتر: الدواوين في مصر في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية بأسبوط، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م.
- ٩- حسن فرحات عبد الساتر: دور أصحاب الدواوين السياسي والحضاري في مصر في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية بأسبوط، جامعة الأزهر، ٢٠٠٦م.
- ١٠- رجاء علي أنور: النظام الإداري في عصر دولة المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية بنات، جامعة الأزهر، ١٩٨٨م.
- ١١- رزق محمد نسيم عبد المهيمن: دور العلماء في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٢م.
- ١٢- رزق محمد نسيم: الثغور المصرية ودورها السياسي والحضاري في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠١م.

١٣- سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٩م.

١٤- سمير حامد محمد: الاغتيالات في مصر الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٦م.

١٥- سند أحمد سند: البريد في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠م.

١٦- السيد عبد الحليم عبد العال: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٧م.

١٧- الشافعي محمد أمين: دار ضرب القاهرة ونقودها في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا، ١٩٩٣م.

١٨- صلاح مهران محمد: الحركات السياسية والدينية في مصر خلال العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٨٢م.

١٩- طه عبد العزيز محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٦م.

٢٠- عبد القني عبد السلام عبد القني: نظام السجون في مصر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٥م.

٢١- عبد القني عبد السلام عبد القني: العيون والجواسيس منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٣م.

٢٢- عبد المقصود عبد الحميد محمود: السياسة الداخلية للأيوبيين في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٨٤م.

٢٣- عثمان عبد الحميد محمد: الأسطول والبحرية على عصر سلاطين المماليك في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٤- عفاف سيد محمد: ديوان الإنشاء وتطوره في عصري الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٥- علي محمد علي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية للشرعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٨٦م.

- ٢٦- عماد محمد محمد: العلاقات بين دول المماليك البرجية والدولة العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار علوم، جامعة المنيا، ٢٠٠٢م.
- ٢٧- فائق عبد الحليم إبراهيم: تاريخ الترجمة في مصر في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية فرع البنات، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م.
- ٢٨- فائق عبد الحليم إبراهيم: تاريخ العقوبات وطرق تنفيذها في مصر في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٥م.
- ٢٩- فاطمة عبد اللطيف أحمد: معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٧م.
- ٣٠- فايد حماد عاشور: التنظيمات العسكرية المغولية والمملوكية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٢م.
- ٣١- كرم كمال الدين الصاوي: ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في السودان وادي النيل، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.
- ٣٢- كمال بدور: حلب في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م.
- ٣٣- لبيبة إبراهيم مصطفى: الفتن والاضطرابات الداخلية في دولة سلاطين المماليك وأثارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٣٤- ماجدة مصطفى نادين: قلعة الجبل في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ٣٥- محمد عبد الله محمد المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٥م.
- ٣٦- محمد فتحي عوض: إقليم الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.
- ٣٧- محمود إبراهيم شلبية: علاقات المغول بسلطنة المماليك في مصر والشام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٩م.

- ٣٨- مصطفى علي إبراهيم: أمراء الطواشية ودورهم السياسي والحضاري في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٥م.
- ٣٩- منى إبراهيم عبد الرحمن: السفارات الأجنبية في مصر على عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٤٠- وفاء محمد إبراهيم: ساحل الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩٨م.

#### سادساً: الدوريات العلمية:

- ١- إبراهيم العدوي: السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ رقم ١٧٩ نوفمبر ١٩٥٧م.
- ٢- أحمد رمزي بك: الحمام الزاجل، مقال منشور بمجلة الرسالة، ع ٧٧، بيروت، ١٩٤٨م.
- ٣- أسامه محمد أبو نحل: جان بردي الغزالي المملوكي والدولة العثمانية رؤية تاريخية جديدة، مقال منشور على جوجل، غزة، ٢٠٠٢م.
- ٤- جمال الدين الشيبان: الجاسوسية في حروب بني أيوب، مقال منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١م.
- ٥- خالد جاسم الجناني: حضارة العراق، ج٦، مقال: الجيش والشرطة، بغداد، ١٩٨٤م.
- ٦- سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي (البواعث واللغات والمترجمات)، جامعة مؤتة، ٢٠٠٧م.
- ٧- سوسن سليمان يحيى: أمن مصر القومي على عهد صلاح الدين الأيوبي "سور العرب العظيم وقلعة الإسلام"، مجلة الزهراء، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، ع ٦، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٨- صلاح الدين البحيري: المخابرات الإسلامية في مواجهة الصليبيين، مجلة كلية الآثار، ع ٣، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ٩- عادل عبد الحافظ حمزة: دور خاير بك المملوكي في موقعة مرج دابق، المجلة التاريخية المصرية، ع ٣٦، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ١٠- علاء طه زرق حسين: القطع البحرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (الشكل والوظيفة)، مجلة الإنسانيات، تصدر عن جامعة دمنهور، ٢٠٠١م.

- ١١- علي السيد علي: الجاسوسية في عصر سلاطين المماليك، مجلة فكرة، ع ١٠، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ١٢- علي السيد علي: الترجمة في عصر سلاطين المماليك، مجلة التربية، ع ١٠٢، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ١٣- علي السيد علي: الهجرات المغولية إلى مصر وأثارها الثقافية والاجتماعية في العصر المملوكي، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع ١٥، ١٩٩٥م.
- ١٤- علي السيد علي: الإسهام العسكري المصري في موقعة عين جالوت، مجلة موكب النور أو أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ١٥- قاسم عبده قاسم: أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، مجلة موكب النور، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م.
- ١٦- محمد مصطفى زيادة: نهاية السلاطين والمماليك، المجلة التاريخية، ع ٤، القاهرة، ١٩٥١م.
- ١٧- منى محمد بدر: العقوبات وطرق تنفيذها من خلال صور المخطوطات الإسلامية في القرن السابع حتى القرن الحادي عشر (١٣-١٧م)، بحث منشور في الملتقى الثالث بجمعية الآثار بين العرب، ج ٢، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ١٨- نبيل محمد عبد العزيز: الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية، ع ٢٢، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ١٩- نظير حسان سعداوي: دولة البرين والبحرين، المجلة التاريخية المصرية، ع ١٣، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ٢٠- نعمان أنطون: الطائر الغريد في وصف البريد، مجلة المقتطف، ١٨٩٠م.

ثامناً: المراجع الفارسية:

- محمد معين: فرهنگ فارس، طبعة نهران، ١٣٥٧ هـ ش.

- **A. Abdul – Aziz Khowaiter:** Baibárs the first, London, 1978.
- **Daileader:** True citizens: violence, Memory and Identity in the Medieval community of Perpignan (1162- 1397) E. J. Brill, 1995.
- **Gau de Fory Demom bynes:** la surie a l'epoque des mamelouks, Paris, 1923.
- **Hauteceur et wiet:** les mosques du Caire, 1, Paris, 1932.
- **J. sauvaaget:** la post aux chevaux dans l'empire des mamelouks, Paris, 1941.
- **Levanoni Amalia:** Aturnig point in Mamluk History the third Reign of Al. Nasir Muhammad Ibn Qalawan (1310- 1341), E. J. Brill, 1995.
- **Marshall Christopher:** warfar in the latin East, Cambridge, 1992.
- **P. Amitai:** Mongols and Mamluks (1260- 1281), Cambridge, 1995.
- **R. Amitai:** Mamluk Espionage among Mongols and Franks, AAs, XXII, 1988.
- **R. Amitai:** Morgan David, the Mongol Empire and Its Legacy, Cambridge, 1992.
- **R. Hartmann:** politische Geographie des Mamlukenteiche, ZDMG, 70, (1916).
- **S. F. Sadeque:** Development of Al – Barid or Mail- post during the Reign of Baybars I of Egypt (1260- 1276), JASP, XIV, (1969).
- **Thorau:** the Lion of Egypt sultan Baybars, traus Hort, New York, 1987.
- **W. Biorkman:** Beitrage zur Geschichte der staatskanzlei im Islamischen Agypten, Hamburg, 1928.

## فهرس الملاحق

فهرس الملحق

أولاً:- النصوص

رقم النص	تعريف النص	رقم الصفحة
١	عهد ولاية البريد	١٩٨
٢	في حالة الجواسيس وأصحاب الأخبار	١٩٩
٣	توقيع بوظيفة المهمندارية بطلب	٢٠٠
٤	نص رسالة الجاسوس إياس التابع لبني عثمان بأرض السلطنة المملوكي	٢٠١
٥	نص رسالة من الأمير مراد حاكم أماسيا	٢٠٢
٦	أبراج الحمام الزاجل ومراكز الإشارات الضوئية في بلاد الشام	٢٠٣
٧	مطارات الحمام الزاجل في العصر المملوكي	٢٠٤
٨	منظر خارجي لبرج الحمام الزاجل بقلعة صلاح الدين	٢٠٥

ثانياً:- الجداول

رقم الجدول	تعريف الجدول	رقم الصفحة
١	المؤامرات التي نجح الجواسيس في الكشف عنها	١٧١
٢	أكثر الفئات استخداماً للتجسس في الكشف عن المؤامرات	١٧٢
٣	أكثر العصور التي نجح الجواسيس في الكشف عن المؤامرات فيه	١٧٣
٤	أكثر السلاطين تطبيقاً للعقوبات ضد الجواسيس	١٩٢
٥	أكثر العقوبات تطبيقاً في عصر الدراسة	١٩٣
٦	أشهر عمال التجسس	٢٠٦
٧	مؤامرات الأمراء ضد السلاطين	٢٢٢
٨	مؤامرات السلاطين ضد الأمراء	٢٣٣
٩	مؤامرات الأمراء ضد السلاطين	٢٣٦
١٠	العقوبات التي طبقتها الدولة علي الجواسيس والخونة الذي كشف جواسيس الأيوبيين والمماليك عنهم .	٢٤٠

agents who worked for enemies. Salibies, maghols and ottman depended on spy in their invasion of Ayoub and Mamluk countries, and how ottomans managed finally to control the Mamluk country and established Ottman Khelafa in Egypt and Syria thanks to owing spies and agents.

The forth chapter dealt with the role of spy in maintain internal security, and I showed, in it, protective procedures that the country toke to prevent its security from leakage of spies of enemies into the country and to prevent leakage of information to enemy which is called" protective spy" by preserving ways and protecting gaps and being cautious about leakage of information and news to the enemy.

As for the role of spy in facing disorders and internal revolutions, princes and sultans depended on agents and spies in deciding trials and plots they planned for each other, either in exposing or carrying them out, and how agents and spies of sultans managed to uncover the greatest possible quantity of these plots.

I talked about the role of spy in getting rid of Shiites and how Ayoub and Mamluk Sultans managed, by using spies, to get rid of Shiite and killing them, but they used the manner spying to get rid of Ayoub and Mamulk Sultansand so sultans joined them to spy workers in order to do tasks of assassinations against enemies and agents.

And I talked about the role of spy in the economic life and what spies did in watching the state of marks and how they managed to refresh the commercial state that was between them and enemies as it preserved money of sultans greed people and I showed the leading role of woman in works of spy, inside and outside, and how she managed to get a lot of information that spies of men were not able to get.

Finally, punishments that the country applied to enemies and cheaters who were arrested and uncovered inside the lands of Ayoub and Mamluk. These punishments diversified between killing, centering, and a lot of punishments that were mentioned, and it was clear that most applied punishment between those punishments were the penalty of killing.

As for **collecting information in the marine battlefield**, it was a specialization of another group that was represented in (divers) and some marine ships represented in (Al-Aghriba- Al-Sheti-Deghis- boats) and some exploratory campaigns that sultans sent to countries of enemies to spy their news and collect information until they return from their tasks.

**Collecting information outside field battle** was the task of another group represented in (messengers and ambassadors - lessees and political expatriates - prisoners - merchants and travelers - El-Orban tribes and Turkmen - clergy - slaves - volunteers and public-secret nets and agents) and it talked about the role of each of them individually in the process of collecting information and delivering it to officials in the country, and tasks that they did for spy.

As for **means of transporting information** ,that was collected by spy workers, and other collectors of information, either in overland battlefield or marine battlefield, or other sources outside battlefield, they were taken care of by sultans, they, even more than this, have diversified and developed them, as they were careful to deliver this information as quickly as possible. Between those means (mail ships and arrows-horses and camels- mailing by fires or smoke- carrier-pigeon). The process and ways of sending information, by those means, showed how enemies discovered those means and observed them to prevent arrival of this news, which pushed sultans to fraud in order to send information , which we call in our age (invisible ink) and it diversified between ( conditioners - invisible ink- blinding with symbols and signals- blinding with numbers and letters).

**The third chapter talked about spy and foreign mistakes** and I talked about **the role of spy in facing the salibi, ottmani, and magholi danger**, and how spies played an effective role in facing these dangers by spreading them into cities of enemies and boundaries of their countries to know their news: as their military supplies and political communications and warning of any expected raids of them on the country, it leaded sometimes even to arrest some of their spies. They also helped sultans defending Islamic areas that enemies wanted to control, and they had, also, a great role in exposing cheaters and

Adel Al-Ayoubi" was the least sultan who depended on them as the percentage reached 0.07%.

**Requirements That Should Be available for Spy workers,** Sultans established many requirements that should be available for those workers in view of their importance, and because they are considered the heart of this organization, if they are good the organization will be good, and if they are bad, the organization will be bad. All of this made them in solitude of remainder workers of the state because their work is one of the hardest and roughest works.

**And as for the states caring of Spy Workers:** Sultans were interested in spy workers and gave them a very special care in view of importance of those workers for the state. This care was represented in paying those salaries from a private fund, besides punishing everyone, who offends them, with the toughest punishment, and they were giving them gifts, presents, donations and endowments.

**The second chapter** talked about collecting information and how Ayoub and Mamluk Sultans depended on a group of military commands that are inside the army, to spy and collect information about enemies in the field of overland battles. These commands were represented in (the command of vanguards soldiers), yazk command, scouting command, and sraya command, and this study showed the systems that these commands used from their exit, in the front of army to collect information, until their return back to army, with the information they have got, and it showed how information was collected, and tasks they did behind enemy lines. For example, collecting information about land topography on which the battle will take place, and collecting information about comers and enterers to the state, sending spies into rows of enemies to collect information about them, telling sultans about enemies' equipments and supplies, maintaining confidentiality of movements of Islamic armies, preventing leakage of spies of enemies into camp of Muslims and arresting them, and nicking to explore battle field.

## **Spy at The Mamluk and Ayoub Age (567-923 Hijri- 1171-1517 AD)**

**This thesis consists of a preface, an introduction and four chapters:**

**The first Chapter taloked about the management of spy at The Mamluk and Ayoub Age.** The study showed how the management of spy was subjected to in the beginning to sultans and military leaders, but as a result of their being busy with several affairs, they assigned its management to a person that they trust. So, the assigned it to the holder of Dewan Al-Inshaa who was taking supervision of spy workers, choosing spies and narks, sending them to lands of enemies and spreading them between enemies. Because the two states, Ayoub and Mamluk state, were in desperate need of spy, as it does not work well except if its manager is highly efficient. So, we find that sultans established some requirements that should be available for the person who takes this position, with the multitude of specialization of the holder of Dewan Al-Inshaa and the large quantity of spy tasks at that time, there should have been a group of assistance for him to manage those workers. There were, between them,( vice secret writer, writer , editor and browser, holder , doorkeeper of dewan). It was clear that the management of spy is strong when the state is strong and weak when the state is weak.

As for **spy workers**, Ayoub and Mamluk sultans relied on a group of workers; each of them did a specified job. There were some of those workers who were working for spy in the first place and they were those who collect news and deliver it to sultans. Some of them was responsible for administrative supervision of previous workers and organizing them and they help the holder of Dewan Al-Inshaa doing this, beside doing tasks of their basic jobs, and the study showed that the Marine Mamluk Age was the most age that depended on spy workers, as the percentage reached 54%, while the Ayoub age was the least age that depended on them, as the percentage reached 17%. And the Sultan "Al-zaher Bibers" was the most sultan who depended on them as the percentage, of his dependence on them, reached 14%, while the sultan "Al-